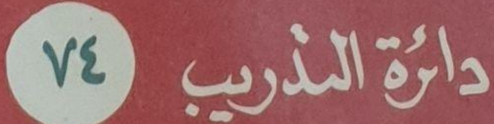
دور المرأة في الحرب

تجارب بعض الأمم

ترجمة
اللواء الركن
حارث لطفي الوفي

دائرة التدريب




سلسلة الثقافة العسكرية (٧٤)

دور المرأة في الحرب

تجارب بعض الأمم

ترجمة

اللواء الركن
حارث لطفي الوفي

(توفي المؤلف في ١٦/٩/٢٠٢٠م رحمه الله تعالى)

دائرة التدريب - مديرية التطوير القتالي

طبعة الكتاب بحدود سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م

إن روح النصر موجودة في ضمير وروح العراقيات اللواتي يطلبن بإلحاح التطوع للمشاركة المسلحة في ميادين القتال.

الرئيس القائد

صدام حسين

ت	المحتويات	رقم الصفحة
١	تمهيد	٧
٢	الفصل الاول بريطانيا والحروب العالمية بقلم نانسي لورنك كولا مان وريشارد ستيتيس	٩
٣	الحرب العالمية الأولى والمنظور الى فعاليات المرأة في بريطانيا	١٧
٤ .	مشاكل التكامل في العنصر النسائي للجيش خلال الحرب العالمية الأولى في الجيش الملكي البريطاني	٢١
٥ .	الحرب العالمية الثانية ودور المرأة البريطانية في القوات المسلحة ـ نظرة عامة حول الفعاليات .	٢٩
٦ .	الفصل الثاني المانيا والحروب العالمية للكاتب جني آن تيوتن	٤٩
٧ .	الخدمات النسائية المساعدة في القوات البرية الالمانية	٥٨
٨ .	الفصل الثالث روسيا الثورة والحرب بقلم آني أيليوت كريسي وريشارد ستيتيس	٧١
٩ .	المرأة السوفيتية خلال الحرب العالمية الأولى نظرة الى فعالياتها المختلفة	٧٦
١٠ .	نظرة على فعاليات المرأة الروسية خلال الحرب العالمية الثانية	٨٤

تمهيد

ان مشكلة اشتراك المرأة في القوات المسلحة مسألة قد فرغ منها منذ زمن بعيد . عبر التجارب المريرة التي حدثت . وخصوصا خلال الحربين العالميتين الاولى والثانية . ولكن الشيء الاساسي الذي كان ولازال قائما ، هو ، هل ان المرأة ستبقى عنصرا غير مقاتل ، أو ستناط اليها مهمات قتالية في الحروب المقبلة .

المناظرات والمناقشات والكراريس حول هذا الموضوع كثيرة كما وان الاراء والحلول متعددة وتختلف من دولة الى دولة أخرى . لذلك فأن الكتاب الذي بين أيديكم يبين المراحل التي مرت بها المرأة في القوات المسلحة في كل بلد ، وأين وصل بها المطاف في الوقت الحاضر ، ولهذا فأن هذا الكتاب يعتبر مصدرا أساسا للابحاث التي يمكن أن تجري على مشاركة المرأة في القوات المسلحة عموماً . لما ينطوي عليه من تجارب مختلفة من حيث النوعية والكمية .

ان تطور خدمة المرأة في القوات المسلحة لم تأت اعتباطا ، وانما جاءت عبر تضحيات نسائية جمة هدفها اثبات قدرة المرأة في مجالات الحرب وامكانية اسنادها للقوات المسلحة . وخاصة في الحرب المقبلة التي يشكل فيها النقص في الرجال معضلة هامة وخاصة للدول التي تعدادها السكاني قليل .

المترجم

الفصل الاول

بريطانيا والحروب العالمية

بقلم
نانسي لورنل كولامان
و
ريشارد ستيتس

الجيل الذي تلا الجيل الاول كان له اتجاهات ومعان أخرى فقد كان هناك تنظيمات نسائية تمريضية تدعى ((خدمات الاميرة الكسندرا للتمريض العسكري الامبراطوري في بريطانيا)) ((QAIMNS)) في عام ((١٩٠٢)) وخدمات التمريض للقوات الاقليمية في بريطانيا ((TENS)) في العام ١٩٠٦ . وكذلك ((صنف الحماية النسائية)) في العام ((١٩٠٧)) ، وبعدها خدمات التمريض الاولية في العام ((١٩٠٨)) .

ان انتقال دور المرأة الرئيسي والذي أخذ حيزاً كبيراً ، خلال الحرب العالمية الاولى ، قد تأتي بصورة تامة من انتقال المرأة من دور التمريض الى الوظائف الاخرىٰ وفي الجدول القادم المرفق يمكن معرفة التغيرات التي حصلت بالنسبة الى خدمة النساء في الجيش .

في عام ١٩٨٠ ، وبعد خمس وثلاثين سنة من انتهاء الحرب ، آخر حرب كبرى خاضتها بريطانيا ، يمكن أن نقول ان خدمة المرأة تعتبر عملاً مشروعاً في القوات المسلحة ، كما وتعتبر أيضاً ينبوعاً اعتيادياً الى امداد القوات المسلحة بالعناصر الدائمية .

AA : قيادة م ط (ACK - ACK) عام ١٩٣٨ (تم استخدام أفراد الخدمات الاقليمية المساعدة ATS في تلك القيادة عام ١٩٤١ .

ATA : النقل الجوي المساعد ١٩٣٩ .

ATS : الخدمات الاقليمية المساعدة ١٩٣٨ (جاءت بعد فيلق الجيش المساعد الذي تم تشكيله من النساء وفيلق الجيش المساعد التابع للملكة ماري ١٩١٨ .

ES : خدمات الطوارئ ١٩٣٦ .

FANY : متطوعات الاسعافات الاولية ١٩٠٧ .

GSVAD : الخدمات العامة ، ارسال الاغاثة الطوعية ١٩١٧ .

MTS : خدمات النقل السيارة ١٩٣٨ .

NSD : قسم الخدمات الوطنية ، الفرع النسوي ١٩١٥ .

QAIMNS : خدمات الملكة الكسندرا للتمريض العسكري الملكي ١٩٠٢ .

QAAC : الجيش المساعد للملكة ماري ١٩١٨ .

RAFNS : خدمات تمريض القوة الجوية الملكية ١٩١٨ .

TENS : خدمات تمريض القوات الاقليمية ١٩٠٦ .

VAD : ارسال المساعدات الطوعية ١٩٠٩ .
WAAC : الجيش النسوي المساعد .
WCC : خدمات النقل النسوي ١٩٠٧ .
WEC : صنف الطوارئ النسوي ١٩١٤ .
WL : المجموعة النسوية ١٩١٥ (أعترف بها رسمياً (١٩١٦)
WLMTS : قسم النقل السيار للمجموعة النسوية .
WRAC : صنف الجيش الملكي النسوي ١٩٤٩
WRAF : القوة الجوية الملكية النسوية ١٩١٨ (أعيد تسميتها الى القوة الجوية المساعدة النسوية ابان الحرب العالمية الثانية) .
WRNS : الصنف البحري الملكي النسوي ١٩١٧ .
WSTC : الهيئات الاقليمية النسوية للاتصالات ١٩١٤ .
WUDR : نساء كتيبة دفاع أولستر ١٩٧٥ .

ان للنساء وحداتهم الخاصة ، كما وان لهن آمريهم ، انهن يلبسن الزي العسكري ، ويؤدين التحية العسكرية ، ويسكن في الثكنات ، ويطعن أوامر مرؤوسيهم من الضباط . ان وظائف الممرضات والحالة هذه قد توسعت منذ العام ١٩٠٠ توسعاً تاماً وخاصة في المجالات الفنية بحيث لم تصبح المرأة وهذه حقيقة ملاكاً للرحمة كما كانت سابقاً تمهد الطريق أمام الرجال لاداء مهماتهم . ان النظرة الحديثة هي أبعد مما ذكر أعلاه ، حيث ان المرأة بدأت تشكل حقيقة وفرصة اقتصادية .

ان خدمة المرأة في القوات المسلحة البريطانية أخذت تشكل لها وظيفة ومصدر رزق أكثر مما تشكل مهمة مثيرة للخيال .

ان الهالة التي تحيط بالاعمال البطولية للنساء يمكن اعتبارها ومعادلتها بالاعمال البطولية

للرجال عن طريق اندفاعها ومهاراتها في حقول أخرى ، وقابليتها المستمرة على العطاء ، وخفة حركتها .

من وجهة نظر أخرى ، فلا تزال المرأة عنصراً مميزاً في القوات المسلحة البريطانية ، ليس من قبل بعض السلطات العسكرية التي تقاوم انتشارها وتشك بمنفعتها ، وانما كذلك من وجهة نظر الجمهور ، هذا بالاضافة الى النظرة نحو المرأة من بعض النساء البريطانيات .

بالرغم من ان المرأة مثابرة فلا زال البعض يعتقد من انها أقل ملائمة للقيام ببعض الوظائف المعينة وخصوصاً العسكرية ، ولكن هناك نظرة أخرى تحبذ وجود المرأة في بعض الوظائف ذات المنفعة الخاصة ، والتي ليس لها علاقة بأدوار الاشتباك القريب خلال المعارك ، وربما تكون هذه الوظائف داخل حدود الوطن ، أو الخدمات النفسية ، أو خدمات الهندسة الالية الكهربائية .

في بعض المجالات ، المجتمع العسكري ربما يشابه المجتمع المدني في بريطانيا ، ولكن المجتمع المدني جيلاً بعد جيل يعود الى الوراء .

ان الينبوع الذي يمكن الاعتماد عليه حول خدمة المرأة في بريطانيا في القوات المسلحة ، يشمل على وثائق هائلة ، وخاصة الوثائق المتعلقة بالمناقشات التي تجري في مجلس العموم وغيرها من المناقشات الخاصة بالقوات المسلحة والبيانات الصادرة عنها ، ان هذه المناقشات يمكن اعتبارها بحيرة متلاطمة الامواج .

يمكن معرفة الكثير من الاراء الحكومية والاراء الجماهيرية الاخرى حول مشاركة العنصر النسائي في القوات المسلحة عبر السنوات .

اننا لانعرف الا القليل حول شعور المرأة وكيف كان تصرفها خلال الحربين العالميتين المنصرمتين وذلك لان معاناة المرأة خلال هاتين الحربين لم تخضع الى البحث ، ولم تخضع مشاعر النساء الى الدراسة الاسلوبية .

عندما نقارن المصادر البريطانية بالمصادر السوفيتية ، سنرى ان الذي حدث هناك كان موقفاً مناقضاً للموقف البريطاني ، حيث ان الادب السوفيتي قد القىٰ الضوء على أعمال المرأة الروسية ، من خلال التجربة العملية ، أو من خلال الذكريات أو من خلال المقابلات ، شارحاً دور المرأة في الجبهة ، ان معظم تلك الكتابات كانت كتابات نقية ، كما وانها كانت في بعض الاحيان تعبر عن آيديولوجية تمجيد حب الوطن .

ان المواد التي بحوزتنا عن المرأة السوفيتية تعطينا الانطباع المخطوء عن معنىٰ البطولة

النسائية . كما وانها قد أعطتنا التصور للأسى والعذاب والمعاناة لهذه المرأة التي قاتلت خلال الثورة الروسية كما قاتلت خلال الحروب العالمية خلال هذا القرن .

أما من الجانب الاخر . فان الرسميين السوفييت والمصادر العسكرية التأريخية على النقيض من الادب . حيث انهم دائماً . في حالة صمت حول التفاصيل عن دور المرأة . كما وانهم صامتون عن الادوار التي لعبتها هذه المرأة في جميع الاصعدة العسكرية علاوة على انهم يعتمون عن الاعداد التي استخدمت خلال تلك الفترات ، وكل تلك الاشياء علينا أن نعرفها قبل القيام بدراسة كاملة عن المرأة السوفيتية في القوات المسلحة وعلى أية حال فان المسح الشامل للرأي العام السوفيتي المستقل يحدثنا بعدم وجود أية معارضة لخدمة النساء في القوات المسلحة . حيث ان الروس يعتقدون بأن الصراع المأساوي يتطلب التكامل في كل الامور مع نسيان الفوارق بين الرجل والمرأة .

مجموع الحاصل في كتابات أحد الكتاب البريطانيين ، تلخص الامر في قضية واحدة هي : ((ان التطور التأريخي في مجالات التمريض لم يوثق ألا بصورة بائسة)) ، وهذا شيء يمكن أن يكون مشابهاً لما حدث بالنسبة للاتحاد السوفيتي .

ان هذا الامر سيبقى خاضعاً للتصور الروائي مالم تظهر دراسات تأريخية موثقة عن الموضوع ، وحتى اذا كانت هذه الدراسات دراسات تحوي على خلاصات معينة .

هناك سؤال مهم وهو : ماهي علاقة الادب السياسي وماهي منافعه للعنصر النسائي ؟

منذ أن كان للعنصر النسائي في بريطانيا خدمات معينة في القوات المسلحة ، كان يصحب ذلك حوار ديمقراطي حر ، في المجتمع يختلف عن الحوار الذي كان يجري في الاتحاد السوفيتي في معظم المقاييس .

ان أي فرد هنا يحاول بطريقة ديمقراطية أن يطعن ويعارض مشاركة المرأة في القوات المسلحة بصورة فاعلة ، وقد تبدو الامور غير منتهية وأكثر تعقيداً من ذلك .

ان حق التصويت للمرأة البريطانية لم تحصل عليه وكما هو بشكله في الوقت الحاضر الا خلال الحرب العالمية الثانية ، والذي كان مطلباً ملحاً منذ الحرب العالمية الاولى . وقد كانت مشاركة النساء حتى في التصويت متأتية بطريقة صعبة كانعكاس لهذه الحرية التي حصلن عليها . خلال العام ١٩١٤ ، وفي فترة الحرب العالمية الاولى تناست النساء أنوثتهن ، وانخرطن في أعمال القتال معاهدين على اسناد المجهود الحربي . وقد شجع ذلك دائرة الحرب والتنظيمات التي كانت تستخدم المجهود الحربي ، والجمعيات الاخرى .

ان النساء في تلك الفترة كن لايعرفن طبيعة مشاركتهن ونوعها وفي أي مجال ولكن كل ماكان هو انهن كن راغبات جداً وجاهزات لمساعدة المجهود الحربي المذكور .

بطريقة تدفع للسخرية كانت هناك وحدات نسائية مستقلة ، وكانت هذه الوحدات وليدة الطبقات العليا ، ممن كن يتمكن من الانفاق على بدلتهن الرسمية والامور الاخرى وحتى عجلات اركابهن الخاصة مثل وحدات الاسعاف الفوري ، غير ان هذا كان بشيراً بأن المرأة البريطانية قد انفتحت لها أبواب المشاركة الفعالة وبنجاح تام في المستقبل ، بالانخراط في صفوف القوات المسلحة ، علماً ان هذا لم يغير أي شئ حول امكانية حصول هذه المرأة على حق التصويت المساوي للرجل في تلك الفترة .

مقارناً بذلك . فان المرأة في الاتحاد السوفيتي بخبرتها الاقتصادية ، وقابليتها الثقافية ، ومهارتها الفنية ، جعلت النظام يصمم على استخدامها في فعالية كبيرة ، هذا ماحصل في عام ١٩٤١ عند اندلاع الحرب حيث استخدمت المرأة بأعداد هائلة وبأدوار مختلفة ، مما كانت تتطلبة الحرب ، أما في بريطانيا ، فان النساء قد خضعن للتعبئة ولكنهن لم يستخدمن الا بنطاق محدود ، خلافاً للاتحاد السوفيتي الذي هو الاخر أعلن التعبئة النسائية ، ولكن الاستخدام كان استخداماً كبيراً ، أما اذا رجعنا الى المجتمعات غير الديمقراطية كالمانيا النازية على سبيل المثال فسنجد أن المرأة نادراً ما استدعيت لاغراض التعبئة أو للاغراض الحربية .

الحرب العالمية الاولى
والمنظور الى فعاليات المرأة في بريطانيا

حتى عند المقرر المقتضب من المصطلحات وتواريخ المعلومات المتعلقة بوحدات النساء خلال فترة الحرب العالمية الاولى . فسنجد ان المؤشرات واضحة بأن كل المعلومات التي نحصل عليها هي معلومات غير مخطط لها ، وانما هناك تداخل يكتنف هذه المعلومات . كما وسنلاحظ ان هناك تقاطعاً في التنظيم لهذه الوحدات ، كما سنلمس عدم الوضوح حول الادوار التي كانت تعهد للمرأة خلال تلك الحرب .

ان الاضطراب الذي ذكر آنفاً كان سببه هو صانعو السياسة التقليديين بالاضافة الى الغموض الذي كان يكتنف مهارات المرأة في تلك الفترة .

ان هذا ناجم بالاضافة الى ماذكر أعلاه من تنافس الصنوف وكذلك من تنافس التقاليد المختلفة في وحدات الاشتباك القريب ، ومن الجدير بالذكر انه كان هناك مالايقل عن سبع وحدات نسائية عاملة في خدمات التمريض .

اذا تفحصنا المعلومات التأريخية فسنجد أن هناك معارضة تامة وحتى العام ١٩١٧ ، ١٩١٨ على اسناد أي دور للمرأة غير أدوار اسناد القوات المقاتلة . هناك الكثير من القصص تروى عن المصاعب والمناقشات التي قادت الى انبثاق وحدات نسائية تعمل في صفوف القوات المسلحة .

ان أول الوحدات النسائية في القوات المسلحة البريطانية كانت تخدم بصفة مدنية ، وكانت هذه الوحدات تعتبر من الوحدات الاحتياطية . في عام ١٩١٤ شكلت مجموعة تدعى مجموعة طوارئ الجيش النسائية وكانت هذه المجموعة عبارة عن مجموعات تعويض للنساء اللواتي يرغبن الخدمة في الجيش أو للحلول محل الرجال الذين كانوا يعملون في الحوانيت العسكرية ، والذين تطلب الامر تجنيدهم .

ان هؤلاء النسوة قد أرتدين الملابس العسكرية بالاضافة الى تدريبهن حسب المناهج العسكرية .

خدمت النساء في فروع المخابرة والمواصلات الموسومة ((WSTC)) ((صنف المخابرة النسائية الاقليمي)) نظم النساء ليعملن على الاجهزة اللاسلكية والراديوية ، ليحلن محل المخابرين في أرض الوطن .

ان النساء في تلك الفترة كن لايعرفن طبيعة مشاركتهن ونوعها وفي أي مجال ولكن كل ماكان هو انهن كن راغبات جداً وجاهزات لمساعدة المجهود الحربي المذكور .

بطريقة تدفع للسخرية كانت هناك وحدات نسائية مستقلة ، وكانت هذه الوحدات وليدة الطبقات العليا ، ممن كن يتمكن من الانفاق على بدلتهن الرسمية والامور الاخرى وحتى عجلات اركابهن الخاصة مثل وحدات الاسعاف الفوري ، غير ان هذا كان بشيراً بأن المرأة البريطانية قد انفتحت لها أبواب المشاركة الفعالة وبنجاح تام في المستقبل ، بالانخراط في صفوف القوات المسلحة ، علماً ان هذا لم يغير أي شيء حول امكانية حصول هذه المرأة على حق التصويت المساوي للرجل في تلك الفترة .

مقارناً بذلك . فان المرأة في الاتحاد السوفيتي بخبرتها الاقتصادية ، وقابليتها الثقافية . ومهارتها الفنية ، جعلت النظام يصمم على استخدامها في فعالية كبيرة ، هذا ماحصل في عام ١٩٤١ عند اندلاع الحرب حيث استخدمت المرأة بأعداد هائلة وبأدوار مختلفة ، مما كانت تتطلبة الحرب ، أما في بريطانيا ، فان النساء قد خضعن للتعبئة ولكنهن لم يستخدمن الا بنطاق محدود ، خلافاً للاتحاد السوفيتي الذي هو الاخر أعلن التعبئة النسائية ، ولكن الاستخدام كان استخداماً كبيراً ، أما اذا رجعنا الى المجتمعات غير الديمقراطية كالمانيا النازية على سبيل المثال فسنجد أن المرأة نادراً ما استدعيت لاغراض التعبئة أو للاغراض الحربية .

الحرب العالمية الاولى
والمنظور الى فعاليات المرأة في بريطانيا

حتىٰ عند المقرر المقتضب من المصطلحات وتواريخ المعلومات المتعلقة بوحدات النساء خلال فترة الحرب العالمية الاولى ، فسنجد ان المؤشرات واضحة بأن كل المعلومات التي نحصل عليها هي معلومات غير مخطط لها ، وانما هناك تداخل يكتنف هذه المعلومات . كما وسنلاحظ ان هناك تقاطعاً في التنظيم لهذه الوحدات ، كما سنلمس عدم الوضوح حول الادوار التي كانت تعهد للمرأة خلال تلك الحرب .

ان الاضطراب الذي ذكر آنفاً كان سببه هو صانعو السياسة التقليديين بالاضافة الى الغموض الذي كان يكتنف مهارات المرأة في تلك الفترة .

ان هذا ناجم بالاضافة الى ماذكر أعلاه من تنافس الصنوف وكذلك من تنافس التقاليد المختلفة في وحدات الاشتباك القريب ، ومن الجدير بالذكر انه كان هناك مالايقل عن سبع وحدات نسائية عاملة في خدمات التمريض .

اذا تفحصنا المعلومات التأريخية فسنجد أن هناك معارضة تامة وحتىٰ العام ١٩١٧ ، ١٩١٨ على اسناد أي دور للمرأة غير أدوار اسناد القوات المقاتلة . هناك الكثير من القصص تروىٰ عن المصاعب والمناقشات التي قادت الى انبثاق وحدات نسائية تعمل في صفوف القوات المسلحة .

ان أول الوحدات النسائية في القوات المسلحة البريطانية كانت تخدم بصفة مدنية ، وكانت هذه الوحدات تعتبر من الوحدات الاحتياطية . في عام ١٩١٤ شكلت مجموعة تدعى مجموعة طوارئ الجيش النسائية وكانت هذه المجموعة عبارة عن مجموعات تعويض للنساء اللواتي يرغبن الخدمة في الجيش أو للحلول محل الرجال الذين كانوا يعملون في الحوانيت العسكرية ، والذين تطلب الامر تجنيدهم .

ان هؤلاء النسوة قد أرتدين الملابس العسكرية بالاضافة الى تدريبهن حسب المناهج العسكرية .

خدمت النساء في فروع المخابرة والمواصلات الموسومة ((WSTC)) ((صنف المخابرة النسائية الاقليمي)) نظم النساء ليعملن على الاجهزة اللاسلكية والراديوية ، ليحلن محل المخابرين في أرض الوطن .

واذا عدنا الى خدمة التمريض في الجيش . فسنجد ان هذه الخدمة قد أمنت للمرأة مدخلاً الى حياة التمريض في ميدان المعركة . لقد كان هذا يعتبر تحولاً صعباً . الممرضات الاول اللواتي تعاملن مع الجيش البريطاني كن أما من منظمة الصليب الاحمر ، أو من المتطوعات الخاصات او المحليات . أو ممن جاءوا من شرائح دينية . ومن الطريف أن نذكر في هذا المجال ان وحدة الممرضات الاسكتلنديات ، لم يسمح لها العمل في الجبهة البريطانية ، ولذلك فقد ذهبت هذه الوحدة الى مقدونيا في جبهة الصرب ، وأخذت تمارس أعمالها التمريضية المختلفة هناك متنقلة في ساحات الحركات وتحت ظروفها . أما ممرضات الصليب الاحمر اللواتي ذهبن الى بلجيكا فقد رفضن من قبل الجيش ، الا انهن لم يعدن وانما قمن بالعمل لصالح كل من البلجيك والفرنسيين .

الممرضة البريطانية ((أديث كافيل)) والتي أعدمها الالمان بتهمة التجسس كانت تعمل في خدمة القوات البلجيكية وحتىٰ قبل وقوع الحرب .

في داخل بريطانيا كان عدد الممرضات قبل الحرب في خدمة القوات المسلحة العاملات ضمن تنظيمي ((ممرضات الملكة الكسندرا)) و ((ممرضات القوات الاقليمية)) لايزيد على ((٢٦٠٠)) ممرضة . ان هذا العدد ازداد خلال العام ١٩١٨ وأصبح بحدود ((٨٠٠٠)) ممرضة . كما وظهرت وحدات أخرى هي وحدات المساعدات الطوعية ، ومتطوعات الاسعافات الاولية ، هذا علاوة على ان التطوع في وحدات الصليب الاحمر زادت عن ذي قبل . فإن معظم هذه الوحدات بعد انبثاقها استخدمت خارج حدود بريطانيا .

ان هؤلاء النسوة وليس كما كان سابقاً كن من الطبقات الدنيا ، ولذلك كان على الجيش أن يدفع لهن الراتب مقابل خدماتهن .

لقد تلى ذلك ووفق متطلبات الحرب وجود عناصر نسائية أخرى ، وقد كان هناك وحدات جديدة تهتم بالاسعاف الفوري وقيادة سيارات الاسعاف . كانت قيادة سيارات الاسعاف في تلك الفترة تشكل للمرأة نكهة خاصة بالمغامرة . أما عند نهاية الحرب ، فان انتشار وحدات النساء حتم أن يكون لهن أيضاً عناصر تمريض نسائية خاصة .

ان أكثر عمل قامت به المرأة البريطانية خلال الحرب العالمية الاولى لمساعدة الرجل بالقرب من جبهة القتال كان قيادة العجلات ، وقد كان يربو عدد النساء القائمات بعملية قيادة العجلات على مالا يزيد على ((١٠٠٠)) امرأة .

ان خلق وحدات عسكرية من النساء . حيث كانت تدفع لهن الرواتب ويمارس عليهن الضبط العسكري من قبل سلسلة القيادة في القوات المسلحة ، ويلبسن البزات العسكرية يعتبر عملية مضرة بالنسبة لهن . اذا ماقيس ذلك بالنسبة الى المتطوعات المدنيات والى الممرضات اللواتي كن بين الحياة العسكرية والمدنية .

في عام ١٩١٥ شكل ((قسم الخدمات الوطنية – الفرع النسوي)) وكان هذا القسم يختص بالتطوع النسوي . ووضع المرأة في مراكز الانتاج الحربي ، لتكون عاملاً مساعداً في مراحل الحرب . وقد لاقى ذلك مقاومة مدنية كبيرة ، بالاضافة الى معارضته من قبل الرجال العسكريين . وكانت هذه المعارضة تعزىٰ الى سببين هما السبب التأريخي والسبب الاجتماعي ، غير ان هناك حقائق أخرى كانت تعاكس وتعمل ضد هذه الاسباب . وباتجاهات أخرى بنفس الوقت ومن هذه الامور الاصرار النسوي والطلبات المستمرة للخدمة في القوات المسلحة من النساء أنفسهن . علاوة على وجود الممرضات كصنف في القوات المسلحة الثلاث ((البرية . البحرية . الجوية)) بالاضافة الى الاحتياج العام للمرأة للتعويض ، والحلول محل الرجل .

في منتصف الحرب . وبالذات في مايس ١٩١٦ ، بعد الخسائر القاسية بالرجال نتيجة المعارك في الجبهة . فقد مرت دائرة الحرب بأزمة التجنيد الالزامي . والاعتبارات الاخرى الخاصة باخراج وتسريح الرجال الذين بلغوا الخمسين من العمر ، ولذلك ففي بداية عام ١٩١٧ كان الجيش جاهزاً لاستخدام العنصر النسائي ليحل محل الرجال الذي سيجري تجنيدهم بغية أرسالهم الى الجبهة ، ولهذا ففي شهري تشرين الاول وتشرين الثاني أسس ((صنف الجيش النسوي المساعد)) ووفقاً لذلك فقد أرسلت حوالي اثني عشر الف امرأة الى القدمات الخلفية وخصوصاً في خطوط المواصلات في فرنسا ، كما وجندت أربعة عشر ألف امرأة للعمل وللخدمة في بريطانيا نفسها .

ان أول مجموعة ذهبت خارج الحدود كانت تتكون من ((١٤)) طباخة من الرابطة النسوية ((WL)) .

في نيسان من نفس العام كان موضوع تجنيد النساء في القوات المسلحة من جملة المناقشات الدائرة في ذلك الحين ، ولكنه لم يقر . في نهاية العام شكل مايدعى ((صنف الجيش الملكي النسوي)) ((WRNS)) وذلك لكي يقوم بأعمال اسناد البحرية الملكية في الواجبات الخاصة بالسواحل . في مطلع عام ١٩١٨ وبعد توسع تشكيلات القوة الجوية الملكية

((RAF)) تشكل مايدعى ((نساء القوة الجوية الملكية)) ((WRAF)) وقد بلغ عدد النساء العاملات في تلك الحقول حوالي ثمانية آلاف امرأة في نهاية الحرب في عام ١٩١٩ ، وهكذا نجد ان المرأة خلال الحرب العالمية الاولى خدمت في ثلاثة مجالات رئيسة في القوات المسلحة ، فهي أما كانت مدنية يدفع لها الجيش ، أو منطوعة لاداء مختلف صنوف الخدمات الساندة ، أو مجندة في وحدات عسكرية نظامية مساعدة وكانت هذه الوحدات هي :

- صنف الجيش النسوي المساعد WAAS
- خدمات نساء البحرية الملكية WRNS
- نساء القوة الجوية الملكية WRAF

مشاكل التكامل
في
العنصر النسائي

للجيش خلال الحرب العالمية الاولى
في الجيش الملكي البريطاني

ان الحرب تشبه الثورات والانقلابات في عدد من الاشكال . فهي تتمخض عن مشاكل وظروف تعبر وبصورة متطرفة على هيئة العناصر التي كان لديها ثبات وشكل معين في المجتمع . بصيغة معينة كانت العادات والاعراف الاجتماعية تتميز بصورة خاصة بتلك الاعراف والعادات المحافظة التي تعود عليها المجتمع في عهد بريطانيا الادوردية ((نسبة الى الملك أدورد)) ولذلك فان تواجد المرأة في القوات المسلحة قد صاحبته ثورة عامة في السلوك .

ان المستويين الاساسيين المعارضين لتكامل خدمة المرأة في القوات المسلحة كانا هما المستوى الاجتماعي ومستوى الدوائر .

المستوى الاول كان ينطلق من مفاهيم تتعلق بأنوثة المرأة ومشاكل هذه الانوثة فالكثير من الضباط البريطانيين عارضوا وجود المرأة في القوات المسلحة تحت ظل العبارة المشهورة التي تنص على مايلي :

((الرجل الانكليزي المحافظ يعتبر المرأة في القوات المسلحة مجرد هراء)) . لقد حاول بعض الجنود أن يبينوا لهؤلاء النسوة مدى تفوق الرجل عليهن خلال الزمالة ، وهذا ماكان يحدث بصورة اعتيادية . كما وحدث وان بعض المجندين كانت لهم أسبابهم القاهرة التي حدت بهم الى ضرب النساء اللواتي جئن للحلول محلهم ، وعلى سبيل المثال فان أحدى الطباخات من قبل رابطة المرأة والتي حلت محل أحد الرجال الذين أسيقوا الى الجبهة،قد أعطل الفرن الذي يعمل فيه . كما حدث بآخر أن يقول للمرأة التي حلت محله ((ان النساء بهذه الحالة يرسلون الرجال الى موتهم الحتمي)) .

الطابع الجنسي ، وما يلحقه ، ضخم كثيراً كسبب ضد خدمة المرأة في القوات المسلحة ومن قبل بعض العناصر في المجتمع البريطاني ، ومهما كان حجم هذا الحضور .

لقد كانت حالات الحمل في صفوف النساء في الخدمة ((٠٠٣٪)) ثلاث في كل ألف امرأة . وهذا كان أقل نسبة من الجانب المدني ، ولكن الحقيقة هي ان الطبقات المتوسطة ونساءها بقيت محصنة في دورها لاتختلط مع الرجال فقط ، وانما لاتختلط مع نساء الطبقات الدنيا . أو المنحدرة من عوائل فقيرة والذي اذا ماكنا عادلين في حكمنا يمكن أن نعتبرهن نساء لهن معنويات أكثر انفتاحاً وخبرة كبيرة في العلاقات مع الرجال .

ان فتيات هذه الطبقة الفقيرة المجندات حديثاً كن لايعرفن الا القليل عن المحرمات والضوابط . عدا الفتيات اللواتي كن سابقاً في الخدمة داخل حدود الوطن ، ان هؤلاء

الفتيات كن يقضين إمسياتهن في الطواف في الشارع ، أو الذهاب الىٰ أحدىٰ دور السينما وعلىٰ الاكثر مع اصدقائهن من الشباب . وقد كتب أحد الاشخاص الذين عاصروا تلك الفترة وشاهد تلك الامور في عام ١٩١٩ مايلي :

((ان هذا الخليط من الطبقات كان مصدر خطر علىٰ القيم الاجتماعية كما هي الحال في ماحصل من التقرب بين الجنسين ، يضاف الىٰ كل هذا مايعرف بالمنظور الرجولي للجندي البريطاني والذي هو مثل جندي المشاة أو الجندي في الخطوط الامامية الفرنسي ، أو جنود المقدمة في أيِّ بلد آخر . كان يصور في بيئة الثكنة وفي وسائل الاعلام علىٰ انه جندي شجاع وعاشق عظيم)) .

لقد بدأت الشائعات تنتشر حول التصرفات والسلوك اللا أخلاقي في القوات المساحة ، وكان مدار الحديث في هذه الشائعات هي : النسبة العالية من حالات الحمل ، الشرب للكحول بصورة مكشوفة مع الرجال ، هذا علماً ان محيط القوات المسلحة له سياقاته القاسية التي لايمكن تطبيقها علىٰ المرأة .

الامهات كن قلقات حول بناتهن اللواتي كن يقبعن ويعملن بعيداً عن بيوتهم من دون رقابة الوالدين . ونصائحها ، وكان عملهن يتطلب تواجدهم في بعض السرايا العسكرية ، لقد حاولت السلطات أن تأخذ علىٰ عاتقها تطبيق بعض الانظمة ، أو المقاييس لاستئصال هذه الاشاعات ، كما سنت بعض القوانين الرادعة حول حركة صنف النساء ، وملابسهن ومناطق سكناهن في المدنية .

لقد كانت بدلات النساء قد نظمت وفق تكوين المرأة المألوف ، وعلى سبيل المثال فقد رفعت الجيوب من منطقة الصدر ، لكي يبدو حجمه أصغر من المألوف ، كما أجبرت علىٰ أداء التحية العسكرية والرموز الاخرىٰ ، وكذلك لتقليل الفوارق الجنسية الظاهرية .

العلاقات الكلاسيكية الخاصة بالرجل الغني ـ والبنت الفقيرة ، كانت هناك محاولات لاستئصالها ، وابطال مفعولها في صفوف القوات المسلحة وذلك بتمديد وضعية التآلف وردم هذه الفجوة بين الضباط والنسوة المجندات . وبطريقة أخرىٰ نظمت ، فعاليات تشمل كلا الجنسين تبين لهم وتشجعهم وتعلمهم الطرق الاعتيادية وما هو طبيعي . في الحقيقة كان هناك عدد من حالات الزواج انبثقت من خارج خبرة واحتكاك الحرب .

وعلىٰ أية حالة فان الحكومة كانت تكافح بشدة كل أنواع الاشاعات المضرة في الجهاز العسكري .

ان سجلات وزارة العمال والتنظيمات الاخرىٰ التي كانت تعتني بالاشاعات ولديها منظور خاص حول مجمل القضية . وذلك عن طريق الاستجواب المباشر ، حققت نجاحاً بقراءة أحدث الكتابات . والاشاعات يوماً بيوم والتي كانت تشكل بعض المعضلات للجهاز العسكري .

ان حجر الزاوية في السياسة جعل ((الملكة ماري)) رئيسة فخرية ، أو رئيسة شرف ، أو قائداً عاماً لهذا الصنف . وقد بقي هذا الصنف يلقب بأسمها حتىٰ بعد العام ١٩١٨ ، وكان هذا الصنف يدعىٰ : ((صنف الجيش المساعد للملكة ماري)) ((QMAAC)) وفقاً الىٰ هذه المعطيات والاجراءات ووفقاً لبعض ماتذكره بعض المصادر فان الاشاعات أمكن تقليلها الىٰ الحد الادنىٰ .

ان تكامل المعاهد والوحدات النسائية كان متلاحقاً ومتداخلاً في الوحدات العسكرية . كما وان كيفية تنظيمهن كانت تعد من المعاضل ، حيث ان التنظيم كان يصطدم دائماً ببعض الفوارق .

ان صناع القرارات من العسكريين ، الذين كانوا يرغبون في التوحيد العسكري كانت غايتهم الاساسية هي استئصال المظاهر الجنسية المختلفة بين الطرفين ، وبهذا العمل يمكن أن تكافح الاشاعات ، أو الاسباب التي تدعو الىٰ الاشاعة . وفي نيسان عام ١٩١٧ صدرت بيانات عن مساعد القائد العام تتضمن للنساء الاستمرارية للخدمة والعمل في القوات المساحة ولكن ، ومع ذلك فقد كان عدد من المعارضين لهذه القرارات ولكنهم كانوا في هذه المرة أقل من ذي قبل .

لقد لبست المرأة البزة الرسمية ، وجرىٰ بناؤها وفق الاصول العسكرية ، وتقاضت مرتباً من القوات المسلحة . كما وارسلت الىٰ خارج حدود الوطن للمشاركة في الحرب ، ولذلك كان هناك صنفان هما المجموعات النسوية ، والمتطوعات ، بالاضافة الىٰ بعض الخدمات النسوية المدنية ، تنظيمات نسوية عسكرية أوسع مما ذكر ، ولكن مما يجب أن يذكر ان الامرين قد كافحوا وحققوا بعض النجاح لمقاومة التحية العسكرية وشجعوا علىٰ عدم ممارستها من قبل المرأة ، ولذلك فان المرأة بدلاً من أن تكون مجندة من جميع الوجوه فان السماح وعدم تطبيق القانون كان هو السائد في بعض الاحيان ، هذا بالاضافة الىٰ انها كانت لاتحمل رتباً ولا علامات مميزة مشابهاً ومساوياً لما يحمله الرجال ، وهذا مما جعل ادارة مجموعات النساء تناط

بالرسميين بدلاً من الضباط . لقد كان يدعىٰ الرسميون الذين يقومون بالاشراف علىٰ النساء ((بالمسيطرين)) أو ((الاداريين)) وهم غالباً ماكانوا بمستوىٰ نواب الضباط . بالحقيقة . ان هيئة النساء العسكريات ، كانت تعتبر هيئة مقدسة غير انها بنفس الوقت كانت غامضة .

لقد جندت النساء خصيصاً للخدمة في القوات المسلحة ، ولكن هذا التجنيد كان يجري من قبل وزارة العمال ، وبواسطة تنظيمات خاصة بالنساء ، حيث كان يعتمد التجنيد على مبدأ : ((العرض والموقع المتيسر للوظيفة العسكرية السوية)) وكن يخضعن الىٰ مختلف القوانين والانظمة الضبطية العسكرية ولهن وظائف عسكرية خاصة ، ومع هذا فكن في ذلك الوقت يعتبرن من العاملات المدنيات ((في الادوار الاولىٰ)) لقد كانت النساء يعتبرن أنفسهن شاكرات للجميل حتىٰ لو كان هناك أقل نظرة موحدة لهن مع الرجال ولو كانت هذه النظرة نظرة جريئة ، أما بالنسبة للغموض فان الكثير من المجندات كن لايكترثن بها ، ولكن علىٰ أية حال فان مسألة الغموض كانت مدار نقاش بين القائمين بالتنظيم وبين السلطات المعينة بالقضية .

البداية كانت من النظرة القائلـــــة :

((ان معاملة المرأة علىٰ انها أنثىٰ يعني الركوع الىٰ مسألة الجنس)) والنظرة المناقضة القائلـــــة :

((ان معاملة المرأة كجندي يعني المتاجرة بالمنظور التقليدي للرجولة بالنسبة للذكور)) .

ملاحظات

هناك ثلاثة مستويات للمفاهيم بالنسبة الىٰ خدمة العنصر النسائي في القوات المسلحة وخاصة في الحرب وهذه المستويات هي : المستوىٰ الجماهيري وآراؤه القاسية ، المستوىٰ العسكري وآراؤه . والمستوىٰ النسائي وآراؤه .

ان القوات المسلحة ، ومن دون أية اعتبارات أخرىٰ ذكرناها سابقاً . كانت سعيدة بصورة تامة بالحصول علىٰ خدمات المرأة وخصوصاً خلال الحرب ، ولذلك فقد كانوا لايرتجفون خوفاً منها . أما التفكير الجماهيري فكان معقداً وصعباً تجاه هذه المسألة ، وجزء من هذا التصور كان هناك احجام لبعض النساء من الدخول الىٰ القوات المسلحة وعدم التوسيع بصنف نساء الجيش بصورة مطردة . وقد جاء هذا التصور الجماهيري من أعمال العنف التي

قامت به القوات المسلحة خلال الحرب . أو ماقبلها . حتىٰ اننا في الايام الاولىٰ من الحرب كنا . كما قالت ((أف ني جبسي)) علىٰ اننا متعبات منها . ومن البدلات العسكرية التي ربما ستحترق علىٰ أجسام النساء .

ان مشاركة المرأة في الحرب . وكما قالت الكاتبة ((جيسي)) التي نوهنا عنها سابقاً قد جعلت المرأة مواظبة . ومطيعة . ومنضبطة . وتحظي باحترام كبير من قبل الاخرين . ان العنصر النسائي عندما اتيحت له الفرصة بالدخول في الخدمة العسكرية في الايام الاولىٰ . بدأت طاقاته في خدمة المجهود الحربي بزخم عال وقد عمل العنصر النسائي ذلك متأملاً أن تخدم هذه الاعمال قضية النساء . وقد خدمت فعلاً قضيتهن .

عدد من النساء اشتركن بالحرب وذلك من أجل اسباب انثوية صرفة وكانت هذه لإراءة قيمة المرأة الحقيقية . ومهاراتها الخاصة ، ومقدرتها علىٰ الانتظام . . ان هذا العمل ساعد كذلك علىٰ تثبيت المرأه في بيئات اجتماعية معينة أخرىٰ .

الصناعات الحربية ساعدت ، وأمدت بصورة هائلة وشخصت الادوار الصناعية للعنصر النسائي . وبرهنت كذلك علىٰ ان المرأة تكون نصف المجتمع ، هذا علىٰ أن بانتهاء الحرب حصلت المرأة علىٰ حقها في الاقتراع .

ماهي الصدمة التي حدثت جراء دخول المرأة في القوات المسلحة ؟ بلغ عدد النساء المشتركات في وحدات القوات المسلحة البريطانية حوالي ((٨٠ر٠٠٠)) مرأة . وكان هذا العدد أكبر من عدد النساء المشاركات في القوات المسلحة السوفيتية بنفس الحرب ((١٩١٤ ـ ١٩١٧)) ويكاد يكون مشابها الىٰ عدد المشاركات من النسوة السوفيتيات في الثورة الشعبية بين عامي ((١٩١٨ ـ ١٩٢٠)) ولكن المرأة الروسية وفي كلتا الحربين قد خدمت بصورة مباشرة بأعمال القتال . فخلال الحرب الاهلية شاركت هذه المرأة بصورة واسعة النطاق سواء علىٰ صعيد العمل العسكري أو علىٰ صعيد العمل السياسي ، أما النساء في بريطانيا فكن مقيدات . وكانت أدوارهن هي أدوار طبية أو في مجال النقل ، أو في المواصلات أو في ادارة البيوت العسكرية . فالنساء مثلاً في صنف نساء القوة الجوية الملكية ((WRAF)) كان لديهن تنظيم يقوم بتنفيذ الوظائف المذكورة أعلاه ولم تعط المرأة في القوة الجوية الملكية البريطانية الفرصة للطيران . كما ولم تعط الفرصة في البحرية الملكية من السفر علىٰ متن السفن الحربية ، كما وانها لم تعط علىٰ صعيد القوات البرية الفرصة لاطلاق الرصاص من البنادق والقنابر من المدافع .

من جهة أخرىٰ نرىٰ ان بعض النساء قد قتلن أو جرحن سواء كان ذلك من شظايا المدفعية أو من قبل غارات الطيران . هذا بالاضافة الىٰ الاشادة بشجاعتهن في بعض المناسبات القليلة لموقفهن الحازم ولجودة ادارتهن ولهذا كان يجب أن يقيم دورهن علىٰ أساس مواصفاتهن والفرص الضئيلة التي أتيحت لهن ، والتي قمن بها بما مطلوب خير قيام .

لقد كانت محلات سكنا هن في معسكرات مكتفية ذاتياً ، وقائمة في مناطق محرمة تحت ظل الاوامر العسكرية ، والضبط العسكري ، وما تحمله تلك الاوامر من صرامة .

لقد كان قادة الوحدات النسائية وخاصة في تنظيم ((صنف الجيش النسوي المساعد)) من نساء الطبقات العليا والمنحدرات من عوائل عسكرية تنتمي الىٰ الضباط كزوجات وبنات ، وكن يتمتعن وفقاً لذلك بخبرة تنظيمية وبقابليات بدنية كنتيجة لهذا الانحدار الطبقي ولذلك فان هذا التمازج في الروابط العسكرية بين تلك الطبقة والمجندات خدم كلاً من المجتمع العسكري والمجتمع البريطاني علىٰ حد سواء ، ولهذا فان النتيجة التي سجلت في ذلك العصر وفق حسابات ذلك الزمن كانت تشكل نجاحاً في سبيل رفع المعنويات بالنسبة للمرأة ، بالاضافة الىٰ معرفة خواصها الفعلية ، ومع هذا فأنه وحتىٰ خلال تلك الفترة لم تعتبر المرأة جزءاً لايتجزأ من القوات المسلحة البريطانية ، ولهذا يمكن أن تعتبر كاستنتاج عام في تلك الفترة ان المرأة غيرت موقع عملها من محل معين لتعمل ضمن القوات المسلحة . لقد تم حل جميع الوحدات العسكرية النسائية بعد أعوام قليلة من انتهاء الحرب العالمية الاولىٰ وبعد تخفيض التسليح في العام ١٩١٩ بصورة كبيرة ، غير ان بعض نساء القوة الجوية الملكية البريطانية بقين في العمل وأخذن يخدمن في الخارج في القطعات القائمة بعمليات الاحتلال في المانيا ولفترة ، أما المنظمات مثل متطوعات الاسعافات الاولية ، ومجموعات قسم النقل السيار ((WLMT)) وكذلك متطوعات المساعدات الفورية فقد بقيت سليمة ولم تصب بأي أذىٰ منذ أن تكونت قبل الحرب .

ان اعادة التنظيم كلياً بصنف النساء الجيش زائداً تساهل الوالدين النسبي في نظرتهم لخدمة المرأة في القوات المسلحة . بالاضافة الىٰ ضمور التنظيمات المعادية فقد شجع المرأة وفسح لها المجال بالدخول الىٰ القوات المسلحة مع زيادة في حجم دورها ضمن هذه القوات خلال الفترة بين الحربين العالميتين . وهكذا تمكن القضاء بصورة تقريبية علىٰ الاشخاص الذين لايؤمنون بالمساواة .

والآن علينا أن نعود الى الوراء قليلا ، لنتساءل ماهي السياسة التي اتبعت بعد أزمة عام ١٩٣٠ ، بدأت المانيا تسليحها ، واقتحمت القوات الايطالية أثيوبيا ، وكانت هناك الحرب الاسبانية الاهلية وأمور أخرى لذلك فقد استحدثت تنظيمات جديدة ، كما واستخدمت تنظيمات تدعى تنظيمات الطوارئ وذلك في عام ١٩٣٦ . في عام ١٩٣٨ ، وهي السنة التي حدثت فيها أزمة ((ميونخ)) انبثقت تنظيمات نسوية مرة ثانية وهي المجموعة النسوية ومنظومة المساعدات الطوعية مع اتساع في صنف متطوعات الاسعافات الاولية ، غير ان الصنف الاخير قد هوجم لان هيكله التنظيمي كان يعتبر غير ملائم ، وكان المجموع العام للمجندات حوالي ((١٦٫٠٠٠)) مجندة و ((٩١٤)) ضابطة في جميع المستويات .

في نفس العام المذكور نظم وأسس صنف الخدمات الاقليمية المساعدة ليقوم بعملية التنسيق والاندماج مع صنف خدمات الطوارئ وليعمل بوظائف مشابهة للتنظيم الاول .

صنف الجيش النسوي المساعد وصنف الجيش المساعد للملكة ماري ، توحدت تحت عنوان الخدمات الاقليمية المساعدة ((ATS)) وكان يشمل أيضاً صنف نساء القوة الجوية الملكية البريطانية غير ان الاخير أنسلخ عن التنظيم الاساسي وأخذ استقلاليته .

الحرب العالمية الثانية
ودور المرأة البريطانية
في القوات المسلحة
نظرة عامة حول الفعاليات

وكما هو متوقع . فان النظرة الىٰ مشاركة المرأة ، ودورها في الحرب العالمية الثانية ، كان أكبر كثيراً مما هوعليه في الحرب العالمية الاولىٰ . ان التنظيمات النسوية المدنية القائمة بالخدمة العسكرية مثل تنظيم متطوعات الاسعافات الاولية ، وخدمات النقل السيارة . بقيت تقوم بأدوارها الاسياسية المستقلة . وبنفس النغمة التي كانت عليها هذه التنظيمات سابقاً ، وقد كانت تدعىٰ هذه الصنوف المجتمع المخملي أو الحريري ، غير ان بعض متطوعات الاسعافات الاولية كانت لديهن مهام خيالية كأعمال التجسس والتخريب في فرنسا المحتلة من قبل الالمان .

وحدات خدمات التمريض المختلفة أصابها التوسع في حجمها وأعدادها وذلك لمتطلبات الحرب التي أصبحت أسلحتها أكثر كفاءة ، وبذلك فان الافراد والحالة هذه يتعرضون الىٰ مخاطر أكثر نتيجة لهذه الاسلحة الحديثة ونيرانها المختلفة ، وعليه يمكن أن نلمس أن تنظيم ((خدمات تمريض القوة الجوية)) ((RAFNS)) كانت تشمل علىٰ مايربو علىٰ ((٢١ر٣٠٠)) مستخدمة ، يعادلها في الحرب العالمية الاولىٰ ((١٣٠)) ممرضة في مراحلها الاولىٰ .

ان أكبر التغيرات جاءت بعد توسيع اشتراك المرأة في صنوف الجيش الرئيسة الثلاثة وهي صنف الخدمات الاقليمية المساعدة وصنف نساء القوة الجوية الملكية البريطانية وصنف نساء البحرية الملكية ، ففي نيسان عام ((١٩٤١)) وبعد عام ونصف تقريباً من بدء العدوان الالماني ، أخذ كل من صنفي نساء القوة الجوية الملكية البريطانية ، والخدمات الاقلمية المساعدة هيئتها العسكرية التامة ، وعلىٰ الورق بأقل التقديرات .

في أيلول من نفس العام وبعد مناقشات مستفيضة ، فتح التجنيد للنساء وذلك للوضع الحرج ومن جراء النقص العددي في القوة الرجالية ، وقد أصبح هذا التجنيد فعالاً في الاشهر الاولىٰ من عام ١٩٤٢ .

في شهر كانون الثاني من عام ١٩٤٣ كان عدد النساء في القوات المسلحة البريطانية يربو على ((٤٥٠ر٠٠٠)) ألف امرأة ، وكان هذا يشكل نسبة قدرها ((٩ر٣٩)) في المائة من مجموع القوات المسحة ، هذا بالاضافة الىٰ ان عدد المتطوعات للعمل قد زاد في خلال هذه الفترة دعماً للمجهود الحربي وبصيغة مدنية .

لقد كان هناك اثنان وعشرون مركزاً لتدريب المتطوعين في أرجاء الوطن بالاضافة الى مركزين لتدريب الضباط النساء في كل من مدينتي (أدنبرة) و (وندستور) وقد أعطيت الرتبة العسكرية الخاصة بالضباط لاول مرة في هذه الحرب الىٰ النساء . وأصبحت المرأة أيضاً خاضعة الىٰ كل القوانين والانظمة والضبط العسكري . صنف الجيش النسوي المساعد سمىٰ بصورة ابتدائية من قبل الاخرين ((بالحشوة)) كمصطلح عام . غير ان النساء رفضن هذه الدلالة اللفظية . للتعبير عن وجودهن في القوات المسلحة . لاسباب كثيرة . وعلىٰ أية حال فكان هناك مالايقل عن ((٢٠٠,٠٠٠)) امرأة تخدم في القوات المسلحة عام ١٩٤٣ بصفات عسكرية خاصة لمهن تربو علىٰ ثمانين مهنة ، وعلىٰ سبيل المثال فكان هناك حوالي ((٣٠٠٠)) امرأة تقوم بأعمال كتابية ((٩,٠٠٠)) بأعمال فنية و ((٣,٠٠٠)) امرأة بأعمال المواصلات . و ((٤,٠٠٠)) بأعمال المطبخ و ((٣٠,٠٠٠)) تقوم بأعمال الترتيب والتنظيم ، و ((١٥,٠٠٠)) سائقة عجلة .

يمكن القول وبصورة تقريبية أن ((٥٧,٠٠٠)) من نساء المساعدات الاقليمية قد استخدمن في وظائف ضد الجو . وبتعبير أدق في واجبات الدفاع الجوي ، وكانت تشمل وظائف الدفاع الجوي السيطرة علىٰ النار وأعمال التفتيش عن التهديدات الجوية ، والتهديف . والمهام الاخرىٰ التي تخص الحركات الجوية .

كانت هناك بطريات ولكن البطريات النموذجية كانت تحوي على ((١٨٩)) رجلاً و ((٢٩٩)) امرأة . حيث قسمت الواجبات بحيث يقوم الرجال بفتح النار بينما تقوم النساء بالاعمال الاخرىٰ . التي تصاحب فتح النار ، وهكذا ، يمكن ان نستنتج استنتاجاً مهماً في هذا المضمار وهو ان المرأة في جزء مهم من مهام القتال التي كانت تتواجد فيها .

لم يترك اليها مطلقاً لتقوم فقط بأعمال المساعد الثانوية . لقد كان صنف نساء القوة الجوية الملكية البريطانية مألوفاً أكثر من بقية الصنوف يتبعه صنف نساء البحرية الملكية .

لقد كان يدعىٰ صنف نساء القوة الجوية البريطانية خلال الحرب العالمية الثانية صنف نساء القوة الجوية المساعدات ((WAAF)) . وكان هذا الصنف يحتوي علىٰ سبع وخمسين مهنة اختصاصية في مجالات النقل ، والمكننة والتصليح ، والمواصلات والحفرة ، والمظلات ، والطبخ . والتصوير ، والرادار بالاضافة الىٰ الاختصاصات الاخرىٰ .

لقد كانت مهمة أخرىٰ في بريطانيا منها السيطرة علىٰ المناطيد والتحكم في عملها ، وذلك من خلال عمليات الدفاع الجوي ، ولكن وكما أسلفنا في الحرب العالمية الاولىٰ فانهن لم يقمن

بالطيران العملي العسكري . ومن السخرية أن للنساء المدنيات في تنظيم ((النقل الجوي المساعد)) خدمن كطيارات وكانت نسبة النساء اللواتي يمارسن الطيران هي ((١٠٠)) امرأة من مجموع ((٨٠٠)) منتسب ، لقد كان طيران هؤلاء النسوة هو القيام برحلات النقل الجوي . وكانت نسبة الخسائر في النساء في العمليات الجوية للنقل هي : ((١٥ امرأة من مجموع ١٧٣)) قتلن نتيجة اسقاطهم من قبل العدو .

ان سحر وفتنة القوة الجوية ، وسمعة طياريها العريضة ، وظروف العمل الجيدة . وثبوت هيئة المرأة فيها ، كلها كانت من الامور التي أخذت بالحسبان عندما كانت النساء ينظرن اليها باعجاب وشعبية .

القوة الجوية كانت تأتي في المرتبة الثانية من ناحية الشعبية من حيث نسبة الشعبية والاقبال عليها والتطوع فيها ، ومع هذا فقد بقيت المرأة في البحرية الملكية بعيدة عن القتال أكثر من نساء القوة الجوية ، حيث ان ثلث نسبة النساء العاملات في البحرية كن يعشن في بيوتهن ، ويذهبن الىٰ أعمالهن كسائقات ، أوككاتبات ، أو لادارة شؤون منازل البحرية أوكخبيرات في أعمال المواصلات العسكرية ، وهذا الوضع كان مشابهاً لوضع المرأة في القطاع المدني ، ولم تقم أية مجموعة منهن بالابحار بعيداً عن أرض الوطن .

مشكلة التوحيد والمساواة

اذا قمنا بمسح عام الىٰ الاراء أكثر من ذلك الذي يجري خلال حرب عام ١٩٤١ فان مايمكن تسجيله هو أن كلاً من الرجال العسكريين والمدنيين كان يعارض تواجد المرأة في القوات المسلحة ، كقاعدة عامة ، وقد أخذت نماذج من النساء العاملات في القوات المسلحة وبعد استفتاء خاص حول تصور المرأة نفسها للخدمة في القوات المسلحة ، كانت الاجوبة تشير علىٰ انهن يتمتعن بنظرة بائسة بين الجمهور .

ان المعارضين من العسكريين كانوا يعللون ذلك بعدم الحضور الفاعل للمرأة في مجريات الامور وهذا ما يشكل مضيعة للوقت وللجهود ، كما انها لم تكيف نفسها بصورة تامة خلال جميع مراحل التدريب ، هذا بالاضافة الا انه لم توجد طريقة لتطبيق القانون عندما تقوم المرأة ((بالفرار)) وعلىٰ أية حال فان المسألة تشكل ثقلاً نوعياً أكثر مما كانت تشكله في الحرب العالمية الاولىٰ .

يتفق الجميع علىٰ أن الحياة العسكرية هي حياة لاتصلح للمرأة الحامل . ان النساء الحوامل العاملات في مجالات النقل جعل الجيش يفكر جدياً بعدم استخدامهن ومهما يكن

الامر . ولما كانت حالات الحمل خلال الحرب العالمية الثانية أكثر من حالات الحمل في الحرب العالمية الاولىٰ . فان خوف الامهات كانت مسألة في محلها ، وخصوصاً بالنسبة للنساء المحافظات لانهن كن يعتقدن ان بناتهن سيفقدن مزاياهن في هذا العمل .

ان الاهتمامات الابوية تجاه البنات قد استمرت لتصبح موضوعاً مهماً في القيادات العليا . ولذلك فان الجيش جرب أن يمزج في وحدات مقاومة الطائرات خليطاً يتكون من النساء الشابات مع رجال في الاعمار المتوسطة وهذا أيضاً لم يتماشىٰ مع المفاهيم الخاصة باختلاط حيث ان الفارق الزمني بين الاجيال لم يشكل في يوم من الايام مانعاً في سبيل الاختلاط .

بعض رجال البرلمان البريطاني ، بينوا ان المرأة هي ((شاطئ الحب الرحب)) هذا وقد قال أحد الخطباء في مجلس العموم محذراً الاخرين مايلي :

((هناك خطر . حول المرأة في الجيش وهو ليس الخطر المتأتي من تواجدها في ميدان المعركة ولكن من المعنويات الهابطة حول مصيرها من قبل الناس في بريطانيا)) .

وعلىٰ أية حال فان السلطات البريطانية قد جندت الفكرة القائلة بارسال المرأة الىٰ المانيا وذلك لاستئصال حالات الاختلاط للجنود البريطانيين مع العوائل الالمانية ، وكان هذا اجراء في محله ويمكن أن يعتبر اجراء حاسماً،لاينكر بأن الاندماج بين الرجل والمرأة خلال الحرب العالمية الثانية في القوات المسلحة كان أعلىٰ نسبة مما كان عليه خلال الحرب العالمية الاولىٰ ولكن هذه النسبة لم تكن عالية جداً وبالدرجة المطلوبة .

ان الزيادة الصغيرة في عمليات الاندماج خلال الحرب العالمية الثانية هي ليست وليدة تكامل في العمل ، ولذلك كانت بهذه النسبة ، ولكن الزيادة جاءت من عدم محاولة الجنسين من الاندماج في العمل .

وعلىٰ سبيل المثال المرأة التي أعطيت رتبة لم تقم بممارسة صلاحية كما وان المرأة نفسها حاولت واستمرت علىٰ الانتماء الىٰ الصنوف التي خطط لها الرجل .

التقارير كانت تصدر بين فترة وأخرىٰ تتحدث عن المعنويات كانت تعني بالرجال وتحجم من المعنويات النسائية ، هذا علماً ان بعض المراقبين الانطباعيين قد ذكروا ان المعنويات النسائية كانت بحالة جيدة في المناطق التي تتاخم مناطق القتال ، واذا أخذنا بطريات ضد الجو كمثال نجد ان البطرية المختلطة من النساء والرجال كانت في حالة متساوية من ناحية المعنويات . وخصوصاً البطريات التي كانت تضم أعماراً رجالية ونسائية متقاربة ، ولذلك كان

العمل يجري بها بصورة جيدة ومن الجدير بالذكر ان وزارة المعلومات قد ذكرت :

((بعيداً عن كل الاشياء فان النساء والرجال في البطريات المختلطة ظهروا بكفاءة عالية وان الرجال قد ثمنوا حقاً دور النساء وقالوا ان النساء كن سباقات في العمل للدفاع عن مدنهن .))

اذا أخذنا جانباً آخر ، فسنجد ان النساء لم يختلطن بصورة حسنة في بعض المواقف . وقضية الرادار هي قضية جديرة بالاشارة اليها ، ومع هذا فلا يوجد أي شهود مضبوطين لشرح لماذا كان ذلك ؟ أكثر النساء أهمية كن متساويات مع الرجال وخاصة من ناحية الاجور .

على الرغم من التمايز العسكري ، ان هذا لم يقرب المسافة بينهن وبين الرجال وبقين بعيدات وخصوصاً في الامور المهمة الحيوية مشابهاً لما حدث خلال الحرب العالمية الاولى . ان السبب الرئيسي لهذا التمايز كان متأتياً من عدم ملائمة تعريف ((المرأة الجندية)) أو البحارة أو القوة الجوية . هذا بالاضافة الى احتوائه على ((انها غير مقاتلة)).ويمكن أن نضيف الى كل ذلك . المسألة المألوفة ، وجميع تفاصيلها . والخاصة بالوحدات وهي مسألة الادوار المزدوجة . والنظرة المزدوجة ، كما وان الاوامر التي تصدرها المرأة تختلف بطبيعتها عن تلك التي يصدرها الرجل .

ملاحظات عامة

عندما نقارن مشاركة المرأة في الحرب العالمية الثانية مع المشاركة التي حصلت خلال الحرب العالمية الاولى . فأن تنامي هذه المشاركة يبدو واضحاً للعيان ومدهشاً للغاية في حقيقة الامر سواء كان على الصعيد العددي . أو في توسع الاختصاصات في مجال العمل .

ان الطريقة الاخرى للنظر الى المشكلة يمكن أن نبينه من المقارنة بين مشاركة المرأة البريطانية بالحرب بتلك المشاركة التي حصلت من قبل المرأة الروسية في نفس الحرب .

في كلتا الحالتين . كان النظام يرغب أن يستفيد من منافع المرأة الاقتصادية . غير ان السوفيت كانوا متقدمين في هذا المجال وذلك بواسطة الصناعات الشاملة والتي انبثقت عام ١٩٣٠ . ان كلا الطرفين لاقى بعض المقاومة في ولوج المرأة الى ساحة القتال وبصورة مباشرة . كما وان كلا الطرفين كان بحاجة الى القوة العددية المتأتية عبر التجنيد الالزامي . وقد حدث هذا في بريطانيا بعد سنتين من القتال تقريباً .

أما في الاتحاد السوفيتي فقد جاء بعد الحرب مباشرة .

اذا قارنا ذهاب المرأة البريطانية الى ميادين فيما وراء البحار فاننا سنجد ما يوازي هذا المدى

جانب السوفيتي هو عمل المرأة وتغلغلها في جميع المناطق الجغرافية الرئيسة في الجبهة نفسها.

ـ تمتلك بيانات قليلة حول ما هي الاسباب التي حرضت ودعمت المراة البريطانية في التوجه الى الحرب. ولكن في الجانب السوفيتي نجد ان وجود الاغتصاب المر للاراضي السوفيتية جعل المرأة تنتمي الى القوات المسلحة لتقاوم الاحتلال. كما وان الفارق التنظيمي الكبير بين الاثنين هو ان البريطانيين قد ألغوا عدداً كبيراً من الفروع النسوية.

مثل النساء المساعدات في القوة الجوية البريطانية ونساء القوة البحرية الملكية. وخدمات النقل الجوي المساعد. الخ. بينما نجد الجانب السوفيتي لا يمتلك تنظيمات مشابهة للتنظيمات المذكورة آنفاً.

ان المرأة السوفيتية قد خدمت اما في وحدات صغيرة تتكون جميعها من النساء. أو وحدات مختلطة كلياً. وهذا يعتمد بالطبع على الموقف العام.

ان النساء الروسيات كذلك يمتلكن قوة مشاركة أكبر قد هيئت سلفاً وذلك للخدمة في القوات المسلحة. وكانت هذه التهيئة تجري في تنظيمات تشابه التنظيمات العسكرية. وقد كانت هذه التنظيمات مألوفة للمرأة السوفيتية علماً ان هذه الوحدات كانت تمارس الضبط العسكري المألوف.

ان المناقشة البريطانية حول وضعية القتال بالنسبة للمراة قد تمخض عن كيف ان التناقض بين السلطات المدنية والعسكرية واضح في هذا الصدد؟

اذا اخذنا التقنية العالمية للحرب العالمية الثانية سيكون لدينا واضحاً بأن هناك وظائف لا يتطلب فيها القتال. قد يتعرض فيها الفرد وخاصة في الايام الاولى من القتال الى الخطر الداهم في الموقف العام مما يمكن ان ينجم عنه خطر حقيقي يمكن تشخيصه بمدى تأثير المدفعية البعيدة حتى على الخطوط الخلفية للمعركة والتي قد تصل الى العناصر القائمة بأعمال الاسناد الاداري ومستشفيات الميدان. والتي كانت الى وقت قريب تعتبر مناطق آمنة. هذا بالاضافة الى ان جميع المناطق كانت معرضة الى التهديد الجوي من قبل القاصفات. حتى اذا كانت هذه المناطق بعيدة جداً عن ساحة المعركة. ويمكن في هذا المضمار ان نضيف صواريخ «V2» الطائرة والتي كانت تشكل تهديداً. ليس الى القوات المقاتلة. ولكن حتى الى المدنيين أنفسهم نتيجة امكانية تعرضهم الى نيرانها.

وبالرجوع الى خدمة مقاومة الطائرات فأن عضوة البرلمان «اديث سمرسكل» قالت:

عدد ونسبة النساء المستخدمات في القوات المسلحة البريطانية
للفترة ١٩٣٩ ١٩٤٥ (حسب الصنوف والسنوات)

التاريخ	عدد النساء في صنف البحرية الملكية WRNS	النسبة في البحرية ٪	عدد النساء في صنف النقل المساعد ATS	النسبة في الجيش ٪	عدد النساء في صنف القوة الجوية المساعد WAAF	النسبة في القوة الجوية ٪	مجموع النساء في صنوف الخدمة الثلاثة	النسبة في صنوف الخدمة ٪
ك' ١٩٣٩	٣,٤٠٠	١,٥٦	٢٣,٩٠٠	٢,٠٨	٨,٨٠٠	٣,٣٩	٣٦,١٠٠	٢,٢٧
ك' ١٩٤٠	١٠,٠٠٠	٢,٩٢	٣٦,٤٠٠	١,٧٢	٢٠,٥٠٠	٤,٠١	٦٦,٩٠٠	٢,٢٦
ك' ١٩٤١	٢١,٦٠٠	٤,٥٩	٨٥,١٠٠	٣,٥١	٩٨,٤٠٠	١٠,٨٠	٢٠٥,١٠٠	٥,٣٩
ك' ١٩٤٢	٣٩,٣٠٠	٦,٤٩	١٨٠,٧٠٠	٦,٥٨	١٦٦,٠٠٠	١٥,٠٦	٣٨٦,٠٠٠	٨,٦٧
آذار ١٩٤٣	٤٥,٠٠٠	٦,٨٧	١٩٥,٣٠٠	٦,٩٠	١٨٠,١٠٠	١٥,٩٦	٤٢٠,٤٠٠	٩,١٣
حزيران ١٩٤٣	٥٣,٣٠٠	٧,٤٧	٢١٠,٣٠٠	٧,١٩	١٨١,٦٠٠	١٥,٨١	٤٤٥,٢٠٠	٩,٣٨
ايلول ١٩٤٣	٦٠,٤٠٠	٧,٩٤	٢١٢,٥٠٠	٧,٣٥	١٨٠,٣٠٠	١٥,٥١	٤٥٣,٢٠٠	٩,٣٩
ك' ١٩٤٣	٦٤,٨٠٠	٧,٨٩	٢٠٧,٥٠٠	٧,١٩	١٧٦,٨٠٠	١٥,٠٤	٤٤٩,١٠٠	٩,١٩
آذار ١٩٤٤	٦٨,٦٠٠	٨,٢٠	٢٠٦,٢٠٠	٧,١٤	١٧٥,٧٠٠	١٤,٩٤	٤٥٠,٥٠٠	٩,٢٠
ك' ١٩٤٤	٧٣,٤٠٠	٨,٦٠	١٩٦,٤٠٠	٦,٦٤	١٦٦,٢٠٠	١٤,٤٤	٤٣٦,٠٠٠	٨,٧٩
حزيران ١٩٤٥	٧٢,٠٠٠	٨,٤٢	١٩٠,٨٠٠	٦,١٣	١٥٣,٠٠٠	١٣,٨٧	٤١٥,٨٠٠	٨,٢٠

المصدر : المكتب المركزي للاحصاء في بريطانيه (عام ١٩٥١ الجدول رقم ١٠)

« بالتأكيد . لا أحد هنا يفكر ولو للحظة ، بأن الالمان سوف يهددون النساء بأجهزة التصويب الموجودة في طائراتهم ، وسوف لا يفرقوهن ويقولون عنهن انهن نساء غير مقاتلات » .

ان الحكومة . في جميع الاحوال ، قد شجعت تعريف النساء على انهن غير مقاتلات .
ان النساء مهما يكن لم يمتلكن البنادق والاسلحة الاخرىٰ ، كما وانهن لا يقمن بأعمال الصولة على موضع العدو . في وحدات خاصة وفي الخط الامامي من المعركة ، أو في السفن المبحرة بعيداً . أو في الدبابات ، أو في أي مكان قتال ، هذا هو كان التصور العام لتعريف غير المقاتلات من قبل الحكومة .

بواسطة التعريف الذي ذكر أعلاه ، فأن النساء حرمن من أي وسام يخص القتال كما لم يحصلن على أي نوع من أنواع التكريم العسكري ، ان أرقام الخسائر للنساء في القوات المسلحة الثلاث كانت كما يلي :

٦٢٤	قتيلاً
٩٨	مفقودة
٧٤٤	جريحاً
٢٠	اسيراً

عدد النساء في صنف الجيش المساعد ابان الحرب العالمية الاولى ، وعدد النساء في صنف النقل المساعد ابان الحرب العالمية الثانية (بالعدد والسنوات)

التاريخ	عدد النساء في صنف الجيش المساعد	التاريخ	عدد النساء في صنف النقل المساعد
آب ١٩١٧	٢٫٣٧٧	ك١ ١٩٣٩	٢٣٫٩٠٠
ايلول ١٩١٧	٣٫٠٩٥		
ت١ ١٩١٧	٥٫٢٤٠		
ت٢ ١٩١٧	١٦٫٢٢٨		
ك١ ١٩١٧	٢٠٫١٩٨		
ك٢ ١٩١٨	٢٢٫٤٧٠	ك١ ١٩٤٠	٣٦٫٤٠٠
آذار ١٩١٨	٣٣٫٠٢٦		
نيسان ١٩١٨	٣٥٫٥٥٣		
آيار ١٩١٨	٣٣٫٤٧١		
حزيران ١٩١٨	٣٥٫٢٣٠		
تموز ١٩١٨	٣٦٫٢٦٠		
آب ١٩١٨	٣٧٫١٤٧		
ايلول ١٩١٨	٣٨٫٤٦٣		
ت١ ١٩١٨	٣٩٫٧٣٣		
ت٢ ١٩١٨	٤٠٫٨٥٠		
ك١ ١٩١٨	٣٩٫٧٤٢		
ك١ ١٩١٩	٣٧٫٩٩٣	ك١ ١٩٤١	٨٥٫١٠٠
شباط ١٩١٩	٣٥٫٦٣٢		
آذار ١٩١٩	٣٢٫٢٠٨	ك١ ١٩٤٢	١٨٠٫٧٠٠
نيسان ١٩١٩	٢٩٫٧٤٠	ك١ ١٩٤٣	٢٠٧٫٥٠٠
آيار ١٩١٩	٢٧٫١٢٩	ك١ ١٩٤٤	١٩٦٫٤٠٠

«يمكن ملاحظة الزيادة المطردة خلال الحرب العالمية الاولى خلال سنوات الحرب ، مع الضمور النسبي في سنوات مابعد الحرب»

اذا قارنا المرأة الروسية بذلك ، فان المرأة الروسية كانت تتمكن من استخدام أي سلاح ، وتقوم بعملية فتح النار ، لان المرأة عندهم كانت تخدم بكل الصنوف بصورة تقريبية ، وفي كل المواقف القتالية ، ومن الجدير بالذكر ان نذكر بعض الوظائف التي مارستها وهي : «قناص ، حامل بندقية ، مطلقة رشاشة سائقة دبابة ، عدد هاون ، طيارة ، ملاحة جوية ، قاصفة ، مدفعية ، وهلم جرىٰ» .

لقد شاركت عشرة آلاف امرأة روسية مشاركة فعلية في الجبهة الاوكرانية ، أو في غابات روسيا البيضاء ، بينما لم يتجاوز عدد النساء البريطانيات المشاركات في فرنسا على عدد أصابع اليد ، وهؤلاء النسوة شاركن في حركة المقاومة السرية وليس في خطوط القتال .

ان العضوات العاملات في الحزب الشيوعي السوفيتي أصبحن مقاتلات ويمثلن وسطاً خاصاً ، وهذا لم يحدث في بريطانيا مطلقاً ولا يمكن أن نجد أسلوباً للمقارنة .

ان الطريق المشرق والحيوي الذي فيه يمكن أن نقوم بالمقارنة العددية للنساء البريطانيات اللواتي كن في المحك مع النساء السوفيتيات هو مجال خدمات مقاومة الطائرات .

ان النساء في هذا الصنف اطلق عليهن اسم «البنات المدفعيات» ، ولكنهن مع ذلك لم يقمن بأية عملية فتح نار ، ولكن ، وهذا مايجب أن يشار اليه هو انهن كن في مجموعات مختلطة مع الرجال الذين يقومون بعملية فتح النار ، ولكن يجب أن نعترف في هذا المجال بأن النساء الروسيات عوضن أكثر من «٣٠٠،٠٠٠» في العمل كرماة للمدفعية ، وقد احتلت المرأة الروسية عدداً من مواقع مدفعية ضد الجو في «موسكو» و «لينين كراد» ، والمدن الروسية الرئيسة الاخرىٰ ، وقد كان للنساء الروسيات ضباطهن ، وكن يعملن في كل الوحدات تقريباً . المصادر السوفيتية تمكنت من أن تتلافىٰ القلق النسائي ، وجعلتهن يتصرفن بشجاعة ، أما الاشياء التي لها علاقة بالجنس ، فقد امكن تلافيها ، ولذلك انطمست بصورة تقريبية ، الا اذا كانت هذه المشاعر مشاعر زواج شرعية ، أو مشاعر ينجم عنها أمومة ، لم يكن هناك نقاش جماهيري حول المعنويات النسائية ، أو حالات الحمل ، كما كان يحدث في بريطانيا ، ان حالات الفوضىٰ أو الخروج عن بعض العادات في بريطانيا كان لايعاقب عليها عقوبة قاسية ، بينما نجد في الاتحاد السوفيتي ان مثل هذه الاعمال كان يعاقب عليها عقوبات قد تصل الى السجن أحياناً ولمدة تناهز عشر سنين .

كان هناك عداء في كلا البلدين من قبل القوات المسلحة الى تواجد المرأة ولكن هذا الشعور



بدأ يضمحل ويتلاشى شيئاً فشيئاً عندما بدأت المرأة تظهر بوضوح فائدتها الى المجهود الحربي . غير ان السوفيت استفادوا من ذلك وأخذوا يضخون المرأة ويستخدمونها في وحدات صغيرة تنتشر مع وحدات الرجال .

في بريطانيا أيضاً كان هناك ضباط خاصون بالنساء ، الا ان الضباط البريطانيين بالرتب الارفع كانوا يعارضون الاوامر الضبطية التي تصدر من النساء المساعدات . وهذا مالا يمكن أن نلمسه من الضباط السوفييت الذكور ولم يشكل أية معظلة تذكر .

ان الاختلافات تعكس . الطبيعة الشخصية العامة لكلا المجتمعين في روسيا . النساء كن ، مألوفات . ليس كلعاملات تقليديات ولكنهن مقاتلات في حركة الثورة الروسية وفي القتال الذي جرى بين الاعوام ١٩١٨ ـ ١٩٢٠ ومهما يكن من أمر ، وبالرغم من الصمت السوفيتي . فكان هناك الكثير من المشجعات في الادب السوفيتي تتناول مشكلة التآخي والتمازج بين الجنسين . ان المقارنة للارقام بالنسبة للنساء اللواتي استخدمن في الحرب لا يمكن أن تحدث بصورة كاملة . وذلك لان الارقام السوفيتية يمكن اعتبارها ارقاماً مبهمة وواسعة حيث قيل ان حوالي مليون امرأة روسية حاربت خلال الحرب العالمية الثانية . وكان «٨٠٠ر٠٠٠» منهن في القوات المسلحة بصورة تامة ، أما البقية الباقية فكن في حركات الانصار .

ان المقارنة لهذا العدد . مع القمة العددية التي وصل اليها الجانب البريطاني يمكن أن تعد ضعفاً . حيث ان الارقام البريطانية تشير الى ان أقصى رقم وصلته المشاركات بالقوات المسلحة هو «٤٥٠ر٠٠٠» وهكذا نجد في نهاية المطاف بأن النسبة المئوية للمرأة في بريطانية كانت «٩ ـ ١٠» من مجموع القوات المسلحة ، وهذا الرقم يزيد بنسبته المئوية عن الرقم السوفيتي الذي يشكل نسبة قدرها (٨) في المائة من مجموع القوات المسلحة . غير ان نصف مليون امرأة سوفيتية كانت حقاً تعمل بالجبهة ، وهذا ، وبصورة معقولة يخدم تعريف المرأة المقاتلة لدى الاتحاد السوفيتي .

ان حالة التعادل البريطانية مع هذا العدد من النساء الروسيات العاملات في الجبهة . يبدو أمراً صغيراً . ولا يمكن أن تكون هناك صيغة للمقارنة .

لم يكن للنساء البريطانيات تقاليد ثورية ، كما ولم يكن لديهن مشاركة واسعة النطاق بالاعمال الثورية ، وكانت لاتوجد لديهن تعبئة خاصة ،

الخدمات النسائية خلال فترات السلام

ان المناخ العسكري الفكري في عام ١٩٤٥ كان يختلف عما كان عليه في عام ١٩١٨ . حيث لم تكن وكما حدث بعد الحرب العالمية الاولى على ان السلام دائم بعد انتهاء هذه الحرب ولاتلوح في الافق بصورة تامة فرص السلام الدائم من وجهة نظر الكرة الارضية المليئة بالاضطرابات . . . .

ان الغاء التعبئة العامة كان شيئاً ضرورياً . ولكن مكتب شؤون الحرب قرر أن يبقي العنصر النسائي في الجيش وقت السلم . لانه كان يعتقد ان هذا العمل يعتبر عملاً مفيداً .

لقد احتاج هذا العمل لمدة ثلاث سنوات كي يذهب الى البرلمان ويجري اقراره بصورة شرعية وفي نفس هذا الوقت بقيت النساء ولكن بصورة قليلة في تنظيم الوحدات الاقليمية المساعدة . وفي بعض الوحدات المتفرقة الاخرى في ت٢ عام ١٩٤٩ صنف نساء الجيش الملكي وهو الصنف الذي كان ينافس صنف الوحدات الاقليمية المساعدة للنساء قد أسس .

كانت الاعمال قليلة في سنوات مابعد الحرب ، والعمليات العسكرية متواضعة . وهذا نجم عنه موقف بامكانه اجراء تنمية مستمرة ولكنها بطيئة ، منذ بدأ تاريخ صنف الجيش النسائي الملكي . والامور تسير ببطء حيث كان هناك زيادة قليلة بالاعمال . وبالاعداد وبالهيئة العامة . وخصوصاً بالنسبة لرتب الضباط في الصنف المذكور . في كل عقد من الزمن يمركان هناك مناظرة وموازنة بين مسؤولي ميزان النفقات وبين الاشخاص الذين يرغبون في توسيع القوات المسلحة . الحركة النسائية التي حدثت في عام ١٩٦٠ وفي عام ١٩٧٠ وبصورة واضحة . بينت تأثيراتها في الجماهير النسائية بصورة عامة . غير انه وبسبب البطالة والارقام الكبيرة التي اتسمت بها دفعت بعض الفتيات والشباب الى أن ينضموا الى القوات المسلحة بحثاً عن مستقبلهم ولذلك فان صنف نساء القوة الجوية وكذلك نساء البحرية بقيت كما هي :

ان أكبر التنظيمات هي صنف نساء الجيش الملكي وقد وضعت الاسس لاعادة تنظيمه بصورة واقعية في عام ١٩٨١ وخلال فترة اعادة التنظيم تمكن المنظرون الحصول على أفضل صورة واقعية للمشاكل التي تصادف المرأة والتي عانت منها في العام ١٩٨٠ .

لقد بينت هذه التنظيمات امكانية الحكم الذاتي لهذا الصنف بصورة متوازية مع الصنوف الاخرى المشابهة . والتي كانت مكلفة مالياً ولكنها ممزوجة بالعنصر النسائي وبخبرته . لقد كان مدير صنف نساء الجيش الملكي برتبة عميد . وهو أعلى رتبة يمكن أن تحصل عليها المرأة في هذا الصنف . لقد استخدمت النساء في وظائف استشارية عديدة . وفي قدمات عالية في

القوات البرية غير ان عدد الضباط من النساء كان لايزيد على «٩٠٠» ضابطة حتى شهر كانون الثاني عام ١٩٨٠ .

ان امتحان ترقية المرأة كان لايختلف مطلقاً عن امتحان ترقية الرجال كما وان الضابطات كن متفوقات وبصورة قليلة في نتائج الدراسة المدرسية على الضباط ، ومع هذا لم يتمكن من الالتحاق في المعاهد والمؤسسات العسكرية العليا وعلى الاخص الكلية الملكية لشؤون الدفاع . غير انهن تمكن من التغلغل في معاهد أخرى . لقد خدمت المرأة الضابطة حتى هذه الفترة في جميع الوحدات التي تحوي على الرجال بكل طاقاتها وكاختصاصية في معظم الاحوال ، كما وانها وصلت الى مركز «آمرة وحدة» .

منذ عام ١٩٧٤ ، النساء اللواتي قدمن طلبات التطوع كان لهن الحق في الاختيار والتفتيش عن العمل الحقيقي الذي يلائم مقوماتهن وقد كان هناك وظائف كثيرة ومتعددة لهن .

لقد كان من متطلبات صنف نساء الجيش الملكي أن يعشن في القواعد والمعسكرات وكان ذلك عبر وحدات مستقلة ، تتسم بحياة العائلة الواحدة .

أما المقرات الرئيسة لهذا الصنف فكانت تقع في كل من لندن ، وفي المانيا ، وكانت هذه القيادات تقوم بعملية ادارة الوحدات من أجل تكاملها التام ، ولكن من الجدير بالذكر ان تطبيق الضبط العسكري على النساء كان يجري من قبل الضباط النساء فقط .

لقد اتسعت الادوار العسكرية التي تقوم بها المرأة شيئاً فشيئاً ولكن ليست بصورة كبيرة ، كما لم يكن هذا الاتساع يتسم بالسرعة . ان المرأة لازال دورها الرئيسي هو العمل في حدود الوطن ، كالتطبيب ، أو السياقة أو الاعمال التي لاتحتاج الى جهد ، غير ان بعض النساء تمكن من الالتحاق بالانضباط العسكري ، أو في العمل الاستخباري .

ان النساء اللواتي شاركن في الاعمال التي جرت في ايرلندا الشمالية يمكن اعتبارهن ، أقرب النساء الى الموقف الحربي . وما دمنا في صدد ايرلندا الشمالية فعلينا أن ننوه أن حوالي «٦٠٠» امرأة شاركت ، وخدمت في كتيبة المعطف للدفاع ، أو مايدعى (الكتيبة يولستر» . ويولستر هي أحد المقاطعات الايرلندية . وقد جاءت التسمية وفقاً لذلك «UDR» وكانت هذه المشاركة في مجال المواصلات . وواجبات مراقبة الطرق ، أو دوريات الحدود علماً ان هذه الواجبات كانت تتم من دون حمل أي سلاح .

ان المغزى الممتع لهؤلاء النسوة . هو ان تجنيدهن قد تم بصورة محلية ووضعن ككتيبة من

ناحية التنظيم البريطاني . من دون الرجوع الى صنف نساء الجيش الملكي . وهذا مايمكن اعتباره شيئاً متكاملاً يبشر بالمساواة بين وحدات الرجال والنساء في القوات المسلحة البريطانية .

ان هذا يعطينا دلالة واضحة مع المؤشرات الاخرىٰ الى النموذج المستقبلي لوحدات النساء . أو وحدات الرجال والنساء المختلطة بصورة متكافئة ومتكاملة في القوات المسلحة .

ان أحدث البحوث السايكولوجية أجريت على المرأة في القوات المسلحة البريطانية شملت مسحاً تاماً لخلفيات هذه المرأة ، بالاضافة على محفزاتها ، وادارتها الشخصية وقد تم هذا المسح على بعض المتطوعات المنتخبات بعناية .

هناك دراستان حديثتان ، بينت لنا الكثير من الخصائص النسائية ، وأهم مافي هذه الدراسة هو عدم الرغبة التامة في التطوع ، ولكن يمكن أن تنتمي المرأة الى الجيش عبر حياة أسرية .

الفتيات اللواتي أعمارهن ست عشرة سنة الى العشرين سنة عندما يقررن أن يلتحقن بالقوات المسلحة فهن ينحدرن عموماً من الطبقات الدنيا أو الطبقة العامة ، مع مواصفات مقنعة هي حصولهن على شهادة مدرسية عليا ، غير انهن مهما كان سبب التحاقهن بالخدمة العسكرية فهن يعتبرن ان هذه الفرصة هي فرصة ثانية للتعلم ، من الناحية الادبية والاخلاقية فإن الدراسة المذكورة أظهرت ان هذا التفكير النسائي للخدمة في القوات المسلحة يعتبر غير منطقي ، كما وانه بنفس الوقت لايعبر عن رغبات البنات المراهقات وعاداتهن المرحة المتمثلة بمشاهدة التلفزيون ورقص الدسكو ، والاستماع الى موسيقىٰ البوب ، النساء ذوات التفكير التقليدي وبعض الرجال الموجودين في مواقع المسؤولية ، في بعض الحالات ، مع الاعتراف الكامل ان هؤلاء ينحدرون من الطبقة العاملة البريطانية يعتقدون أن عمل المرأة في القوات المسلحة في المنطقة والمدن التي كانت تسكن بها سابقاً سوف يتيح لها فرصاً قليلة للنجاح ، ولذلك فأن نجاحها يمكن أن يتأتىٰ عندما تعمل بعيداً عن هذه المناطق وتنتقل من موقع الى آخر بين فترة وأخرىٰ ، مع القناعة التامة في بنائها التام الذي يمكن أن يؤمن لها هذه المتطلبات بالاضافة الى المتطلبات الامنية مع الشعور بأن هذا العمل هو عمل ينطوي على حياة جديدة مليئة بتقحم مجال آخر تتمثل به روح المغامرة ، مع ضمان تكوين عائلة سعيدة ضمن المجتمع ، أو بمجتمع خاص متألق . ان كل تلك الاشياء التي ذكرناها يجب أن تعطي الشعور بأن الحياة الجديدة المليئة بهذه الاشياء تمثل أموراً كانت النساء يفتقدنها في مواطنهم الاصلية .

الطلاب الذين يعنون بالتقدم الاجتماعي يمكن أن يدركوا هذه المنظومة الجديدة وكيفية اصطدامها بالمجتمع البريطاني عبر الجيش الجديد ، وخصوصاً بالنسبة لعوائل الطبقات الدنيا . التي ستصبح في جيش المستقبل شيئاً مهماً ، وبالخصوص النساء اللواتي لم يكن لديهن شيء يذكر من الانوثة .

ان مشكلة المرأة خلال خدمتها في ظل السلام ومستقبلها وما يترتب على ذلك من سؤال حول ملائمتها أو عدم ملائمتها . فان المسألة قد تبدو معقدة جداً . في منتصف عام «١٩٧٠» وبعد مسح عام على النساء ظهر ان معظم النسوة قد اشتكين من مشكلة التدريب الابتدائي القاسي . والاجراءات حول الحركات الممنوعة ، والمراقبة التامة للسلوك والتصرفات . وهذه الاشياء كانت تبدو من وجهة نظر المرأة نفسها غير واقعية وليس لها علاقة بالنسبة لفعالياتها في المستقبل .

وعند السؤال حول المجالات في مايخص المرأة وعملها في القوات المسلحة فان الاستجابة كانت تسير الى الاعمال التالية :

«سائق . مدرسة رياضة . انضباط عسكري» أما الاشغال والوظائف الاخرى فكانت تأتي بالدرجة الثانية وتلاقي حماساً أقل ، وهذه كانت «كاتبة . مديرة شؤون ثكنة» كما كانت وظائف أخرى مثل «طباخة» تمثل أقل من ذلك لان هذا العمل وكما هو معلوم يحتاج الى مهارة خاصة . ولكن معظم النساء كن يعتقدن أن مهنة الطبخ توفر لهن مستقبلاً جيداً .

لقد كان هذا المسح قد بين أيضاً بأن هناك فجوة كبيرة بين المجندات من النساء وبين الضابطات من ناحية التفكير . ومن ناحية الطبقة الاجتماعية ولكن كان هذا لايشكل أية معضلة في أية حال من الاحوال .

ان معظم النساء في القوات المسلحة البريطانية هن في عمر الشباب ، واذا أخذنا عينة احصائية فسنجد ان «٥٠٪» من النساء أعمارهن اثنتان وعشرون سنة . أو أقل من ذلك بقليل . أما نسبة «٣٦٪» فهن بين العشرين ـ والرابعة والعشرين هذا علماً ان الضابطات على العموم بأعمار أكبر من تلك الاعمار التي ذكرناها سابقاً بقليل . هذا التقارب بالاعمار يعتبر على العموم مساعداً على عدم انغلاق الضابطات على المجندات ، وايجاد علاقة خاصة بين تسلسل الرتب سيما وان هناك تقارباً بالاعمار يمكن أن ينجم عنه تقارب فكري .

ان الاجابات لهذا المسح بصورة عامة كانت تشير الى القناعة بالعمل العسكري اذا ماقسنا العمل العسكري بالاعمال الاخرى ، كما وان هناك فرصاً متاحة للعمل العسكري أكثر من تلك

الفرص المتاحة للاعمال المدنية الاخرىٰ والتي تحمل طابعاً محترماً .

ان نسبة الخدمات بالنسبة للنساء كانت «٥٥ر٢٪» بينما كانت نسبة الخدمات بالنسبة للرجال هي «٩ر٤٪» وهذه الخدمات تكاد تكون متشابهة للخدمات المدنية من ناحية دورتها الزمنية . اي ان المرأة في الحياة المدنية تتدرج من منصب الى منصب ومن وظيفة الى أخرىٰ وهكذا بالنسبة الى القوات المسلحة .

العاملين من النساء في القوات المسلحة يمارسون نوعاً من الاعمال أو يقومون بالتدريب ومن ثم يغادرونَ القوات المسلحة ، وذلك بسبب الفرص القليلة المتاحة للترقية ، وقلة الاعمال الجيدة ومحدودياتها ، وعدم المرونة والقضايا الاخرىٰ ، غير ان ذلك هو جزء من الحلقة المفرغة .

ان معظم النساء ينسلخن من القوات المسلحة «أكثر من النصف تقريباً» عند انتهاء فترة التطوع ، وهناك نسبة من هذا الانسلاخ تخضع لعوامل اجتماعية حيث ان نسبة «٨ر٢١٪» يغادرون القوات المسلحة بصورة طائعة بعد الزواج .

ان الزواج بالنسبة للمرأة لايمكن أن ينسجم الابصعوبة مع مستقبل المرأة في القوات المسلحة في الوقت الحاضر ، ان معظم النساء في القوات المسلحة يبتغون كما يبتغي الرجال أعمالاً ، جيدة ، ترقية سريعة ، فرصاً للسفر ، والتنقل من مكان الى آخر ، هذا بالاضافة الى اعطائهن فرصة لاختيار العمل الذي يستهويهن ، أو أختيار مكان العمل ، كما يبتغين في النهاية المرونة .

ان المرأة التي تدرك الامور التي ذكرناها ادراكاً تاماً ، وتضعها من ضمن أهدافها المستقبلية ، ومن ثم لاتشبع رغباتها ، بتنفيذها أو الحصول عليها فانها سرعان ماتترك القوات المسلحة بعد انتهاء فترة التطوع ، ولهذا العمل فان الجيش سيكون محطة للاستراحة - أو للتوقف بالنسبة الى الكثير من النساء ، ومع هذا فخلال فترة وجود المرأة كمتطوعة في القوات المسلحة تكون قد كسبت وبما لايقل الشك ، الكثير وفي هذه الحالة فان الجيش يكون قد دفع قائمة حساب هؤلاء ، هذا الحساب الذي يتضمن نفقات تدريبهن واقامتهن .

ان القوات المسلحة ترغب أن تجذب المرأة وتجعلها باقية في الخدمة ، لكي تستثمر مواهبها ، ولكنها من وجهة نظر أخرىٰ تصطدم بالمتناقضات الخاصة بتقديم فرص عمل مناسبة لهن ، وترقيتهن بالصورة المرغوبة وبنسبة معقولة . ومتىٰ ما أعطيت المرأة فرصة تكافئ فرصة

الرجل فانها يمكن أن تنافس الرجل بشدة ، وبطرق ملموسة أكثر مما يجري في الوقت الحاضر .

ان من أفضل الطرق ، أو واحدة منها ، لتذليل مشكلة الانسلاخ في القوات المسلحة هو اعطاء مرونة اكثر في قضية (الجندية المتزوجة) ومن هذه الطرق ، هو اعطاء المرأة اجازة بدون راتب لمرافقة زوجها الى مكان عمله الجديد ، أو نقلها الى مكان عمل زوجها عند امكانية ذلك .

ان المشكلة الاخرى بالنسبة الى المرأة هي مشكلة الحمل . والتي لحد الان لا توجد أية بوادر جدية لحلها ، حيث لاتزال القوانين بهذا المضمار سارية المفعول وهو انهاء خدمة المرأة عند معرفة حالة حملها ، ومعرفتها من قبل الجميع .

ماذا يمكن أن يحمل المستقبل ؟

اعتيادياً ، يمكن أن نشخص الامور ونحكم ، اذا كانت هناك مناظرة مستفيضة من قبل السلطات العسكرية حيث يكون فيها جانبان متناقشان هما النساء من جانب ، والرجال من الجانب الاخر ، ان الامور المقترحة للمناقشة يمكن أن تتضمن مايلي :

- اعادة تقييم المرأة في القوات المسلحة في وضعها الحالي مع تقديم الضمانات والدعم .
- تأمين الدفاع الشخصي بواسطة تسليحها بالسلاح الملائم بعد تدريبها عليه ، ويمكن أن يقود هذا التدريب الى دور ملائم لها خلال القتال .
- التدريب على الطيران لمنتسبات صنف نساء القوة الجوية الملكية .
- رواتب عالية مساوية الى رواتب الرجل مما يضمن سلامة عيش المرأة ومستقبلها في القوات المسلحة .
- اعطاء فرص كبيرة في مختلف الاعمال . والوظائف مع زيادة في الرتب ، كما ويجب أن ترقى لاكثر من رتبه عميد .
- فسح المجال أمامها لفرص ثقافية أكثر . وفتح الباب أمامها للدخول الى جميع المعاهد العسكرية وعلى سبيل المثال دخولها الى «الاكاديمية العسكرية الملكية - في سانت هيرست» ، وهي أفضل أكاديمية معروفة لتدريب الضباط .
- امكانية فرض الضبط العسكري على النساء من قبل الرجال من الضباط كما يجب ممارسة الضباط من قبل النساء على الرجال .

ان شيئاً واحداً يمكن أن ينبثق من الاقتراحات أعلاه بعد مناقشتها هو ان المفكرين والكتاب البريطانيين قد عجزوا عن تقديم الحلول ، وذلك لانهم لايعرفون مايحدث في

المجتمعات الاخرىٰ . وخصوصاً الولايات المتحدة الامريكية . العميد «ايلين نولان» التي كانت تعمل كآمرة لصنف نساء الجيش الملكي ، تعهدت بالتكامل التام للنساء ، وثبتت مشروعاً اقترحه البعض . وخلاصته : «ان الطريق نحو التكامل التام يجب أن يتم بطريقة بطيئة ولكنها معتدلة وتحمل في طياتها كل القوة» .

ان التكامل التام للنساء فقط هو الذي يجعلنا نشعر ، وبصورة تامة ونتأكد ، من ان المرأة أخذت مكانها الكامل في القوات المسلحة في المستقبل .

ان المشروع أعلاه يبدو انه ولد حرارة كافية من أجل تدريب المرأة وفسح المجال أمامها لبعض الادوار القتالية في المستقبل هذا من جهة ، أما من الجهة الاخرىٰ فكان هناك مايمكن أن ندعوهم «بالميلشيات» والتي كانت وعودهم تحمل الكثير ، حيث انهم يريدون تطبيق النموذج الامريكي في التدريب للقتال ، وهم بذلك حسب مانعتقد يقدمون فكرة عامة غامضة حول حرية المرأة التي تقضي بالمساواة التامة في كل المجالات .

ان الولايات المتحدة الامريكية ، عهدت الى المرأة أدواراً كثيرة وأكثر من الادوار العسكرية التي عهدت اليها في بريطانيا ، بالرغم من اعترافهم بالتمايز ، الذي لم يمنعهم من تكليف المرأة ببعض الواجبات والادوار القتالية . أما اذا تناولنا الخبرة السوفيتية واليوغسلافية من دون جميع الخبرات ، فسنجد ان الخبرات الباقية ضعيفة تجاه هذه الخبرات في مناقشتنا الاولية .

أما اذا اهمنا بالمناقشة ثانياً فسنجد ان هذه التجارب تعطينا القوة والحجة في النقاش .

ان معظم الذين ناقشوا قضية المرأة كانوا عموماً يعارضون اشتراكها في القتال الفعلي ، ومن الطريف أن هذا الرأي كان هو رأي معظم النساء العاملات في القوات المسلحة ، ليس على صعيد القوات المسلحة البريطانية فحسب وانما تشمل الاراء في جميع الجيوش ، الا ان هذا الرأي ، وكغيره من الاراء خاضع للتغيير ، وان تغيره يمكن أن يكون سريعاً ، وسوف يتقبله معظم الناس .

ان الزيادة في عدد المتطوعات في الجيش ، يعني التطلع النسائي الى الخدمة في المعركة في المستقبل ، ومن هذا ستبدأ صعوبات ساخنة حيث ان المعركة المقبلة ، وليس على غرار الحروب القديمة ليس فيها موقف دفاعي وموقف هجومي وذلك ناتج من نوع الاسلحة التي ستستخدم فيها . وهذا يتطلب أن تستخدم المرأة وبأعداد كبيرة في العمليات القتالية .

ان بعض السلطات العسكرية ، تقترح دوراً للنساء في الحرب القادمة منطلقة من المبدأ

العالمي القائل ، ان قانون الحرب لايفرق بين المرأة المقاتلة وغير المقاتلة ، وحتىٰ لوكانت المرأة غير مقاتلة فعلاً ، وتعمل بحقل بعيد عن القتال ، ولكنها عند انتمائها الى القوات المسلحة ستعامل على أساس انها قوة بشرية من مكونات الجيش .

هناك مشكلتان اجتماعيتان انبثقتا في المجتمع البريطاني منذ عام ١٩١٤ ، المشكلة الاولىٰ هي مشكلة تكامل أعمال المرأة ، وأدوارها خلال الحرب وما ينبثق عنها من مواقف والتي جابهت النساء بعضها خلال الحرب العالمية الاولىٰ والثانية في الاعوام ١٩١٤ ، ١٩٣٩ ، أما المشكلة الاخرىٰ فهي تدرج وثبوت المرأة والتحاقها بالمجتمع العسكري ، مع الاخذ بنظر الاعتبار خبرة الحرب .

من الواضح ان دور المرأة في القوات المسلحة سيكون محدوداً ولكنه مفيد أما ماهو حجم هذا الدور المفيد فمن المستحيل أن نتنبأ به الان .

ان المرأة خلال الاشتباك القريب كان دورها قليلاً ، ولكن ربما سيتغير هذا في الحرب المقبلة .

خلال السلم مشكلة تكامل المرأة قد حلت بواسطة المشروع الذي نوهنا عنه ، ولذلك فان أي واحد منا ، على الاقل ، يمكن أن يتوقع مشاركة أفضل وأوسع للمرأة في مختلف الفعاليات بالاضافة الى اسناد القوات المسلحة بالطاقات البشرية وذلك لقلة الافراد من الرجال والاختصاصيين والكوادر الاخرىٰ .

ان مشكلة تكامل المرأة في القوات المسلحة أثيرت خلال الحربين العالميتين ولكن لم تناقش للتوصل الى حلولها بطريقة أسلوبية علمية .

لقد كان التعامل مع قضية المرأة يجري عند حدوث بعض الكوارث في الجبهة والاحتياج العام للرجل .

في هذه الايام ، التي تعتبر أيام هادئة . فأن القوات المسلحة والنساء ، طلقاء وأكثر حرية لاجراء التجارب ، والتخطيط وجمع البيانات ، والتحليل ، والمناقشة ومن ثم محاولة تذليل الصعوبات الرئيسة المتعلقة بالعلاقات الانسانية والعلاقات الاخرىٰ بين الرجل والمرأة في صفوف القوات المسلحة .

ان أكبر شيْ في هذه الايام ، أخذ يبتعد عن ساحة الذهن ويتلاشىٰ هو الخوف من الفوارق في البناء الجسمي لكلا الطرفين لخدمة الطموح الاقتصادي العام للقوات المسلحة وتجاوز التعقيدات العائلية ، وبعبارة أخرىٰ ان النساء في القوات المسلحة البريطانية هن الان

مثار اهتمام المجتمع بصورة كبيرة .

ان كلاً من المخططين العسكريين والمدنيين وصانعي القرارات يحاولون ايجاد صيغ جديدة لادوار المرأة في القوات المسلحة ، تخضع بمجملها الى طبيعة المرأة وقابليتها على الحركة بالاضافة الى ماتفرزه الحياة العائلية المعقدة من مشاغل كبيرة .

لايوجد لحد الآن أي حل متأكد منه ، ولكن الاجوبة على التساؤل الذي ذكرناه سابقاً . هي أجوبة أكثر واقعية وستكون واقعية بشكل فاعل مع مرور كل سنة .

الفصل الثانى

المانيا والحروب العالمية

للكاتب جي . أم . تيوتن

دون يوليوس قيصر نمط الحرب لكثير من القبائل الجرمانية خلال الفترة الواقعة بين الاعوام ٥١ وحتىٰ ٥٧ قبل الميلاد . ومنذ ذلك الوقت وحتىٰ يومنا هذا ، لايوجد أية سجلات أخرىٰ تتناول استخدام المرأة الالمانية في عمليات القتال الفعلية .

في الواقع ان الالمان ، محافظون بشكل متطرف ، بصدد استخدام المرأة في الوظائف العسكرية ، وشبه العسكرية أيضاً . حيث عكست روح المحافظة هذه الحقيقة القائلة : «بأنه في عام ١٩٧٠» فقط تم قبول أول أمرأة في جيش المانيا الاتحادية بصورة عسكرية بحتة .

يناقش البحث هذا تأريخ توظيف المرأة في الادوار شبه العسكرية خلال القرن العشرين في محاولة لتوضيح أساس الممارسة والتجربة الالمانية والتنبؤ لما ستكون عليه في المستقبل .

خلفيات القرن العشرين

(تريغور دبيو) دون كيفية اعادة ولادة العسكرية الالمانية وبصورة ممتازة في كتابه المرسوم «عباقرة من أجل الحرب» .

فخلال مسيرة اعادة بناء هذه القوات ، كانت هناك قاعدة قوية لتزويد الجيش بالضباط ، كما وان هؤلاء كانوا خير من يديم قابلية هذا الجيش الحركية . .

خلال النصف الاخير من القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين كان الجيش «البروسي» الملكي ، بشكل خاص ، والجيش «البافاري الملكي» ، «والسكسون» وجيش «ميرتبرنج» هي الجيوش المقادة من قبل قادة موالين الى الطبقة الارستقراطية ، المتشوقين الى الشرف والامجاد العسكرية ، والمجندين أن يكون هذا الشرف القتالي مقصوراً على الرجال بصورة حاسمة . في نفس الوقت ، فان جيران المانيا من الشعوب الاوربية ، كانت تميل الى اجراء بعض التغيرات على المفاهيم السابقة والعادات المتوارثة ، لكي تجعلها أقل تأثيراً على مجمل الجهاز العسكري . ويمكن أن نعزىٰ هذا الى انعكاس الديمقراطية على القوات المسلحة بصورة عامة . الفترة الواقعة بين الاعوام ١٨٥٠ ـ ١٩١٤ ، يظهر انها حملت تقدماً قليلاً ولكنه ثابت في مضمار ، حقوق النساء في فرنسا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة الامريكية ، بالاضافة الى المانيا ، ان التفرقة بين الرجل والمرأة على اساس الاختلاف الجسماني كان لاينظر اليه بصورة كبيرة وخاصة بين الشعوب الغربية الصناعية ، غير ان ذلك منع من استخدام حواء في حرب كبيرة ، ولذلك فكان لايوجد أي جيش من هذه الجيوش يحوي على العنصر النسائي المجند .

الحرب العالمية الاولىٰ

لا المانيا ولاخصومها تمكنوا من أن يدركوا منظور شدة واستمرارية الحرب العالمية الاولىٰ . الحروب الاوربية القديمة خلال النصف الاخير من القرن التاسع عشر ، شخصت علىٰ انها حروب مناورة على نطاق واسع يتبعها نصر حاسم ينهي عمليات الاشتباك الجزئية . بنفس الدرجة التي تنهي بها الاعمال العدائية . النصر ، يعني بشكل أو بآخر ، فرض بعض المطالب المحدودة على الدول التي خسرت الحرب واندحرت فيها عسكرياً .

ان هذه المطالب كانت غالباً لها علاقة بالاقتصاد الوطني . وكانت الضرائب قليلة بدرجة معقولة . حيث ان ادارة الحرب واستمراريتها كانت غير مكلفة ، وان فتراتها تعتبر فترات قصيرة ، هذا بالاضافة الى ان التجهيزات والذخيرة وماتتطلبه الحرب من مواد قليلة ، يجري تداولها بخبرة قليلة .

في الحقيقة خطة «شليفن» التي كانت البداية للحرب ، قد صممت بصورة جيدة ، وقد تمكنت هذه الخطة من تأمين نصر سريع . لم يكن هناك مجد حربي ، ومجد سريع وحاسم كهذا المجد سابقاً ، حيث لم تضيع الاموال الوطنية وتتبعثر نتيجة طول الحرب ، أما مايقابل ذلك فقد وجدت كل من فرنسا والمملكة المتحدة ، وروسيا ، وايطاليا أنفسهم انهم أزاء حرب غالية التكاليف تتطلب استنزافاً عالياً في الطاقة البشرية والمواد ، وهذا ماكان موجوداً لديهم مجتمعاً . ومالا يمكن أن تتقبله المانيا ولايتمكن أن تتحمله آلتها العسكرية حيث لم يكن لالمانيا أية مراكز انتاج ، ولاطاقات بشرية يمكن أن تعتمد عليها ، والمتأتية من وراء البحار . وهذا مايشمل المواد الاولية أيضاً ، وهذا الوضع يعتبر وضعاً مغايراً الى كل من فرنسا والمملكة المتحدة . حيث ان بريطانيا كان لها السيطرة التامة على البحار ، ولذلك ، ونتيجة لهذا الوضع نجد المانيا قد فرضت وضعاً خاصاً على مراكز انتاجها الصناعية والاكثر من هذا ، فان هذا حدث بنفس الوقت الذي أخذت تجند به الرجال بصورة مضطردة لكي يحلوا محل الخسائر التي حدثت في الجبهتين وليرصنوا المواضع أيضاً بغية حماية الخطوط القتالية .

نتيجة لهذا الوضع ، فقد ابتدأت أعداد النساء في الزيادة في الاعمال الصناعية الالمانية . ولكن هذه الاعداد لم تكن مساوية لاعداد الرجال الذين كانوا في مواقع صناعية ، كما لم تتمكن المرأة الالمانية من تعويض الرجال بهذه المصانع بصورة تامة ، لانها كانت تفتقر الى المهارات والخبرات التي كانت لدىٰ هؤلاء الرجال الذين أصبحوا في عداد الجيش الامبراطوري .

عام ١٩١٦ . الموقف البشري والقوة العددية المتناقصة جعلت الفيلدمارشال «هندنبرغ» يسأل الحكومة أن يشمل قانون العمل ، والقوانين العمالية الاخرى النساء أسوة بالرّجال وذلك لزيادة الكبيرة للنساء في المعامل . مع الزام النساء بالعمل أو بفرضه عليهن ، غير ان هذا لم يرق لمستشار الرايخ ، كما وان هذا الاقتراح قد عارضه «اتحاد التجارة» المسيطر عليه من قبل الرجال علاوة على معارضته من أكثرية نسائية مطلقة ، وعبر الكثير من المنظمات النسائية المنتشرة في المانيا آنذاك ، الا ان «هندنبرغ» قد حصل على «خدمات الاحتياطي الوطني» وذلك في شهر كانون الاول عام ١٩١٦ وهذا يعني ان الرجال المواقعة أعمارهم بين السابعة عشر والستين من العمر خاضعون ومجبرون على العمل بكل الاحوال .

عندما أصبح واضحاً بصورة شرعية أن جميع المقاييس التي طبقت لزيادة عدد النساء في المعامل كعاملات في مختلف شؤون الصناعة قد فشلت فقد بادر مكتب الحرب الالماني ، وأسس مركزاً يدعى «مركز العمل النسائي» وذلك لتأمين النساء المتطوعات من أجل العمل في المصانع . ومن ثم توزيعهن حسب الحاجة .

تقارير «شيلدر» تبين ، بأنه في نهاية الحرب كان هناك عدد تقريبي يقدر بـ «٧٠٠ر٠٠٠» امرأة تعمل في مجال الصناعات الحربية جرى توظيفهن من قبل المركز النسائي المذكور .

الاحتياج الى القوة العددية المستمرة لتغذية الاعمال العسكرية جعل الاركان العامة الالمانية تتخذ اجراءات متطرفة في ربيع عام ١٩١٧ ، وكما جاء في الصحافة الألمانية فقد نوشدت المرأة لتقبل بعض الوظائف في الجيش ، ولتخدم في الخطوط الخلفية من الجبهة ، مقدمة أولاً الاسناد الى الجيش . ومن ثم التحرير الافراد العاملين في الخطوط الخلفية ، بغية ضخهم الى الجبهة .

لقد كانت هناك مفاجأة ولكنها معقولة خلال هذه الحرب حيث شكل تنظيم يدعى «النساء المساعدات في المناطق الخلفية» ، وقد تضمن هذا التنظيم منهجاً ملائماً لهؤلاء النساء .

كنتيجة لذلك فان مئات من النساء الالمانيات جرى تأمينهن للعمل في المناطق الخلفية وفي بعض الحاميات ، كعاملات اعتياديات تدفع أجورهن الاعتيادية حيث كان استخدامهن يجري لاغراض التجهيز بالمواد والذخيرة في مراكز خاصة بذلك ، هذا بالاضافة الى أعمال المرأة الاعتيادية في المستشفيات ومختلف الوظائف لذلك وعلى سبيل المثال لا الحصر استخدامهن كعاملات في بعض شعب الاركان العسكرية ، ومن الجدير بالذكر ان معظم النساء اللواتي خدمن في هذا المضمار كان انحدارهن الطبقي من الوسط العمالي .

ان النساء العملات في المناطق الخلفية كانوا يسكنون ثكنات مختلفة . ولم يرتدوا البدلة العسكرية . ولم تكن لديهن أية رتب أو بناء عسكري . والامر من هذا انهن لم يعتبرن في القوات المسلحة . وكانت النظر اليهن هو انهن مستخدمات من قبل الجيش . كما وانهن لم يتدربن على السلاح مطلقاً . أو يمارسن أي نوع من أنواع الفعاليات العسكرية . ومهما يكن من أمر . فانهن كن يفضلن أن تكون هذه الادوار موكولة الى الجنود لتنفيذها .

ان خدمة النساء في المناطق الخلفية ونجاحهن في هذا العمل شجع الاركان العامة الالمانية ليباشروا بمشروع مواز آخر . يختلف عن الاول من ناحية البناء التنظيمي . وذلك بتدريب النساء المتطوعات ليحلن محل الرجال الجنود في صنف المخابرة . في المناطق الخلفية . أو في المناطق الداخلية التي تحتوي على مراكز المواصلات . ان أول وجبة من المتطوعات بدأن التدريب في شهر مايس ١٩١٨ . وعند حلول اجراءات وقف اطلاق النار التي حدثت في شهر تشرين الثاني الذي أعقبه كان هناك بحدود «٥٠٠» امرأة تتلقىٰ التدريب على أعمال المواصلات . أو أكملت تدريبها . وبأنتظار فرصة للمشاركة . غير ان وقف اطلاق النار لم يدع لاية أمرأة من اللواتي تلقين التدريب على أعمال المخابرة أن تستخدم فعلياً في هذا المجال .

وكما هو الحال في نساء المناطق الخلفية . لم يكن التدريب العسكري جزءاً من التدريب الذي نصت عليه المناهج . ولذلك يمكن أن تعتبر المرأة وحتىٰ في هذا المجال بأنها كانت على هامش الجيش ولم تكن جزءاً لايتجزأ منه .

ان أكبر القطاعات التي كان يجري فيها استخدام المرأة هو قطاع الخدمات التمريضية الامبراطوري . حيث ان عدد النساء في هذا القطاع كان بحدود «١٠٠ر٠٠٠» ممرضة . خدمن في المانيا نفسها . أو في كل من المناطق الخلفية في فرنسا . وبلجيكا والساحات المتفرقة الاخرىٰ .

الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا ، كان لديهما هيئة خاصة أخذت طابعاً معيناً بالنسبة لعمل المرأة في التمريض عبر القوات المسلحة . وهذه الحقيقة قد جاءت من تجربة الحرب الاهلية الامريكية . والذي طبقت خلال الحرب العالمية الاولىٰ خلافاً للفكرة الالمانية التي تعتبر الممرضة في مجال القوات المسلحة . عبارة عن موظف مدني تقوم بخدمة الجيش من دون اضفاء أي طابع عسكري عليها .

ان نسبة «٩٠٪» من الممرضات اللواتي خدمن في الجيش الالماني قد جرىٰ تأمينهن من قبل الصليب الاحمر . أما النسبة الباقية فقد اخذرن من المؤسسات الدينية .

خلال ماتقدم يمكن أن ندرك الموضوع على النحو التالي خلال الحرب العالمية الاولى . وهو ن الالمان خلال هذه الفترة كانوا يعارضون استخدام المرأة في الفعاليات الحربية . ولكن عندما صبح هذا الاستخدام ضرورة ملحة بسبب النقص العددي في الرجال كانوا دقيقين في استخدامها . كما لم يتقبلوا فكرة تجنيدها أو تطوعها .

الجندية هي مجال عمل الرجال فقط . المرأة يجب أن تخدم ولكنها لاتخدم كجندية مطلقاً .

فترة مابعد الحرب العالمية الاولى

ان اهم المؤشرات التي أعقبت العقد الزمني الذي تلا الحرب العالمية الاولى هو الخروج من الازمة الاقتصادية بصورة منتظمة تدريجية . خلال تلك الفترة فان النساء في البلدان الصناعية كن يتمتعن بالعمل وحصلن على بعض الفوائد وخاصة في المجال الاقتصادي والاجتماعي . واذا عدنا الى المرأة الالمانية بعد هذه الحرب فسنجدها قد حصلت على حق الاقتراع عند بلوغها العشرين من العمر . هذا علماً ان هذا المكسب قد جاء بعد ازاحة القيصر عام ١٩١٨ .

في عام ١٩٢٩ . كانت نسبة النساء في المجلس الوطني الالماني هي «٦ر٧٪» وهذا العدد اذا ماقارناه بالعدد في بريطانيا لنفس السنة فسنجد ان النسبة هي «٢ر١٪» في مجلس العموم البريطاني ونسبة «١ر١» في مجلس اللوردات . وعلى أية حال فان معظم النساء اللواتي تركن بيوتهن . وخدمن الوطن في شتى المجالات ومنها مجال الصناعة . قلصن أعمالهن . بعد انتهاء الحرب . وأخذن يتمتعن بأختيار العمل المناسب تحت ظل حرية خاصة مناهضة للعادات الالمانية التي كانت سائدة في زمن الامبراطورية . وقيمتها التي طمرتها المدنية الحديثة . ولهذا فان موجة من عدم الارتياح والشك أخذ يصاحب هذا التحرر من قبل العناصر الالمانية المحافظة . ومشابهاً الى كل المحافظين في أوربا الغربية وحتى في الولايات المتحدة الامريكية نفسها .

خلال هذه الفترة . ربما يكون أكثر المعارضين الى مشاركة المرأة في الاعمال هو حزب العمال الوطني الاشتراكي «NATIONAL SOCIALIST GERMAN» الذي كان ينمو وئيداً في المانيا ولقد كان الحزب النازي بقيادة «أدولف هتلر» . وهو يعتبر المنظر الفكري لما يجب أن تكون عليه المرأة الالمانية في المستقبل . وعلى أية حال فقد كانت فكرة «هتلر» بالنسبة الى المرأة فكرة تبدو انها تقلل دور المرأة وهذا ناجم ومنبثق من اعتقادات «هتلر» المتطرفة ومن خلفياته .

بكلمة بسيطة . كانت فكرة تنبع من فكر العنصر الارى المتسيد . لذلك فان النساء هن أمهات هذا العنصر . وان دورهن في المستقبل هو دور الانجاب والتكاثر والامومة . وقضايا

البيت وبهذا فان عالم الرجال سيكون هو العالم ذو المجال الرحب لكل الاعمال سيما وان المرأة ستقتصر على الامور التي ذكرت أعلاه . وكأستنتاج عام فان الرجال سيكونون هم المقاتلين . أما النساء فستكون مهمتهن هو انجاب هؤلاء المقاتلين .

ان المجاهرة بأدوار المرأة المقبلة أعلن عنها بصورة عالية ولعدد كبير من المرات وذلك قبل وبعد تسلم الحزب النازي للسلطة ، عام ١٩٣٣ . الا ان موقع الحزب النازي في المانيا قد تعزز كنتيجة للاحداث والانهيارات التي حدثت في المانيا عام ١٩٣٠ حيث أعلن هذا الحزب ونتيجة لوجود الملايين من الالمان العاطلين عن العمل من الرجال بأنه سوف يعيد النساء الى بيوتهن عند تسلمه للسلطة ، مما سيفسح المجال للرجال بتسلم أعمالهن .

ان الحزب النازي لم يكن ، على وجه الخصوص ، جاداً في هذا الاعلان سيما اذا علمنا ان معظم النساء العاملات كن متزوجات من عمال ، ولذلك فلا يمكن ضمان موالاة العمال من الرجال لهذا الاجراء . ولكن الحزب شجع وبصورة مطلقة زواج الفتيات من أجل انجاب الاطفال الآريين . وعلينا أن نوضح في هذا المجال ، ان هذه الاراء وحتىٰ عندما تسلم الحزب النازي السلطة لم تترجم الى واقع عملي ولم تفرض كسياسة يطبقها الجميع . وعلى أية حال فان هذه المعتقدات كان لها تأثير كبير على المجتمع الالماني وحتىٰ سقوط الرايخ الثالث . وهذا شيء لايمكن انكاره مطلقاً .

المانيا قبل الحرب . وتحت سلطة الحزب النازي

في عام ١٩٣١ . «الرايشتاغ» مجلس النواب الالماني أقر قانون خدمة وتطوع العمال . و مايس عام ١٩٣٥ عندما تمكن الحزب النازي من السيطرة كلياً على «الرايشتاغ» أقر قانونين مهمين . الاول كان في صالح القوات المسلحة والذي من خلال بنوده يأتي الدعم الكامل لها . وكان هذا يخص التجنيد الالزامي للرجال والنساء على حد سواء في حالة نشوب أية حرب بين المانيا وجهة ثانية . وفي الحقيقة كان هذا مجرد قانون نظري حيث ان السلطات الحاكمة كانت تعارض تجنيد المرأة منذ سن هذا القانون في عام ١٩٣٥ وحتىٰ لحظة سقوط الرايخ الثالث وانتهاء الحرب العالمية الثانية . في حزيران عام ١٩٣٥ أقر قانون خدمة العمل الوطني وهذا القانون جعل جميع الشباب الالمان خاضعين الى خدمة الزامية قدرها ستة أشهر بصيغة عمال . وهذا ارتفع الى مدة سنة بعد ذلك . وقد جرىٰ بأسرع مايمكن تطبيق هذا القانون على الرجال حيث جرىٰ استخدامهم وفق منهج خاص للخدمة كعمال أما النساء فلم يطبق عليهن هذا القانون وترك الامر لهن للتطوع في حال حصول الرغبة للعمل وحتىٰ حلول العام ١٩٣٩ .

وبالرغم من الاحتياج الالماني الخدمات واحتياج الدولة الى العاملات في شتى الحقول فأن عدد النساء اللواتي كن في الخدمة في هذا المضمار وحتى السنين الاخيرة من الحرب لم يتجاوز «١٥٠٫٠٠٠» عاملة من الشابات .

في عام ١٩٣١ كانت المانيا تعاني من أزمة بطالة . غير ان هذا الوضع قد تغير عند حلول العام ١٩٣٦ حيث ان الاحتياج الالماني كان يشعر بوجود نقص في العمال مع العلم انه قد أمن فرص العمل للجميع . وبهذا فان المسلكين الوحدين لها كان أما قبول النقص العددي والاحتياج العام أو القبول بمبدأ خدمة المرأة كعاملة . ومن الجدير بالذكر ان هذا النقص وهذه المشكلة أصبحت أعظم واكثر قساوة عندما دقت الحرب أجراسها .

الحرب العالمية الثانية

ان المرأة خلال الحرب العالمية الثانية في المانيا كانت تشكل عنصراً متعدد الواجبات في القوات المسلحة عبر تواجدها في الحاميات المنتشرة في معظم أرجاء هذا البلد . لقد استخدمت المرأة والرجل كذلك للحلول محل الاعداد الكبيرة من الرجال الذين جرى تسويقهم لاعمال القتال . وكان هذا الاستخدام يأخذ صيغة مدنية في كل الاحوال . وكان أكثر مجال لعمل المرأة خلال تلك الفترة هو استخدامها في المقرات العليا ووحدات التجهيز والحاميات .

ان عمل المدنيين مع القوات المسلحة في الميدان كان محظوراً بصورة خاصة . ولذلك فان معظم الاعمال التي أنيطت لهؤلاء كانت تشمل الخدمة في القدمات الخلفية التي تتداول الامور الادارية . في بداية الحرب قدر عدد النساء العاملات في الجيش بـ «١٤٠٫٠٠٠» امرأة . وكان ثلث هذا العدد تقريباً يقوم بالاعمال الكتابية . أما البقية الباقية فكان يقوم بالاعمال العمالية المختلفة الاخرى .

لم تكن هناك أية خطط أو اهتمام . باستخدام المدنيين للعمل مع الجيش المتواجد في الميدان . أو القطعات المقاتلة الاخرى بأية حال من الاحوال ومع ذلك فان الانتصارات السريعة خلال الاعوام ١٩٣٩ أو ١٩٤٠ جعلت المانيا تسيطر على مساحات واسعة من الارض . وكانت هذه تحتاج الى اسناد اداري . ومايصحبه من تدفق في المواد الى المناطق المحتلة الجديدة في معظم أوربا . لقد أصبح واضحاً في ظل الوضع الجديد ان الطبيعة الساكنة لاستخدام المرأة في أسناد القوات المسلحة سوف لن تخدم المجهود الحربي بصورة كبيرة . ولذلك ظهرت الافتراضا كلداعية الى تحوير دور المرأة في هذا الشكل من أشكال الاسناد .

ان تأمين العمال الرجال كان يجري بتأجير المدنيين المحليين . للقيام ببعض الاعمال التي

لاتتطلب السرية غير ان هذه الاعمال كانت لاتشمل محاولات العمل الكتابية لهيئات الركن . والمنظومة الادارية .

بعد سقوط فرنسا في أيدي الالمان بدأ يظهر عدد غير قليل من النساء في الوحدات العاملة هناك . غير أن هذا الحضور كان غير مصرح به بصورة رسمية . وعلى أية حال . فأن هؤلاء النسوة كن في معظم الاحوال زوجات العسكريين أو صديقاتهن . وهذا مما حدى بالسلطات العسكرية الرسمية أن تصدر وصايا خاصة بهذه الحالة . كما ونظمت وسنت هذه السلطات قوانين عمل جديدة تدعو الى عدم استخدام المدنيين . بالاضافة الى جعل المرأة عنصراً لايناط به أي واجب قتالي . واعتبارها عنصراً مساعداً ووفق هذا المنظور . فان النظرة الى المرأة كانت تشبه بصورة عامة . النظرة التي أحيطت بها خلال الحرب العالمية الاولى .

الخدمات النسائية الساندة

في القوات البرية الالمانية

في بداية الحرب العالمية الثانية كان منتسبو صنف المخابرة يقدرون بحدود «١٢٨ر٠٠٠» جندي . الا ان هذا الرقم قد أرتفع وأصبح يقدر بـ((٢٢٠ر٠٠٠)) وكانت هذه الارقام تشمل العاملين في البدالات التلفونية .

ان قابلية المرأة على ادارة مثل هذه الاعمال كانت عالية . ولذلك فان السلطات الرسمية قد فكرت بأن تحل المرأة محل الرجال الذين يقومون بمثل هذه الاعمال . علماً بأن النساء في المانيا كانت لديهن خبرة مشابهة قبل نشوب الحرب في هذا المضمار ، حيث كان الكثير منهن يقمن بأعمال متشابهة ولسنين عديدة .

ان هذا الوضع جعل الجيش يفكر جدياً بأن تكون المرأة مساعدة في هذا المضمار ، ولذلك شكل تنظيماً يدعى ((خدمات المخابرة النسائية المساعدة)) والذي كان مشروعاً قائماً منذ عام ١٩١٨ . كما نوهنا عنه سابقاً . ولكنه لم يطبق بسبب انتهاء الحرب ، لقد جاء قرار تطبيق هذا التنظيم بصورة عملية خلال أواخر عام ١٩٤٠ .

ان هذا المشروع القاضي باحلال المرأة محل الرجل ، وجعل الرجل يذهب الى جبهة القتال قد لاقى بعض المقاومة . حيث ان الكثير من الرجال كانوا متزوجين ، ولهم حياة عائلية مستقرة في بيوتهم القريبة من مجال عملهم كما وان النقاش كان يدور حول امكانية تسخير الطاقات النسائية الشابة في أعمال مشابهة ولكن خارج حدود الوطن التي كما كان يبدو أحسن من بعض الطاقات الرجالية للكهول .

على أية حال . فقد استدار الجيش الالماني الى منظمة الصليب الاحمر لتأمين الطاقات النسائية . وكان الشيء ممكناً تأمينه سيما وان ((هرمن كونغ)) أصبح مسؤولاً في عام ١٩٣٨ عن ((الخطة الرباعية)) وتنظيم العمل والذي أصدر أوامره بامكانية الاستفادة من ((المرأة المخابرة)) في شتى المجالات خلال سنة العمل .

ان سنة العمل التي جاء بذكرها سابقاً تعني الزام المرأة بالعمل سنة واحدة غير منقطعة في مجال العمل المناط بها من دون أخذ رأيها بنظر الأعتبار وهذا يمكن اعتباره شيئاً غير شرعي . ولذلك فان الكثير من النساء جرى استخدامهن في الزراعة أو لادارة البيوت . لمدة سنة واحدة . أما سنة العمل بالنسبة الى الخدمات الاخرى كالتمريض . والتدريس . والخدمات الاجتماعية الاخرى فيقضي أن تكون الخدمة فيها لمدة سنتين .

ان الاعمال الزراعية الصعبة . ومشاكل ادارة البيوت جعل الوظائف الاخرى أكثر جاذبية للمرأة . وكان مركز ثقل هذه الجاذبية هي أعمال التمريض وهكذا نجد في العام ١٩٤٠ . بأن الصليب الاحمر كانت لديه أعداد معقولة من الممرضات جاهزات للخدمة لمدة سنتين .

السلطات العسكرية العليا توصلت الى اتفاق مع منظمة الصليب الاحمر الالمانية وجعلتها توافق على تغيير . عمل أعداد ملائمة من الممرضات . ومن ثم تدريبهن وتعليمهن على قضايا المواصلات في القوات البرية ومن ثم ربطهن بتنظيم الخدمات النسائية المساعدة . وعلينا في هذا الصدد أن ننوه من الصليب الاحمر كان يقدم المساعدة التامة من أجل جعل المرأة الالمانية تتقبل هذا العمل الجديد بدلاً من العمل القديم والمتضمن مهنة التمريض . حيث ان معظم اللواتي . كن في هذه المهنة هن من المتطوعات الراغبات في قضاء سنة العمل في هذا المجال .

لقد جرى كما ذكرنا نقل أعداد من هؤلاء النسوة الى المحيط العسكري . وأخذن يمارسن أعمالاً مشابهة للاعمال العسكرية . وهكذا أصبحت الممرضة المتطوعة مخابرة في جيش الرايخ الثالث .

ان الدخول الى تنظيم المرأة المخابرة . كان لايعني دخول المرأة بشكل سهل في هذا الصنف حيث أن هناك الكثير من الامور كانت تجري وأولها الاختيار ومن ثم الفحص الطبي الدقيق . ودرجة المعنوية . بالاضافة الى المستوى الامني . وعلى أية حال . فان الاعمار لهؤلاء النسوة كانت بين الثامنة عشر والرابعة والعشرين . كما وكان من حق الجيش أن يعيد أية أمرأة غير ملائمة للعمل وفي أي وقت من الأوقات .

بعد أن يتم أختيار المرأة لهذه الخدمة ونجاحها بالفحوص المارة الذكر كان يجري تدريبها بصورة أولية على العقائد النازية السائدة آنذاك ومن ثم تلحق الى مدرسة صنف المخابرة النسائية في منطقة ((جيسين)) حيث تعيش في ثكنات عسكرية . وتتدرب على أعمال البدالات الهاتفية والبرقية . أو كمشغلة جهاز اتصال . . . ومن الجدير بالذكر ان مدرسة ((جيسين)) الخاصة بخدمات المرأة المخابرة كانت تعتبر المركز الاساسي لضخ المرأة المخابرة الى القوات البرية الالمانية بصورة عامة .

ان ملائمة البدلة العسكرية للمرأة قد جرى حلها بصورة سهلة . حيث أخذت المرأة ترتدي البدلة الرمادية الخاصة بالصليب الاحمر كزي رسمي لها . مع رفع شارة الصليب الاحمر واحلال الشعار القومي الالماني محلها . حيث كان يطرز باللون الفضي على الجهة اليمنى من الصدر سواء كانت هذه المرأة ترتدي المعطف . أو السترة . أو البلوز .

أما غطاء الرأس . فكان غطاء الرأس الشائع في القوات المسلحة حيث انه كان يعتبر ملائماً لها بالاضافة الى وجود شعار ذهبي على الكم الايمن : وهذا كان شعاراً خاصاً بالنساء المخابرات .

بالاتفاق بين الجيش والصليب الاحمر كانت الرواتب والامور المعيشية الاخرى التي يؤمنها الجيش تشابه تلك الامور التي كان الصليب الاحمر يتبناها . كما وانها كانت مشابهة الى الالتزامات المدنية وخاصة تجاه الممرضات . أما الرتب التي كانت متداولة في صنف النساء مخابرات المساعدات فهي كما يلي :

- جندي
- جندي أول
- نائب عريف
- عريف
- عريف درجة أولى
- رأس عرفاء
- ملازم

ان الرتب المارة أعلاه كانت ترتديها النساء على الاكمام . ولكن من الجدير بالذكر ان هذه الرتب كانت عبارة عن رمز للترقية وليس رموزاً معتمدة بالنسبة للعسكرية . حيث انها لا تحمل أية درجة من درجات امكانية اصدار الاوامر .

كان يجري استخدام النساء المخابرات كجماعات متقاربة . ولم يسمح لهن بالاختلاط مع الجنود الذين يقومون بأعمال مشابهة لعملهن . هذا كما نصت الاوامر . أن أية مجموعة نسائية عاملة في مجال المخابرة يجب أن لا تقل عن خمسة نساء . وهؤلاء جميعاً تحت ادارة امرأة .

عندما جرى استخدام المرأة المخابرة في المناطق المحتلة خارج المانيا كان لا يسمح لها أن تغادر محل عملها الا بشكل «زوج من النساء» أو على شكل مجموعة . كما وأمنت لها عناية طبية فائقة . وكان لهن أطباء عسكريون . الا ان التقرير الذي رفعه «شلدر» يشير الى ان ساعات العمل الضائعة من النساء متأتية من حالات مرضية . وهذه تعادل أربع مرات لحالات الرجال ولكن مهما يكن من أمر فقد أشارت تقارير أخرى ان الحالات المرضية في هذا الصنف قليلة جداً .

ان التنظيم الذي بدأ في أواخرعام ١٩٤٠ لصنف النساء المخابرات العاملات في الجيش ضمن ساحة الحركات وصل الى «٨ ر ٠٠٠» امرأة مخابرة عند حلول عام ١٩٤٢ . كما وأصبح صنفاً مستقراً حتى نهاية الحرب .

لقد خدمت المرأة الالمانية في جميع الاقطار . التي كان يوجد فيها تواجد الماني مسلح . ابتداء من اليونان وانتهاء بفلندا . الا ان العمل عليهن كان محظوراً في الجبهة الروسية خوفاً من وقوعهن بيد الانصار . أو من فعاليتهم المباغتة .

بعد قليل من تشكيل صنف النساء المخابرات المساعدات . شكل تنظيم آخر يدعى «تنظيم الموظفين المساعدين» وكان هذا التنظيم يعتمد بالاساس على العاملات المدنيات للحلول محل الجنود الالمان في الحاميات العسكرية الالمانية . بعقود عمل أمدها لا تقل عن سنتين . كما نصت لوائح الخدمة على ان المرأة المتزوجة ربما لن تحصل على الوظيفة في نفس محل اقامتها . بالاضافة الى عدم قبول خدمتها بالقرب من محل عمل زوجها .

ان أقل عمر مقبول لهذه الوظائف كان هو التاسعة عشر . بالاضافة الى خضوع المتقدمات الى فحص طبي صارم وفحوص أمنية أخرى .

البزة الرسمية لهؤلاء كانت تشبه البدلات الرسمية التي ترتدي من قبل المخابرات المساعدات . وكانت نفس الامور المطبقة على الصنف الاخير تطبق عليهن حيث ان العناية الطبية العسكرية كانت موفرة لهن .

كان اسكانهم يجري بصورة مجتمعة وكذلك أعمالهم منظمة على شكل مجموعات لا تقل بأية حال من الاحوال عن خمس .

كانت الاعمال المناطة بهن متعددة الا ان ثلث هؤلاء النسوة كن يعملن في مجال الاعمال الكتابية في المناطق المحتلة من دول أوربا الغربية . وهكذا بدأت المرأة تحل محل الرجل في الكثير من الوظائف غير القتالية في الساحة . ومن الغريب ان الخدمة حتى ولو كانت خارج المانيا بالنسبة الى هذا الصنف فان السلطات العسكرية أصرت على عدم الاعتراف معتبرة اياها نوعاً من الخدمة الوطنية فقط .

لقد كان عدد هؤلاء النسوة يقدر بحدود «٥٠٠ ر ١٢» امرأة مساعدة منتشرات على جميع أجزاء الساحة الاوربية في أقطار غريبة عن موطنهن وذلك عند نهاية عام ١٩٤٢ . هذا علماً ان هذا الرقم بقي محافظاً عليه بصورة جيدة حتى نهاية الحرب

المساعدات في القوة الجوية

ان القوة الجوية الالمانية كانت حقلاً آخر من الحقول التي خدمت فيها المرأة الالمانية بكثافة . مع العلم ان المرأة في مجال عملها هذا كانت تعتبر أقرب ما يكون الى الخدمات القتالية .

بدأت القوة الجوية الالمانية الحرب مع وجود أعداد كبيرة من النساء المدنيات في صفوفها . وكانت أكثر الحقول لعمل المرأة فيها هو حقل المواصلات ومراقبة الطائرات والارصاد الجوية على وجه الخصوص .

لقد تلى استيلاء المانيا على اوربا الحاجة الملحة الى مكافحة الارهاب الجوي الحليف والمتأتي من الغارات . وقد نجم عن هذا التهديد وجود الكثير من القوة العددية الرجالية التي كانت الحاجة اليها تزداد يوماً بعد آخر . ولذلك ومشابهاً لما حدث للقوات البرية فقد أسس صنف نساء القوة الجوية المساعدات . وقد جرى تدريبهن وتنظيمهن على نفس الاسس التي تبنتها القوات البرية .

لقد استخدمت المرأة في القوة الجوية وبصورة عامة في مجال المواصلات والاعمال الكتابية . ولكن قسماً من هؤلاء النسوة استخدمن في وظائف أخرى أوسع من الوظائف المذكورة ولكنها كانت مع هذا بعيدة عن القتال المباشر .

لقد كانت أهم هذه الوظائف . وبصورة خاصة هي وظيفة مساعدة في مدفعية ضد الجو . حيث أنيطت بها مهام الانوار الكشافة الملحقة ببطريات مقاومة الطائرات . وبطريات المناطيد . والرادار . وقد استخدمت المرأة في هذا المجال لتحلّ محل الرجل . وجربت هذه المشاركة في قاعدتين أو ثلاث وبأعداد نسائية قليلة ولكن في نهاية الحرب كانت المرأة

مستخدمة في «٣٥٠» بطرية أنوار كاشفة وفي كل بطرية من هذه البطريات توجد «٤٥» امرأة .

لقد عاشت المرأة الالمانية حياة قاسية في هذا المجال مشابهاً الىٰ ما حدث في القوات البرية ، ولكن من الجدير بالذكر ، ان المرأة في الايام الاخيرة من الحرب جرىٰ تدريبها علىٰ أعمال «ميكانيك الطائرات» في كل القواعد الجوية الالمانية .

كانت هناك «٠٠٠ ر ٣٥» امرأة عاملة في القوة الجوية الالمانية في نهاية عام ١٩٤١ ، وهذا العدد أخذ يزداد شيئاً فشيئاً حتىٰ وصل الىٰ «٠٠٠ر١٠٠» امرأة في عام ١٩٤٥ .

القوة البحرية الالمانية ، والصنوف الاخرىٰ .

لقد تمكنت القوة البحرية الالمانية من تنظيم وتشغيل أعداد من النساء تقدر بـ «٠٠٠ر٢٠» امرأة للقيام بدور المساعد في الاعمال الكتابية ومجال المواصلات أما الفرق الخاصة المدعوة بـ «SS» فقد نظمت ودربت حوالي «٠٠٠ ر ٥» امرأة مساعدة .

الهيكل العسكري

لقد كان الالمان حذرين بشكل متطرف خلال الحرب في ادامة شكل من أشكال الوضع غير العسكري في شتىٰ مجالات الخدمة للقيام بأعمال المساعدة للقوات المسلحة . ان المرأة وفق هذا الوضع الحذر لم تدرب علىٰ استخدام السلاح كما لم يسمح لها باستخدام أي سلاح تحت ظل أي ظرف من الظروف .

في بداية الحرب مع روسيا تمكن الالمان من أسر حوالي «٠٠٠ ر ١٠٠» امرأة جندية روسية ، كانت تتمتع بجميع مزايا المقاتل من الرجال ، وهذا مما جعل الالمان يرتعبون من استخدام المرأة .

في عام ١٩٤٣ السلطات العسكرية الالمانية العليا نشرت أمراً خاصاً الىٰ النساء المساعدات يخص الاعمال التي عليهن القيام بها عند وقوعهن في الاسر اذا كان هذا الاسر لا يمكن التخلص منه .

الفقرتان الاوليتان من هذا الامر حذرتا بشدة استخدام السلاح من قبل النساء واطلاق النار ، حتىٰ اذا كان هذا العمل يمثل الملاذ الاخير للنجاة .

لم ينظر الالمان الىٰ النساء المساعدات في القوات المسلحة علىٰ انهن جنديات في أي حال من الاحوال ، وكانوا يصرون دائماً علىٰ اعتبارهن «مدنيات لخدمة القوات المسلحة» ، وفي كل الاحوال كانوا يصونون بعناية هذه العلاقة الشرعية ، هذا ومن الطريف أن نذكر في هذا المجال ان الامر الذي نوهنا عنه والذي كان يحوي علىٰ ما يجب أن تعمله المرأة ، كان مشابهاً تقريباً لما

يجب أن يعمله الجندي عند الاسر والقاضي باعطاء الاسم والرتبة وثم الخدمة ومحل وتأريخ الولادة فقط .
ان الفوارق الرسمية بين النساء الالمانيات المساعدات والنساء المستخدمات في القوات الاخرى كان يروج لها الالمان لاغراض تكتيكية . حيث ان هؤلاء النسوة والاعمال المناطة بهن كانت لا تختلف عن الاعمال التي أنيطت بالمرأة الامريكية العاملة في صفوف القوات المسلحة الاتحادية . والاكثر من هذا ان النساء الالمانيات كن يرتدين البزات العسكرية الرسمية ويخضعن الى الضبط العسكري ، والى المحاكم العسكرية عند وجود المخالفة .

آخر المطاف «GOTTERAMMERUNG»

في نهاية عام ١٩٤٣ بدأت موازين القوى تتخلخل . ضد الرايخ الثالث ، وحتى المليون عامل الاجانب الذين أجبروا على العمل لخدمة الرايخ والذي استولت عليهم المانيا كأسرى حرب من دول أوربا نتيجة انتصاراتهم . لم يكونوا يعوضون الخسائر البشرية الالمانية وفقدانها الايدي العاملة ، ولا كانوا يؤمنون مطاليب المجهود الحربي واقتصادياته . هذا في نفس الوقت الذي كان الالمان يدفعون الكثير من الخسائر في الاسلحة والمعدات نتيجة المعارك والحاجة الى تعويضها .

المخططون لاستخدام القوة البشرية بدأوا اتجاهاً آخر أكثر تطرفاً في خططهم حيث بدا يفكرون جدياً بتعويض الخسائر البشرية بالنساء على صعيد الجهاز العسكري كجندية ، وعلى الصعيد المدني كعاملة على نطاق واسع .

في كل خطوة من هذه الخطوات ، كانت هناك مقاومة آيديولوجية متأتية من افكار الحزب النازي الحاكم منعت من تجنيد المرأة الالزامي ، والاكثر من هذا ان كلاً من هتلر وكورنغ معارضان لاستخدام المرأة في القوات المسلحة بنطاق أوسع مما هو عليه ، وفي أعمال لاتلائم أنوثتها .

في أواخر عام ١٩٤٤ ، وافق هتلر على السماح على استخدام المرأة كمساعدة بصورة أكبر ولكنه بقي مصراً على معارضته للتجنيد الالزامي ، أو امكانية استخدامها السلاح .

في شهر شباط عام ١٩٤٥ اندمجت جميع تنظيمات النساء المساعدة في صنف نساء القوات المسلحة المساعدات ، وأخذن بممارسة أعمال أكثر ارهاقاً مثل سائقة شاحنة ، هذا علماً ان زيادة كبيرة قد حصلت في عدد صنف النساء خلال العام المذكور .

في نهاية عام ١٩٤٤ . ظهر تنظيم الجيش الشعبي الالماني . كآخر وسيلة للدفاع عن المانيا . وفي مارت عام١٩٤٥ عارض هتلر طلباً تقدم به كل من «مارتن بورمان» «وهزتسي هملور» والسلطات الرسمية الاخرى والمتضمن خلق كتائب قتالية نسائية . ومن الجدير بالذكر ان هذه التنظيمات كان القصد منها القيام بقتال العصابات . وبهذا ستشارك المرأة الرجل في القتال جنباً الى جنب .

ان هذه التنظيمات لم تشاهد النور حتى سقوط الرايخ الثالث . وهكذا يمكن أن نستنتج بأن المرأة الالمانية لم تستخدم في أعمال القتال طيلة فترة الحرب العالمية الثانية .

ان الكثير من النساء الالمانيات المساعدات جرى أسرهن في نهاية الحرب وقد تم معاملتهن كأسرى حرب من قبل الحلفاء . مع أستثناء قسم من نساء منظمة «SS» فان هؤلاء النساء سجن بمعسكرات الاعتقال . ومن ثم أفرج عنهن . أن قسماً من نساء منظمة «SS» أحتجزن لمدة اقصاها سنتان لأمور تتعلق بفعالياتهن خلال الحرب . ولاغراض تحقيقية أخرى . وعلى أية حال فان معظم النساء . وبصورة تقريبية واللواتي جرى أسرهن من قبل الحلفاء ، عوملن بطريقة أنسانية .

فترة ما بعد الحرب

من عام ١٩٤٥ وحتى عام ١٩٥٦ . لم تكن هناك أية قوات عسكرية ألمانية . غير أن خلق جمهورية المانيا الأتحادية خلق السيادة الكاملة لها في الاراضي الالمانية الأتحادية . في شهر مايس عام ١٩٥٦ . نظمت القوات المسلحة في المانيا الأتحادية .

ان خلق قوات مسلحة لجمهورية المانيا الأتحادية جاء نتيجة للمناقشات الحامية ، العديدة الطويلة والمفصلة التي جرت في مجلس النواب الألماني . حيث لم يكن لهذا التواجد الكثير من الخصوم . ومع هذا فأن الموافقة النهائية لوجود قوات مسلحة المانية وصل الى نقطة حساسة هي :

ماهو تأليف هذه القوات عند تواجدها ؟ وكان الجواب صريحاً في ما يخص المرأة ، حيث كان القرار النهائي . هو ان كل القوات المسلحة الألمانية يجب أن تكون من الرجال ، وبهذا لم يعترفوا بالتجربة البريطانية ولا بتجربة الولايات المتحدة الأمريكية الخاصة بأستخدام المرأة في القوات المسلحة . وكان هذا القرار يعبر عن حساسية المانية عميقة . والأكثر من هذا ان المنظرين لأطر العسكرية الجديدة . أجبروا صانعي القرار على ادخال الفقرة «١٢» والتي تخص

المرأة . حيث نصت هذه المادة على عدم أستخدام المرأة كعنصر أساسي في القوات المسلحة . كما ولم تسمح لها بأستخدام السلاح .
كان هناك منظور خاص للمرأة هو أمكانية أستخدامها كعاملة مدنية في القوات المسلحة وكما حدث في فترة ماقبل الحرب العالمية الثانية .
أن المرأة الآن وبعد مرور السنين الطويلة من بدء التكوين للقوات الألمانية المسلحة لديها تواجد في القوات المسلحة وباعداد معقولة .
الحكومة الألمانية الأتحادية أصدرت ورقة بيضاء في عام ١٩٧٩ تقر بأمكانية العمال المدنيين من العمل في القوات المسلحة الأتحادية وفي شتىٰ المجالات وذكرت بأن العدد الكلي للعاملين حتىٰ لحظة اصدارها هذه الورقة هو «١٨٠٫٠٩٣» عاملاً . وقد باشرت الوحدات العسكرية بتشغيل «٨٣٫٠٠٠» بالاضافة الى تشغيل «٧١٫٥٠٠» مدني كأداريين في القوات المسلحة الاقليمية . حيث نسب «١٩٫٧٠٠» شخص منهم في قاطع التسليح أما البقية فقد أرسلوا الى مدارس صنوف مختلفة للتدريب على أعمالهم المقبلة حيث كانت هذه المدارس تعود الى وزارة الدفاع الفيدرالية . وعلى أية حال وهذا هو المهم بالنسبة لموضوعنا فان نسبة «٢٨٪» من الاعداد المذكورة كانت تمثل عدد النساء العاملات . بعد عشرون عاماً من تأسيس جيش المانيا الأتحادية بقىٰ موضوع السماح للمرأة بالخدمة كجندية معلقاً .
لقد كانت هناك وصايا خاصة بحل مسألة الاطباء الضباط وقبول تطوعهم على صنف الطبابة قد صدرت عام ١٩٧٥ لحل الأزمة التي تشمل نقص الاطباء في الجيش الأتحادي . وقد كان المخطط العام مقنعاً بشكل يمكن من تأمين عدد من الاطباء ولكن لفترة قصيرة . غير ان هذه الوصايا اعتبرها البعض وصايا وقوانين خطرة لاتلائم مستوىٰ الخدمات الطبية . كما ولا تلائم مستقبل . وطموح القوات المسلحة . وعلى أية حال فقد جاء بعض الاطباء للحلول محل الاطباء القدماء والذين أحيلوا على التقاعد .
لقد فشلت الكثيرمن المحفزات لتحسين الوضع الطبي فيما يخص الافراد ، وكانت جميعها لاتخدم هدف القوات المسلحة الأتحادية . وهذا وبعد مناقشات مستفيضة في عام ١٩٧٥ . اعترفت السلطات العسكرية ، بأول أمرأة تملي الفراغ وتكون جزءاً من القوات المسلحة .
لقد كان المنهج محدوداً فيما يخص المرأة الطبيبة . ولكن مهما يكن الأمر فقد جرىٰ الاعتراف في عام ١٩٧٥ بخمس نساء في هذا المضمار .

ان مسألة تسليح المرأة الطبيبة كانت من المسائل الصعبة على وجه الخصوص . غير أن حلها جرىٰ بعد مناقشات جماهيرية حامية ، القانون العالمي ، بالنسبة الى الاطباء ، لايعتبر الطبيب شخصاً مقاتلاً ، ولكن يسمح له بأستخدام السلاح في حالة الدفاع عن نفسه وعن مرضاه ، وهكذا وفي النهاية فقد سمح للمرأة الطبيبة بحيازة المسدس ، والتدريب على أستخدامه ، ولكن لم يسمح لها بحمله .

ان المسألة بقيت مسألة أكاديمية ، ولا تتعدىٰ حدود الاعتراف فقط بمسألة تدريب المرأة على السلاح حيث ان الواقع العلمي كان مكرساً لعدم الموافقة على خدمة المرأة الطبيبة في المناطق الميدانية المتقدمة ، وفي مستشفيات الميدان ، بالاضافة الى عدم السماح لها بالخدمة على ظهر السفن العسكرية المبحرة .

ان أول اعتراف بالضابطة الطبيبة جاء عام ١٩٧٥ ، وعند حلول عام ١٩٧٩ ، كان هناك سبع وأربعون ضابطة طبيبة في القوات المسلحة الألمانية الأتحادية ، ومن هذا الرقم يتمكن الشخص أن يلاحظ كم هو قليل هذا العدد بالنسبة لهذه السنوات ، ولذلك فان الاستنتاج النهائي هو قلة تغلغل المرأة في قوات المانيا الأتحادية .

وما دمنا في صدد عسكرة الطبيبات ومنحهن الرتبة ، نود أن نشير الى أن عسكرة الممرضات لم تلق أي أهتمام ، وذلك لأن الألمان يتمكنون من تأمين ذلك من منظمة الصليب الأحمر بصيغة غير عسكرية ، معتمدين على خبرتهم في هذا المجال من تجارب الحربين العالميتين الماضيتين ، ولذلك فهم يعتقدون بعدم جدوىٰ التغيير .

المانيا الشرقية

ان تأريخ العسكرية وتجربتها في المانيا الشرقية تختلف بالطبع عن تجارب المانيا الغربية . ان أول تنظيمات عسكرية في المانيا الشرقية كانت على شكل جحافل معركة وذلك في عام ١٩٥٣ .

لقد كانت جحافل المعركة هذه تضم كلا الجنسين على حد سواء ، وكان يجري تدريب هؤلاء على أستخدام أسلحة المشاة الصغيرة ، لقد صاحب نشوء جيش جمهورية المانيا الديمقراطية دعاية معقولة ، وسمي «جيش الشعب» وقد كانت لوائح التطوع في هذا الجيش تنص على المساواة التامة بين الرجل والمرأة .

ان خواص هذا الجيش وتدريبه كان أقل مأساوية من جيش المانيا الغربية ، حيث ان الشباب كان يتدرب في جميع مراحل العمر تدريباً شبه عسكري ، سواء كان ذلك في

مدارسهم أو في مؤسسات الشباب الرسمية الأخرى وعلى سبيل المثال تنظيم «شباب المانيا الحرة» .

لقد كان التدريب على الأسلحة الصغيرة يجري لكل من النساء والرجال في هذه التنظيمات أيضاً .

سمح للمرأة في المانيا الديمقراطية من التطوع في القوات المسلحة الا أن مجال عملها أيضاً كان محدوداً ، حيث فرض عليها البقاء في المناطق الخلفية ، لتخدم وظائف في المقرات العليا ، ولذلك فأن أية أمرأة لم تخدم في الوحدات المقاتلة .

لقد تم تدريب المرأة تدريباً ابتدائياً قاسياً بالاضافة الى تعليمها الاصول الماركسية ، وقد أتيحت لها فرصة ارتداء البزة العسكرية الرسمية الخاصة بالقوات المسلحة .

لاتعرف اعداد المرأة الجندية في المانيا الديمقراطية ، ولكن يمكن ان نتكهن بانها لاتزيد على ستة آلاف ، وعليه يمكن ان نستنتج بصورة واضحة بان مشاركة المرأة في القوات المسلحة لألمانيا الديمقراطية قطع أشواطاً أطول مما قطعها في المانيا الاتحادية ، واذا تفحصنا ، الوحدات التي يسمح للمرأة أن تشارك فيها في المانيا الديمقراطية فسنجد انها وحدات غير مقاتلة ، وهذا يعود الى التفكير الألماني الذي لايحبذ أن تقوم المرأة بدور الجندي المقاتل .

منظور مستقبلي

الآراء والافكار التي وردت مسبقاً ، يمكن أن تبين لنا الخطوط العريضة للرفض الالماني الخاص بتشغيل المرأة كجزء لايتجزأ في الوحدات القتالية .

ان الالمان في الحقيقة ، قد رفضوا المنظور العسكري للمرأة لما في القتال من أمور خشنة لاتوافق مزاجها ، الا أنهم ، وفي السنين الأخيرة تمكنوا تقريباً من تجاوز ذلك ، حيث أن المستقبل جعلهم يتساهلون ، وبدأت آراؤهم الخاصة بالمنع بالتلاشي .

وتبين لنا الارقام بأن المرأة بدأت تتغلغل بصورة شرعية في القوات المسلحة الأتحادية منها أو الديمقراطية .

في المانيا الغربية ، سيحدث خلال عام ١٩٨٨ نقص عام في الافراد ذوي النوعية الجديدة في القوات المسلحة ، غير ان هذا الشيء لايمكن قبوله ، حيث ان العدد القياسي يجب أن يكون كامل النصاب في أية حال من الأحوال .

ان هذا الوضع سيبقى ثابتاً وحتى نهاية هذا القرن ، بل ربما سيكون النقص أكثر عبر السنوات المتلاحقة ، ففي عام ١٩٩٠ سيكون النقص في التجنيد بحدود «٥٠ر٠٠٠» جندي ،

وهذا ما تتوقعه السلطات العسكرية أما في عام ١٩٩٩ ، فسيكون النقص أكثر في الجنود . وان الرقم سيقفز الى «١٥٠٠٠٠» فرد تجاه الحاجة التي تقدر بـ «٢٥٠٠٠٠» كما خطط لها . من الطبيعي ، ومن المستحيل كذلك ، أن نغير تواريخ الولادة للناس بصورة فاعلة وعليه فان الألمان سوف يواجهون أزمة صعبة في المستقبل متأتية من النقص . هذا علماً ان المناقشات التي بدأت الآن كفيلة بالخروج من المأزق وخاصة في المانيا الغربية ، الا ان المناقشات والمقاييس الجديدة تحبذ وجود قوات موالية صديقة ، مع الاستفادة من العمال الأوربيين في العمل .

ان المشروع الآخر الذي تبنته المانيا الأتحادية ينص على قبول عمال مدنيين أكثر في القوات المسلحة للقيام ببعض المهام غير القتالية وبهذا فان المجندين والحالة هذه سيكونون لأعمال القتال فقط مع زيادة مدة الخدمة من «١٥» شهراً الى «٢٠» شهراً ، هذا بالاضافة الى أمكانية مشاركة المرأة في بعض الأعمال .

ان القرار النهائي بصدد الأفكار المارة لم يعلن بعد الا ان المتوقع ان هذا القرار سيكون خليطاً لها .

في الولايات المتحدة الأمريكية فشلت الجهود لجذب العدد الكافي من الرجال المتطوعين الى القوات المسلحة . ولذلك فقد أستدارت هذه القوات نحو المرأة لسد النقص العددي . ومن ذلك الوقت وحتى الآن فان الارقام كانت تعتبر تامة ، كما وان ارقام النساء العاملات في القوات المسلحة يتزايد يوماً بعد آخر ، ولذلك ، فان المانيا الغربية ومشابهاً لما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية ربما ستتبنى نفس الحل للتغلب على أزمة النقص العددي ، ولكنها في كل الأحوال ستجابه صعوبات كثيرة متأتية من النظرة المحافظة للمؤسسات العسكرية الألمانية .

مهما يكن الأمر ، النقص العددي الكبير ، يعتبر مسألة حيوية تواجه المانيا الديمقراطية ، وهذا ما يعزز الرأي بأنها ستقوم باستخدام العنصر النسائي في القوات المسلحة متغلبة على الصعوبات من أجل ادامة القوة . أما في المانيا الديمقراطية فان هناك احتمالات تشير الى امكانية الزيادة في العنصر النسائي لخدمة جيشها .

مما تقدم يمكن القول أن أستخدام المرأة الالمانية في اعمال قتال مباشرة سيكون أمراً بعيداً في كل من المانيا الديمقراطية والأتحادية .

وان الأمر لايتعدى استمرار العمل بتجربة الحرب العالمية الثانية وخبراتها القاضية بتوسيع أستخدام المرأة مع تعدد أدوارها .

الفصل الثالث

روسيا الثورة والحرب

بقلم

آني ايليوت كريسي وريتشارد ستيتس

الفصل الثالث

روسيا

الثورة والحرب

بقلم
آني ايليوت كريسي
و
ريشارد ستيتيس

تمهيد

تعتبر الحرب والثورة الروسية هما المحركان الاساسيان لفعالية المرأة في الأتحاد السوفيتي خلال القرن العشرين . ان أي فرد لايمكن أن يفهم الحرب والثورة دون الربط الكامل بينهما . وهما أيضاً من أكثر الأمور المؤثرة في العسكرية السوفيتية في الوقت الحاضر . حيث أن التحولات التي جرت على هذه القوات كان لابد أن تتأثر بظروف الحرب والثورة .

ان تعداد العنصر النسائي وعمل المرأة كان عملاً مهماً في كل من الحرب والثورة . في القرن العشرين . الا ان العودة الى القرن التاسع عشر تبين لنا قلة دور المرأة . حيث كان حضورها في القوات المسلحة على نطاق ضيق ومتفرق في الحروب التي حدثت آنذاك ضد كل من فرنسا في عام ١٩١٢ . وفي حرب «القرم» . وكان دورها المتميز هو «التمريض» . وقد بقيت في حدود هذا الدور في الحرب الأهلية مشابهاً لما كان يحدث للنساء في نطاق العمل العسكري في معظم أجزاء أوربا أو في أي جزء من أجزاء العالم ويمكن القول ان المرأة السوفيتية لم يكن لها دور عسكري كبير حتى عام ١٩١٤ .

لقد ظهرت المرأة الروسية في القرن العشرين ثلاث مرات بصورة رئيسية متوالية هي : الحرب العالمية الأولى . وحتى سقوط القياصرة . وثورة أكتوبر الأشتراكية عام ١٩١٧ . والحرب العالمية الثانية .

لقد دخلت المرأة الروسية في الحالات الثلاث كمتطوعة أول الأمر . الا أن الشيء المميز في هذا المجال هو أنها خلال الثورة الروسية قاتلت في عمليات أشتباك قريب . هذا وعلينا أن لاننكر أنها قاتلت أيضاً لمدة ثمانية أشهر في الحرب العالمية الأولى في ظل الحكم القيصري التقليدي . وبأفواج خاصة بالنساء .

عندما اندلعت الثورة الروسية . في عام ١٩١٧ . قاتلت المرأة الروسية ضد «الثورة المضادة» في الحرب الأهلية ومن عام ١٩١٨ حتىٰ عام ١٩٢٠ . ومنذ ذلك التأريخ تنعمت هذه المرأة بالسلام ولمدة «٢٠» عاماً . وغابت بصورة تقريبية عن مسرح الأحداث العسكرية . والقتال وحتىٰ الحرب العالمية الثانية . التي أشتركت بها المرأة الروسية بشكل كتلوي كبير .

لقد كان الروس يسمون حربهم مع الالمان «١٩٤١ - ١٩٤٥» بالحرب الوطنية ولذلك فقد عبئت جميع الطاقات . وكان من جملة هذه الطاقات هو العنصر النسائي . وعلى أية حال فان الستين سنة الأخيرة مكنت الأجهزة السوفيتية . من تطوير السياسة . والاقتصاد والآلة العسكرية . والنموذج القتالي وكان جزء من هذا التغيير يشمل النساء بطريقة مفعمة بالنشاط مختلفين بذلك عن الدول الغربية الصناعية .

كان دور المرأة في مراحل الثورة المضطربة التي حدثت في عام ١٨٦٠ هو النضال ضد الحكم القيصري ومؤيديه . ولكن اذا تفحصنا الأمور فسنجد ان هذا الدور كان دوراً ضئيلاً . حيث لم يتجاوز عدد المشتركات في هذه الثورة عن بضعة ألوف . غير ان هذا كان كافياً لأضفاء مسحة مهمة على هذه الثورة . تدل على مغزىٰ نفسي .

اما المتطرفين من الرجال في حركة ١٨٦٠ الثورية . لم يعترفوا بالفوارق بين المرأة والرجال بل اعطوها نفس الحقوق . لذلك فقد قدمت الدعوة للنساء للمشاركة في الثورة على أساس الاشتراك الكامل بالعمل وبالرأي . ولهذا فان كل القرارات كانت تصدر بصورة مشتركة .

عندما تعاظم شأن هذه الحركة الثورية ولذلك خلال عام ١٨٧٠ كانت المرأة وبطرق خاصة تدير الأعمال الأعلامية . بالاضافة الى اشتراكها بأعمال أخرىٰ . والأهم من هذا كله انها كانت تحتفظ بالاسرار الخاصة بالعمل الثوري عندما تخضع للأستجواب . لأنها كانت تعتبر بريداً متنقلاً حيث كانت تقوم بتهريب الادب الثوري والاسلحة تحت ثيابها . بالاضافة الى انها كانت تتداول قضايا المتفجرات الأخرىٰ . وهذا ما نجم عنه اشتراك عدد من هؤلاء النسوة بالاشتباك المباشر بالقتال خلال أعمال العنف والمجابهة .

«فيراساز يولج» التي كانت تدير أعمال الأرهابية قامت باغتيال أحد الرسميين الحكوميين المسؤولين عن أحد السجون في عام ١٨٧٨ عندما أطلقت الرصاص عليه .

«صوفيا بيرفسكايا» وهي بنت لأحد الجنرالات . قادت فريق الصولة لاغتيال القيصر

«السكندر الثاني» في عام ١٨٨١ . ومن أجل هذا العمل فقد حكمت بالاعدام شنقاً . مع تنفيذ هذا الحكم .

هناك نساء أخريات كثيرات مشابهات لصوفيا وفيرا الذين نوهنا عنهن وكن مثقفات . ينحدرن من الطبقة العليا . ومعظم هؤلاء كن بنات ضباط في القوات المسلحة . انضموا الى حركة الثورة .

أكثر الحزبيين تطرفاً على حقوق متساوية بين الجنسين . في عام ١٩١٧ عندما جاءوا الى مركز السلطة . اعترفوا بالمشاركة التامة للمرأة في الثورة وفي كل أعمالها ، وميادينها . كان مطلوباً من المرأة الدفاع عن الثورة أسوة بالرجال ، هذا بالاضافة الى مشاركتها وحضورها الفاعل في مجال دعم الأقتصاد وبناء المجتمع الاشتراكي الجديد .

«الكسندرا كولينتايا» أصبحت وزيرة دولة ومارست نشاطاً فعالاً في حقل الأعلام خلال الحرب الأهلية . لقد كانت الكسندرا أبنة أحد الجنرالات ومتزوجة من مقدم في الجيش . ومن ثم تزوجت قومسيور الشؤون الحربية البلشفي . وعلى أية حال فان الكسندرا هذه تمكنت من أن تجعل نفسها بأعمالها وفعالياتها رمزاً للنساء للدور الذي لعبت به .

عندما رسخ ستالين سلطته على الأتحاد السوفيتي في اوائل عام ١٩٣٠ ، اختلفت الطريقة حيث خضعت المرأة السوفيتية الى القيام بالأعمال الأجبارية التي تخلو من الحرية . وانخفض صوتها . ولكن وحتىٰ في ظل هذا الوضع بقيت المرأة السوفيتية تمثل أسطورة لاتنسىٰ في أذهان الجماهير وذلك لمشاركتها الفعالة في الثورات التي حدثت في القرن التاسع عشر والعشرين .

ان تأريخ المرأة الروسية والادوار العسكرية التي لعبت بها كانت في دور البداية في تلك العصور . هذا ولم يسجل التأريخ وجود أية أمرأة غير سوفيتية خلال تلك المراحل . غير ان العقود الأخيرة من الزمن تبين لنا وجود بعض النساء غير السوفيتيات في قائمة النضال وفي التأريخ العسكري الروسي على وجه العموم . ان الأجواء العسكرية الروسية في الماضي ، كانت تعتبر أجواء صعبة . وعلى وجه الخصوص بالنسبة للعالم الغربي ، كما ولم يتمكن الباحثون الأجانب من الدخول الى صلب هذه العسكرية وذلك للحساسية التي يوليها النظام الروسي للقوات المسلحة .

ان التعامل الغربي مع موضوع المرأة السوفيتية في القوات المسلحة . جرىٰ وفق ما قدمته السلطات السوفيتية نفسها مع بعض النتف المطبوعة في الصحافة وهذه على العموم تعتبر غير

مضعة للباحث المتقصي . حيث أنها لاتعطي الصورة الكاملة عن الموضوع والأكثر من هذا .
- كل التيسر يعطي انطباعاً عن أعمال شخصية وليست جماعية . وهذا خاضع بمجمله الى العملية الدعوية للمجهود الحربي ودور المرأة في هذا المجال مع الأخذ بنظر الاعتبار الافكار المستقبلية وبصماتها المشهودة على السياسة العامة بصورة شاملة .

أن افضل دراسة ظهرت منذ الحرب العالمية الثانية هي الدراسة التي قدمت من قبل «فيراسيمنوفا» وهذه تعتبر دراسة تأريخية عسكرية حيث ان المؤلفة كانت تعمل كضابطة سياسية في الحرب العالمية الثانية .

لسوء الحظ . اعمالها اقترنت بارقام مهمة عن كيفية منح الرتب والأمور الأخرىٰ التي تعتبر مفاتيح أساسية لأية دراسة أكاديمية متكاملة . إلا أن حساباتها كانت خاضعة الى الولاء التام للسلطة .

أن بقية الكتاب الروس كانو غير مقتنعين في كتاباتهم حول الموضوع وعلينا في هذا المجال أن ننوه بأن الكاتب «سيتيس» . قد زار الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٦٧ . ومنذ ذلك التأريخ فقد بدأ محاولاته القاضية بأخذ معلومات أكثر من ذي قبل . خلال محادثاته مع النساء الروسيات اللواتي شاركن كمقاتلات خلال الحرب العالمية الثانية . والوصول الى زبدة خبراتهن وشعورهن . علاوة على أفكارهن الخاصة حول وضع المرأة في القوات المسلحة . مثل تدريبها . وخدمتها ووحداتها المقترحة .

المرأة السوفيتية
خلال الحرب العالمية الأولىٰ
نظرة الى فعالياتها المختلفة

نساء الطبقات العليا . والمثقفات . ويمكن القول ان النساء على وجه العموم كن بأسناد المعارك في الحرب العالمية الأولىٰ في الأتحاد السوفيتي . بالاضافة الى النساء الاشتراكيات . غير أن بعض النساء الأشتراكيات المتطرفات والنساء الموجودات في المعامل لم يقدمن هذا الأسناد . وذلك لعدم ولائهن للدولة ولتبشيرهن بالثورة المحتملة .

ان النساء في الأتحاد السوفيتي . اللواتي خدمن المعركة كان طموحهن يتمثل بالنضال من أجل حرية التصويت للمرأة . كثمن لاتعابهن خلال الحرب . لذلك فان النساء

الارستقراطيات فتحن نقاط تضميد ، كما وفتحن المستشفيات المقطورة من أجل تقديم الخدمات الطبية للكتائب المقاتلة . أما النساء العاملات فقد تدفقن على المعامل وشكلن نسبة النصف من مجموع قوة العمال في المنشآت الصناعية في عام ۱۹۱۷ .

أن الجهود التي تخص المجهود الحربي تطوعت بها النساء ذاتياً مدفوعات بروح المواطنة الجماهيرية كبقية افراد الشعب الآخرين .

المرأة دخلت في خدمة القوات المسلحة ، وحتىٰ أنها ذهبت الى ميدان القتال . ولكن بطرق ملتوية وبصورة غير منتظمة .

وكما هو معروف ، فان الحكومة الروسية كانت لاتعترف بالمرأة التي تلبس البزة العسكرية الرسمية ، الا للخدمة في مجال التمريض ، وهذا المجال كانت له تقاليده المعروفة منذ العام ١٨٥٥ .

في أوائل عام ١٩١٥ بدأ الروس والغرب بصورة عامة يتناقلون قصصاً تتحدث عن المرأة الجندية المقاتلة . وقد نوقش هذا الرأي وعلى أساس أمكانية الأستفادة منها في بعض الاوقات في وحدات المشاة لتقاتل جنباً الى جنب مع الرجل . أن أستجابة الحكومة الى هذا الرأي كان فاتراً ، ولذلك لم توافق بصورة أو بأخرىٰ على شرعية قتال المرأة في ظل الحكم القيصري ، ولكن هذا لم يمنع السلطات من تكريم بعض النساء لخدماتهن . وكانت النسوة المكرمات ينتمين الى الطبقة العاملة مجموعات من الفتيات المراهقات في ثانويات موسكو نادين برغبتهن بالذهاب الى أماكن القتال ، لمحاربة الالمان.كانت القوات الألمانية تندهش وتنصعق كما يقال عندما تشاهد النساء في البزة العسكرية مهيئات للقتال .

احدىٰ المقاتلات الروسيات المدعوة «ماريا كولبوفا» والتي كان عمرها ثمان عشرة سنة عبرت عن مشاعرها تجاه الحرب وقتل الآخرين بما يلي :

«لاتوجد لدي أية مشاعر ، سوىٰ مشاعر تخليص وطني من الألمان كما ولا توجد أي عواطف تجاه هذا العمل . اننا نحاول أن نقتلهم وهم يحاولون قتلنا ، وهذا هو كل شيء» .

أن أية فتاة روسية أو أمريكية اذا كانت محل هذه الفتاة سوف تقول نفس الشيء وستكون لديها نفس المشاعر .

كانت أشهر أمرأة جندية مقاتلة هي «ماريا بولكارفا» ، وهي أبنة شريف سابق ، كتبت بعد ذلك ما يلي :

«وطني دعاني ، وكانت لدي مشاعر تجبرني على العمل ، هذه المشاعر كانت تحرضها

الأحداث . وحب الوطن . زائداً انحلال الجيش . ان هذه الحقائق هي التي جعلت المرأة تندفع في القوات المسلحة لتلعب دوراً كبيراً في الحرب» .

ان «ماريا بولكارفا» حملت البندقية . ولكنها تخصصت في نقل الجرحى من الخطوط الأمامية تحت رصاص الألمان . وظلت على هذا الوضع حتى أنبثاق الثورة الروسية عام ١٩١٧ . هذه الثورة التي شجعت الديمقراطية العسكرية الى أبعد الحدود ، حيث شكلت الوحدات ما يسمى «المجالس المنتخبة» وأصبح الجيش في حالة خاصة لما صاحب الثورة من الفرار على النطاق الواسع من الجندية .

ان «ماريا» في ظل الوضع الجديد تلقت ترخيصاً من الحكومة لتقوم بتنظيم النساء في وحدة تدعى «وحدة الصدمة» أو «فوج الموت» .

كان الغرض من تأسيس هذه الوحدة النسائية هو لحماية ظهر الجيش ولجعل الجنود الفارين يخجلون من أنفسهم .

لقد كانت هذه الوحدة النسائية وبطبيعة الحال هي أول الوحدات النسائية في التأريخ الحديث التي تعهد اليها واجبات قتالية ، لها خواص الوحدات الرجالية الأخرى التي تتمتع بالبسالة .

لقد تطوعت في هذه الوحدة حوالي «٢٠٠٠» أمرأة عند تأسيسها وكان ذلك في شهر مايس من نفس العام ، إلا ان هذا الرقم قد قل وذلك ناتج عن صرامة «ماريا» وتمسكها الشديد بالقضايا الضبطية وعلى أية حال فان هذا الرقم لم يقل كثيراً وانما كان عدد تاركات العمل العسكري يقدر بـ «٣٠٠» أمرأة من المجموع العام .

كان العمل العسكري الأخير للنساء الروسيات خلال الحرب العالمية الأولى في ثورة «أكتوبر» الشيوعية عام ١٩١٧ ، انفصال كتيبة نساء «بتروغراد» لتقوم بمساعدة الحكومة القيصرية ضد البلاشقة المتواجدين في «قصر الشتاء» هذا من جانب ، أما الجانب الآخر المقابل فكان يتمثل بالنساء البلشفيات اللواتي انتمين الى الثورة لدعم الطبقة العاملة ، وكان هؤلاء يدعون بالحرس الأحمر ، لقد خدمت المرأة بصفة شبه عسكرية ووحدات خاصة . دعماً للشيوعيين وذلك خلال الحرب الأهلية التي اعقبت الثورة ، وكانت المرأة تقاتل ما يدعى «البيض» وهم المناوئون للشيوعية ، وكانت تتمتع بمهارات فائقة في بناء التحصينات وشق الخنادق ، والقيام بالأعمال الدعائية ، وقتال العصابات ، والقتال التقليدي أحياناً ، وكانت

هذه الأعمال تجري بدعم وتنسيق وتشجيع البلاشفة ونظامهم الجديد عبر قسم خاص بالنساء يدعى (زينوتل» يخضع الى الحزب الشيوعي .

لقد تم تدريب المرأة الروسية على أعمال التمريض خلال الثورة وعلى نطاق واسع ، خلال الحرب الأهلية . وكما حدث في الحروب السابقة تقريباً مع فوارق أهمها :

- تدريب الممرضات في هذه المرحلة على أستخدام البندقية .
- اعطاؤهن محاضرات سياسية تتضمن العقيدة الجديدة .

نتيجة لما ورد فان قسماً من النساء أصبحن مسؤولات سياسيات في بعض المستشفيات . يمكن القول أن المرأة الروسية قد قاتلت في كل جبهات القتال ، وهذا يحدث للمرة الثانية منذ حروب المغول . فقد قاتلت من سيبريا وحتى «القرم» ومن البلطيق حتى أواسط آسيا ، لقد خدمت كحاملة بندقية ، وكمدفعية ، وكجزء من القطعات الضاربة .

أن معظم أعمال النساء كانت متكاملة . غير أن بعضهن خدمن في وحدات صغيرة كلها من النساء تتكون في معظم الأحوال من «٣٠٠» أمرأة أو مايزيد من ذلك قليلاً . المرأة التي كانت تنتمي الى حركات الأنصار لعبت دورا يتمثل بجمع المعلومات والتجسس ، مع مشاركتها في القتالات الفرعية ، وككشافة غير أن مايوشح كل عملها الأنصاري هذا هو تآخيها وأندماجها مع القوات الأجنبية المناوئة كابتة مشاعرها الحقيقية ، وأهدافها .

أن معظم هؤلاء النسوة كن يخدمن لأغراض سياسية ، أما بعض النساء فكان أرتباطهن المباشر مع مركز الدعاية السياسي ، وعليه فأن واجبها والحالة هذه كان التبشير بالشيوعية في المناطق التي تخلو من نفوذهم ، ومن الجدير بالذكر أن المحرك الأساس المسؤول عن هذه العمليات هي مقاتلة من الثوار تدعى «أفيرا كاسبروفا» .

مشاكل التكامل

من العملي أن نناقش الحرب العالمية الأولى والحرب الأهلية الروسية بصورة مجتمعة ودقيقة وذلك للأختلاف الكبير بين الأثنين .

أحدهم يمثل حرباً شاملة ضد المانيا . والقوى المركزية الأخرى ، وبالطرق التقليدية للحرب ، أما الأخر فيمثل حرباً سياسية داخلية بين القوة الثورية الناجحة ، وبين قوى الثورة المضادة غير الناجحة .

أن مشكلة الثورة والثوار لم تناقش قطعاً في الدوائر العسكرية القيصرية كما وأن ظهور المرأة في بعض الوحدات العسكرية المعلومة ، عملية لم تكن مخططاً لها ولكن كانت العوامل

السياسية والأجهزة العسكرية تغض النظر عن هذا التواجد . لقد كان التواجد النسائي في وحدات الرجال . وبأبسط طريقة هو تقمص البعض منهن هيئة الرجل . وقد برعت فيه الكثير من النساء واللاتي لم يكتشفن الا بعد فترة طويلة . وعندما تم أكتشاف الأمر . صرف البعض منهن . أما البعض الاخر من النساء فقد جرى الأحتفاظ بهن وذلك لأعطائهن الأنطباع الكامل الجيد بأنهن مقاتلات أيضاً . وكأي شئ يتعلق بالتأريخ الروسي . فأن قصص هؤلاء كانت متداولة بشكل شعبي عام . هناك قطاع كبير من الفتيات الروسيات تطوعن للعمل في القوات المسلحة ، مثل فتيات مدرسة موسكو العليا . وقد سمح لهن بالأختلاط المتبادل ، وكن يعشن بين الرجال . لقد كان الرجال يعاملون هؤلاء النسوة على أساس الروح الرفاقية السلاحية بالأضافة الى أن معظم هؤلاء الرجال كانوا من المقاتلين سابقاً . والذين كانت المرأة تعمل في صفوفهم ، لذلك فأن عملهن هذا لم يكن مستغرباً في كل حال ، هذا بالأضافة الى أن قسماً آخر منهم كان يعمل عاملاً بجانب النساء . وعليه فأن الأستنتاج النهائي في هذا المضمار هو أن مشكلة الأختلاط لم تكن مشكلة عصيبة .

اذا عدنا الى الحرب الأهلية . فسنجد أن الوضع مختلفاً تماماً من الناحية السياسية ومن الناحية الأدبية . حيث أنبثق سلوك مغاير . وعلى سبيل المثال الأعتراف بالمساواة التامة بين الجنسين .

لقد عمل القليل حول المساواة المقرورة من جانبها الشرعي . وأعلانها بصورة صريحة ، بالأضافة الى متطلبات العمل لكلا الجنسين . لقد كان مكتب الأعلام قد هيأ كل شئ من أجل إيجاد أفضل الصيغ الأعلامية لعمل المرأة والحاقها بالقوات المسلحة ، وتعودها على هذا المناخ المشترك والأبعد من هذا فأن الرجال . وأحتراماً منهم للأوامر الرسمية لم يقاوموا مبدأ المرأة المقاتلة ، بل أعتبروها من التحولات الثورية هذا والواقع الذي ساد تلك الفترة كان لايعبر عن الواقعية كما لايعبر عن طموح الجيش الأحمر الجديد . العناصر التي تنتمي الى الطبقة العاملة كانت تتعاطف بصورة تامة مع مبدأ مشاركة المرأة ، الا أن الجيش الذي كان يحتوي على نسبة عالية من الفلاحين لم يتقبل الأمر بسهولة ، حيث أنه كان ينطلق من المفاهيم القروية ، التي لم تؤثر فيها الايديولوجية الشيوعية كثيراً . أن أكثر النساء في الأتحاد السوفيتي عملن في صفوف القوات المسلحة بصورة شخصية كما أن الوحدات الكبيرة التي تتكون من النساء فقط والمشابهة الى التنظيمات البريطانية كصنف

«المرأة المساعدة» لم يكن لها وجود . أن أكبر وحدة تتكون من النساء فقط كانت بمستوى سرية منفصلة مثل تنظيم : «مفرزة النساء الشيوعيات المقاتلات» . أو «مفرزة النساء الشيوعيات للمهمات الخاصة» . وهذه المفرزة كان عملها مكرساً لأغراض الشرطة . والأمن . والقتال القريب . والمهمات التدميرية . وكان هناك ما لايقل عن سرية صولة متكونة من النساء المنتميات الى صنف المشاة وقد خدمت هذه السرية في الحرب البولندية عام ١٩٢٠ . لقد كان التكامل القتالي يتمثل في وحدات الأنصار . وكان هذا أسهل من الاشتباك القريب . وجهاً لوجه . وقد جرب هذا النوع من القتال في كل من منطقة الاورال . وسيبريا . وأوكرانيا .

وفقاً الى انطباعات ضعيفة وليدة بعض الرسائل المتداولة فان حرب الأنصار ربما فيها من تآلف بين الرجل والمرأة خلال قتال الغابات وركوبهم الخيل أكثر مرونة وأكثر ديمقراطية من القتال النظامي ضمن الوحدات العسكرية التقليدية . هذا علماً ان الروابط الأجتماعية تكون اقوى خلال العمل .

ان الحب لايمكن ان يلغى في وحدات كهذه هذا فضلاً عن الرأي العام السوفيتي سواء كان جماهيرياً أو رسمياً الذي لايهتم كثيراً بهذه الأمور . هناك دور آخر للمرأة خلال هذه الحرب يعتبر دوراً مهماً وطريفاً في نفس الوقت وهو دور «المرأة المعلمة للرجل» .

خلال الحرب الاهلية كان البيض لايستخدمون النساء لاغراض الدعاية . عكس الحمر . الذين أستخدموهن على نطاق واسع . من المستحيل القول والقرار على السبل التي بواسطتها تمكنت النساء من ضخ المبادئ البلشفية من أولها الى آخرها في عقول الناس من شتى المراتب . ولكن . وهذه مسألة حقيقية . فان البلاشفة كانوا يحاولون سلوك شتى الطرق . وأستخدام كل المصادر من أجل الوصول الى قلوب وعقول الجماهير .

ان التقديرات تشير الى ان عدد النساء اللواتي قاتلن ضمن الكتائب في الحرب العالمية الأولى هي «خمسة آلاف أمرأة» . مع أضافة «١٠٠٠» أمرأة أخرى قاتلت قتالاً شخصياً أو ضمن مجموعات متطوعة صغيرة في الفترة التي سبقت تأسيس هذه الكتائب «مايس - ١٩١٤ - ١٩١٧» أما بالنسبة الى الحرب الأهلية فان الارقام تشير الى وجود «٨٠٠٠» أمرأة مقاتلة . الا ان هذا الرقم كان يشمل الممرضات أيضاً ، وعلى أية حال فلا توجد أية أرقام يمكن الاعتماد عليها أعتماداً كلياً .

في العهد القيصري كان عدد النساء قليلاً . ولكن الوظائف كانت متعددة وقد أستخدمت المرأة حتىٰ كطيار . علماً ان السلاح الجوي الروسي قد تأسس في عام «١٩١٠» في عدد من الطائرات ذات الجناحين لاتزيد على عدد الاصابع .

في زمن «يوجكاريفا» كانت الوحدات النسائية خاضعة لحكم النساء المباشر . والوظائف كانت متمثلة بسرايا الرشاشات ، ووحدات المواصلات وأفواج النقل . أما في الحرب الأهلية فان هذه الأشياء قد دمجت ووسعت

لانعرف الا القليل عن بدايات المرأة الجندية خلال بداية الحرب العالمية الأولىٰ . الا ان النساء اللواتي ينحدرن الى الطبقات الفقيرة كان لهن السيادة بالعدد في هذه التنظيمات في كل الفترات . ففي الحرب الاهلية كانت الرتب توهب الى عاملات المصانع . وكان من واجب الضباط هو تثقيف النساء والثوار التقليديين . حول الأمور الحربية وفترة النضال السري وخبرته .

كانت رتب المرأة خلال الحرب الاهلية هي رتب متوسطة . أكثر مما هي رتب صغيرة أو عالية . ربما ان الشيئ الأكثر تمييزاً حول الحرب العالمية الأولىٰ وخبراتها . هو الطرق التي تمكنت المرأة بواسطتها من دخول القوات المسلحة ، مشكلة أفواج النساء . وذلك بجعل الرجال يخجلون من أنفسهم عند الفرار . في الحرب الاهلية تم تجنيد الكثير من الرجال والنساء ، وهذا مما هيأ الجو الى ما يسمىٰ «بحرب الشعب» والذي كان دليل عمل في الحرب العالمية الثانية .

ان الشخص عندما يقارن التجربة السوفيتية مع التجربة البريطانية خلال الحرب سيجد صعوبة بالغة في أيجاد الروابط بينهما في مجال أستخدام المرأة . مرة ثانية . يمكن أن نلمس اللمسات السياسية والايديولوجية المختلفة ، بالاضافة الى البناء الأجتماعي .

لم يكن هناك أية مناقشات كان الاتحاد السوفيتي قد أجراها في برلمانه حول منافع أستخدام المرأة في المجهود الحربي . لقد كانت جبهتهم ساخنة وتحتاج الى حركة دائمة وقد أمتدت هذه الجبهة من منطقة ريكا . وحتىٰ البحر الاسود ، موقفهم هذا كان موقفاً شبه بائس ومخيب للآمال . ولهذا فان رفض النساء في موقف كهذا لايعتبر عاملاً مفيداً . ولا يخدم المصلحة .

تنظيم «زينوتدل» تأسس عام ١٩١٩ بطريقة مشابهة الى صنف نساء الجيش البريطاني للطوارئ . فكلاهما كان مكرساً للخدمة في منازل النساء اللواتي يرغبن في دخول

المؤسسات الحربية ، كمتطوعات ، كما كان كل منهما يمتلك قوة وامكانات كبيرة ، الا أن صنف نساء الجيش البريطاني للطوارئ كان تنظيماً أقرب ما يكون الى تنظيم النوادي بينما التنظيم السوفيتي المشابه لهذا التنظيم كان تنظيماً حزبياً في الأصل . ولذلك فقد كان أهم من معهد حكومي .

من وجهة نظر معينة كان هناك وبصورة تقريبية تشابهاً في أمر مهم واحد ، هو ان عدوان عندما ينتهي عنده ينتهي دور معظم النساء ، بحيث يجري الأستغناء عن خدماتهن وتسريحهن . في الطبقات العليا في بريطانيا يذهبن الى عوائلهن ويبدأن بممارسة هواياتهن ، بينما نساء الطبقات العاملة يذهبن الى طواحينهن . غير أننا نجد أن معظم النساء السوفيتيات المتسرحات يعادون العمل في المصانع لترصين البناء الاشتراكي .

ماذا حدث للنساء السوفيتيات في الفترة الواقعة بين الحربين؟ الجواب على هذا السؤال يتمثل ببساطة بأستخدامهن من أجل البناء الصناعي المتصاعد وتسخيرهن للأعمال الأخرىٰ وخضوعهن الى التطهير الستاليني في عام ١٩٣٠ . في مرحلة تصاعد الأنتاج الصناعي الكتلوي ، تم تجنيد النساء من أجل تمدينهن ، وجعلهن قوة فاعلة في المجتمع في شتىٰ المجالات .

مئات الالوف من هؤلاء النساء جلبوا بطريقة اقتصادية ، واعطيت لهن الدروس المتضمنة للثقافة الفنية ، هذا علماً ان قطاعات خاصة من الأعمال اقتصرت تقريباً على النساء كالتمريض والصيدلة .

النساء ، وحتىٰ اللواتي كن مثقلات بالقضايا التي تخص البيت والعائلة ، اتجهن بصورة ثابتة الى الصناعات الخفيفة ، وحتىٰ الثقيلة منها في بعض الاحيان ، هذا بالاضافة الى العلوم ، والهندسة والاعمال الفنية الأخرىٰ ولذلك فعندما وضعت الحرب اوزارها في عام ١٩٤١ كان هناك عدد كبير من النساء يمثل أحتياطياً فنياً ضخماً .

لقد شاركت المرأة الروسية في الفعاليات المشابهة للفعاليات العسكرية ، ومارست الالعاب الرياضية والتدريب على الرمي ، والدفاع عن النفس والطيران والحرب الكيمياوية حيث بدأت بالتدريب في عام ١٩٢٧ على العمل الأخير .

ان الآلاف من النساء الروسيات قد دربن على أعمال لها علاقة مباشرة بالقتال الفعلي مثل أعمال القنص ، ومراقبة الغارات الجوية ، والسياقة والمظلات وأعداد رشاشة ، وعاملات للتجهيزات الحربية .

أن محمل الموقف السوفيتي ينطبق عليه القول الذي أدلت به الباحثة الأمريكية «ميري فيسود» والمتضمن ما يلي :

«ان الحقائق المنبثقة من الواقع جعلت الشعب الروسي يقرب الى العقل الآلي . والعقل الحرفي على حد سواء» .

نظرة على فعاليات المرأة
الروسية
خلال الحرب العالمية الثانية

عندما اقتحم الالمان الأتحاد السوفيتي في شهر حزيران عام ١٩٤١ . كان رد الفعل الحكومي الابتدائي فيما يخص المرأة هو الضغط على فكرة تعدد الوظائف بحيث تمكن الرجال من الذهاب الى الجبهة واحلال المرأة في الوظائف التي كان يشغلونها سواء كان ذلك العمل في المعمل أو في الحقل أو في الدوائر . لقد كانت هذه الفكرة سائدة في الاشهر الأولىٰ من الحرب .

اذا عدنا الى الوراء قليلاً ومن الفترة الواقعة بين العام ١٩٣٢ حتىٰ ١٩٣٩ سنجد ان الافراد الذين أستخدموا في الاعمال الحديثة يشكلون نسبة قدرها ٨٧٪ من النساء .

ان نسبة النساء في الصناعات كانت ٤٠٪ من مجموع القوىٰ العاملة في مدينة «لينين غراد» كان يوجد «٢٤٫٠٠٠» مهندسة من مجموع قدره «٧٦٫٠٠٠» مهندس . النظام الحاكم أراد أن يوظف ويستفيد من هذه المهارات في أعمال المناطق الخلفية .

لقد سمح للمرأة القيام ببعض الأعمال الثقيلة والخطرة كمهنة التعدين . عند حلول عام ١٩٤٢ كانت نسبة النساء العاملات في حقل الصناعات تقدر بـ ٦٠٪ من المجموع العام . أما النساء اللواتي لم يجر أستخدامهن في هذه الأمور فقد جرت تعبئتهن من أجل بناء التحصينات وحفر الخنادق . كان عدد النساء في القوات المسلحة عند نشوب الحرب لايتجاوز عدد الاصابع عند بداية الحرب . الا أن هذا الرقم مشكوك فيه . حيث ان الارقام غير متيسرة حتىٰ الآن . وعلى أية حال فقد كانت مقاومة على الصعيد الرسمي والشعبي حول زيادة عددهن في السنة الأولىٰ من الحرب . هذا علماً ان البعض القليل منهن قد تطوعن في عام ١٩٤١ . ولكن لم تستخدم أية منهن لادوار قتالية وانما كانت واجباتهن مقصورة على الاسناد .

في عام ١٩٤٢ . كانت الخسائر في القوة البشرية الرجالية كبيرة جداً . ولهذا فان مقاومة دخول المرأة في القوات المسلحة قد خفت الى حد كبير مما قاد في النهاية الى عمليات تعبئة نسائية .

لقد كانت منظمات الشباب الشيوعي «KOMSOMOL YOUNG COMMUNISTS» مسؤولة عن أستدعاء أية فتاة غير مشتركة في أعمال تهم المجهود الحربي . وبصورة شرعية . الى الخدمة في القوات المسلحة .

ان البلوى وفقدان الأحبة كانت هي الأمور التي تحرض وتحث النساء على الالتحاق بالقوات المسلحة . وقد أستغل النظام هذا الشيء وعشقه في ماكنة الدعاية مستثمراً الكوارث والمذابح التي قام بها الالمان . وخصوصاً ضد النساء والاطفال .

عند حلول عام ١٩٤٣ . تمكنت المرأة السوفيتية من الدخول الى جميع فروع القوات المسلحة . لاعبة كل الادوار التي تلقى عليها . حتى نهاية الحرب . فقد خدمت في صنف المشاة . ومدفعية مقاومة الطائرات . والدروع . والمدفعية والنقل . والمواصلات . والطيران . والتمريض . وقتال الأنصار .

مدارس الشباب الشيوعي «الكومسمول» تمكنت من تدريب حوالي ربع مليون أمرأة على أستخدام مدافع الهاون . والرشاشات الثقيلة . والرشاشات الخفيفة . وحملة بنادق آلية . وقناصات . وحاملة بندقية .

لقد أسس مركز تدريب القنص النسائي في مايس من عام ١٩٤٣ . وكان هذا المركز بعد شهور قليلة من دخول النساء اليه يعدهن هدافات ماهرات . ويضخ خلال المدة المذكورة ما لايقل عن «١٥٠» . وعلى أية حال فأن الارقام تشير الى أن النساء القناصات تمكن وحتى نهاية الحرب من قتل «١١٫٢٨٠» شخصاً من أفراد العدو .

ان القناصات كان لكل منهن كتاب يدعى كتاب القتل يدون فيه عدد الأصابات التي قامت بها كل واحدة منهن غير أن المشكلة كانت في أمكانية أستخدام الرمانات اليدوية . فقد كانت هناك حالات قتل نتيجة سوء أستخدام هذه الرمانات . بالاضافة الى مشكلة أخرى وهي مشكلة تسلق الأشجار ووفقاً الى المصادر السوفيتية فان «نونا سولوفي» تمكنت من قتل سرية المانية بكاملها خلال مدة خمسة وعشرين يوماً . وهذا يعتبر أنجازاً مميزاً .

أن اول تشكيل نسائي أحتياطي منفصل لكتيبة بندقيات أسس في شهر شباط عام

١٩٤٢ . وقد كانت النساء المنتميات الى هذه الكتيبة قد تدربن على أعمال صنف المشاة . وقد تخرج من مركز التدريب حوالي «٥٠٢٠٠» أمرأة جندية .

مقاومة الطائرات أصبح عمله مقصوراً على العنصر النسائي مع قيادة من قبل نساء ضابطات . وتقدر اعداد اللواتي انتمين الى هذا الصنف بـ «١٠٠٠٠٠» أمرأة ، واذا ما قمنا بموازنة النساء البريطانيات المنتميات الى هذا الصنف فسنجد ان المرأة الروسية كانت تقوم هي باطلاق النار مغايرة المرأة البريطانية التي اعتبرت مساعدة على الاطلاق . وللدلالة على دقة المرأة الروسية العاملة في هذا الحقل على اطلاق النار تجاه الطائرات المغيرة فان أحد الطيارين الالمان القدماء من الذين اشتركوا في القتال بشمال أفريقيا صرح لما يلي : «كنت أفضل الطيران عشرات المرات في أجواء «طبرق» من أن أطير ولو مرة واحدة فوق نار المدفعية الروسية المنطلقة من قبل النساء» .

لحد الآن النساء الروسيات يخدمن في الدبابات بكل طاقتهن . وهناك مثال حدث في الحرب العالمية الثانية ، وهو ان المقاتلة «ماريا أوكتيابسكايا» عندما أصيبت دبابة زوجها خلال القتال . أندفعت بدبابتها التي كانت تسميها «رفيقة الخط الأمامي» وساقتها في أرض المعركة ولقيت حتفها قرب «فيتبسك» عام ١٩٤٤ .

المرأة الروسية خدمت في حقل النقل العسكري ، وتشير الأحصائيات على انها كانت تكون نسبة قدرها «٧٥٪» من المجموع العام للأفراد ، هذا علماً ان منظمة الشباب الشيوعي تمكنت من تدريب «٥٠٠٠٠» أمرأة على أعمال النقل العسكري .

في المجال الجوي . اعداد النساء كانت قليلة نسبياً ولكن كان بالأمكان لمسها ومشاهدتها من خلال فعالياتها .

النساء الطيارات اللواتي تدربن على الطيران في نادي «أوسوفيا كم» للطيران ومعاهد الطيران الأخرى عام ١٩٣٠ كن متهيئات للخدمة الفعلية عند بداية الحرب العالمية الثانية ، وكان من بين المتدربات «ماريا رسكوفا» . وهذه تعتبر بطلة طيران نسائية متفوقة على جميع من خدم في الشرق الاقصى من النساء ، ان «ماريا رسكوفا» كانت عضوة في الحزب الشيوعي . وقد كانت تتلقى طلبات من النساء الطيارات للعمل في أسراب القوة الجوية وقد قامت ماريار بعرض هذا المطلب على وزارة الدفاع السوفيتية والذي يتضمن تطوع المرأة في القوة الجوية .

لقد نجحت ماريا ربمسعاها وسمح لها بتأليف ثلاث كتائب طيران نسائية وهكذا تم تأليف الجحفل الجوي «١٢٢» الخاص بالقتال ليكون تحت أمرتها في منطقة بالقرب من «سراتوف» الواقعة على نهر الفولكا ، البعيد عن الجبهة وذلك لأغراض التدريب .

لقد تمكن هذا الجحفل تخريج حوالي «٦٠٠» أمرأة طيارة ودفعها الى الوحدات الجوية النسائية الأخرىٰ .

كتيبة المتصديات الجوية الرقم «٥٨٦» التي كانت مزودة بطائرات «الياك» «   » قامت بطلعات جوية ضد الألمان المزودين بطائرات «الشتوكا» القاصفة . والمستر شميدث المقاتلة ، وكانت هذه الطلعات تشمل جميع أجزاء الجبهة .

ان حصيلة هذه المهمات الجوية النسائية هو أسقاط ثمان وثلاثون طائرة المانية ، ولكن علينا أن ننوه في هذا المجال بأن عدد الخسائر السوفيتية غير معروف حتىٰ الآن ، كتيبة القاصفات المتوسطة المدىٰ الرقم «٥٨٧» كانت وحدة تعبوية وقد قامت بقصف تجمعات العدو ، ومناطقه الادارية ، هذا علماً أن مدىٰ عمل هذه الطائرات كان يغطي منطقة تمتد من مدينة «ستالينغراد» وحتىٰ «بروسيا» .

ان الكتيبة الأكثر شهرة من الكتيبتين المذكورتين هي كتيبة القاصفات الليلية الرقم «٥٨٨» وقد بدأت هذه الكتيبة أعمالها من منطقة القوازق وقامت بالغارات الليلية ، مستخدمة أول الأمر طائرات مزدوجة الجناح .

ان غارات هذه الكتيبة أمتدت في نهاية الأمر لتشمل حتىٰ الاراضي البولندية وقد قامت بما يقارب من ثلاثمائة مهمة جوية في ليلة واحدة .

أن الأرقام المتوفرة عن هذه الكتيبة تشمل بمجموعها العام «٤ر٣٧٦» منتسباً يقسمون كمايلي :

٢٣٧ ضابطة .

٨٦٢ نائبة ضابط وضابطة صف .

١١٢٥ مجنداً .

٢١١٧ متطوعاً .

أن المرأة وبصورة شخصية قد عملت في وحدات الرجال الجوية بالاضافة الى ما ذكر أعلاه ، وبطريقة تشبه خدمة الرجال .

ان المرأة الروسية . ومهما يقال قد عملت الكثير خلال الحرب الجوية ، وقد ضحت بنفسها سواء في ميدان التعبئة . او الميدان الوطني الأوسع ، وهذا ما يمكن لمسه من الارقام الواردة اعلاه .

ان سر نجاح المرأة الروسية في الميدان الحربي ناجم عن ثقافتها الفنية ، والبناء الأشتراكي والمناهج العقائدية الأخرىٰ التي ابتدأت في العام ١٩٣٠ .

الافراد المنتمون الى الصنف الطبي كانوا يعتبرون من الافراد المقاتلين وذلك لأعدادهم الكبيرة العاملة في الميدان ، وكان حضور الطبيبات والممرضات حضوراً فاعلاً في ظروف المعركة ، ان المرأة في هذا المجال كانت تمثل الارقام التالية وهي :

٤٣٪ طبيبة جراحة عسكرية «تخصص ست سنوات في الميدان الطبي وخريجة أحد المعاهد» و ٤١٪ من المجموع العام الكلي للأطباء العاملين في الخطوط الأمامية ، ٤٣٪ من الممرضين في الجبهة «أربع سنوات تخصص وتدريب على أعمال التمريض» مع نسبة ١٠٠٪ من الممرضات اللواتي يقمن بادارة محطات تمريض ، ٤٠٪ من المساعدات في أمور الادوية ، والمنام والنظافة والمغاسل ، ورزم التجهيزات وارسالها الى الجبهة ، بالاضافة الى تقديمهن المساعدة في عمليات الاسعافات الأولية والخدمة في المستشفيات العسكرية لقد كان حضور المرأة واضحاً وجلياً في حقل الطبابة العسكرية ، ومع هذا فكن مستخدمات بدرجة أقل من الحقل المدني الذي يتفوق من الناحية العددية غير أنه لايتفوق من الناحية الادارية .

ان الأمور الطبية وملحقاتها منتشرة بكثرة في كل أرجاء اتحاد السوفيتي وحتىٰ في المعامل ، ومع هذا فجميع من يعمل في الحقل الطبي من النساء وعلى وجه العموم يعتبر مقاتلاً ويستلم السلاح .

الدكتورة «صوفيا فيكتنوفا» تمكنت من انقاذ «٢٠» جندياً ينتمون الى الجيش الأحمر من ساحة المعركة وتحت وابل من الرصاص الالماني ، الممرضة «زيناديا يوسنولوبا مارشنكو» عملت نفس الشيء الذي عملته الدكتورة «زيناديا» وقد جرحت ، من جراء هذا العمل جرحاً بليغاً . فقدت من جرائه يديها ورجليها وهي في سن الثالثة والعشرين .

«ايلينا كوفال شك» قادت صولة مشاة بعد أن جرح قائد الصولة ومهما يكن الأمر ، فان الخط بين المجهود الطبي العسكري والقتال المباشر يختني في الخطوط الأمامية التي تعمل بها المرأة كمقاتلة حيث ان المقاتلة كانت تقوم باطلاق النار ، وحمل الأسلحة والموت ، خلال الفعاليات العسكرية .

من العام ١٩٦٨ وحتى العام ١٩٨١ . الكاتب «سيتيس» تمكن من أن يتحدث وبصورة غير رسمية الى بعض الطبيبات والممرضات اللواتي خدمن خلال الحرب العالمية الثانية . وسجل ملاحظات حول ما تبقى لديهن من ذكريات وخبرات حول تلك الحرب ، ولكنه خرج بنتيجة مهمة . وهي أن جميع النساء السوفيتيات وجميع الشعب السوفيتي سيقاتل بضراوة اذا كانت هناك حرب كبيرة مقبلة . وعندما تتعرض الاراضي السوفيتية فيها الى الخطر .

الأرقام حول الأنصار والنساء الأنصار . أرقام متشعبة وكبيرة في تقديراتها الا أن أحسن الارقام أو الرقم المعقول قد اعطي من قبل «مورمانتسينا» ويشمل «٢٦٫٧٠٧» أمرأة نصيرة من مجموع عام قدره «٢٨٧٫٤٥٣» . خلال عام ١٩٤٤ ، هذا مع العلم ان هذا الرقم لايشمل سيل الأنصار الهائل العامل بصورة شبه منفصلة في مناطق سكناهم الخاصة ، معتمدين على موقعهم الجغرافي من الجبهة ، حيث ان العدو كلما كان قريباً منهم أبدوا النشاط في مقاومته ومتى ما تقهقر فهم يبقون في أماكنهم . في غابات روسيا البيضاء كانت فعاليات وأعداد الأنصار كبيرة جداً . الا أن المرأة في هذه الغابات كانت تشكل نسبة قدرها «١٦٪» أما رقمياً فيمكن القول بوجود «٧٫٠٠٠» امرأة . وعلينا أن ننوه في هذا المجال أن المرأة التي أنضمت الى حركة الأنصار . أنضمت بصورة مباشرة وبدون تهيئة تدريبية خاصة .

في حزيران عام ١٩٤١ ، ناشد ستالين بنفسه النساء للدخول الى حركات الأنصار . وفي تموز من العام نفسه الجنرال «بودوني» ، والذي شاهد بنفسه قتال النساء خلال الحرب الأهلية ناشد النساء والرجال على حد سواء من سكنة المناطق المحتلة من قبل الألمان ، ان ينضموا الى قتال العصابات المنفصل ومما تضمنته كلمته ما يلي :

((انضموا الى مفارز الانصار ، واخلقوا فصائل جديدة أخرى ، أبيدوا القطعات الالمانية ، واستأصلوها مثل الكلاب ، هاجموا القطارات ، وأزيلوا السكك ، فرقوا مواصلاته . وفجروا مناطق ومحلات ذخيرته)) .

النساء عملن كل ماجاء أعلاه وأشياء أخرى .

البعض من النساء ساق ابنته الوحيدة الى الغابة ، لمقاومة الالمان الغزاة.كل مفرزة من مفارز الانصار ، وبصورة عامة ، كانت لاتخلو من العنصر النسائي ، الا اننا في هذا المجال علينا ان لانتصور أن كل النساء في مفارز الانصار كن من أجل اعمال قتالية ، وعلينا أن نبين ان نسبة عالية منهن كن يقمن بالخدمات الطبية ، والاتصالات ، والاسناد الاداري ، ومع هذا فكل امرأة في هذه المفارز كانت مسلحة .

في مدرسة تدريب الانصار المركزية كان هناك حوالي ((١٦٢ر١)) امرأة يتدربن على الامور العسكرية . أما النساء الاخريات فقد كان يجري تدريبهن في معسكرات متعددة وكثيرة محلية منتشرة في عموم الاتحاد السوفيتي .

النساء الانصار كن يتنكرن في زي القرويات ، ويتحركن خلف الخطوط الخلفية للالمان من أجل الاستطلاع وتقصي المعلومات واجراء بعض المهمات التخريبية. ان أكثر النساء شهرة كانت هي ((كوزموري مانيمسكايا)) المشهورة بالاسم الحركي ((تانيا)) ، والتي القبض عليها خلال عمل تخريبي . ان هذه المرأة قد عذبت ومن ثم جرى شنقها في شجرة ، وبقي جسمها معلقاً في الهواء من أجل مشاهدته من قبل القرويين الاخرين العائدين الى المنطقة التي جرت بها العملية . ان الكثير من الاوساط الجماهيرية قد أحاطت اسمها وبصورة غير رسمية بهالة من التمجيد تقترب من العبادة ، ومع هذا ، فان هذه النصيرة لم تكن الا واحدة من الكثيرات اللواتي عانين من موت زوآم على أيدي الغزاة .

الاكثر من حادث هذه المرأة الشجاعة ، ولكنه حادث خاص وأقل جماهيرية هو قضية ((ايلينا مازانيك)) التي كانت تعمل نادلاً في أحد المطاعم في مدينة ((منسك)) وكانت بالاضافة الى ذلك ضمن تنظيمات الحزب الشيوعي للمدينة ، ان الشابه المذكورة تمكنت من أن تجد طريقاً الى محل اقامة ((ويهلم كيوب)) : الحاكم الالماني للاراضي المحتلة في روسيا البيضاء ، وكان سفاحاً ولقد تمكنت هذه المرأة أن تضع قنبلة موقوتة تحت سرير هذا الحاكم وتقتله .

وكما حدث في الحرب الاهلية فان النساء الباقيات في المدينة لادارة بعض الاعمال كادارة المخازن كانت تناط بهن أعمال أخرى مثل جمع المعلومات عن العدو من مناطقهن المحتلة وتمرير هذه المعلومات الى القوات التي كانت تعمل في الغابات ، أو السلطات الاخرى للاستفادة منها أولاً بأول .

هناك في سجلات بطولات المرأة أمثلة أخرى خلال هذه الحرب ، حول فعاليات المرأة في قتال العصابات والقتال النظامي هذا علماً ان معظم النساء قد شاركن باسقاط الطائرات الالمانية .

مشاكل التكامل

لقد سمح للمرأة بالدخول الى القوات المسلحة عندما تمكنت المرأة بنفسها من برهنة أهمية دورها عبر الاعمال المناطة بها . وقد اعترف بها كلياً عندما برهنت وبصورة عملية على انها مقاتلة

بالاضافة الى الوظائف الاخرى .

لقد درست بعض الضابطات والمجندات الجذور التأريخية لاسباب رفض المرأة من قبل بعض العاملين في القوات المسلحة . وتمكنت بعد ذلك من ايجاد الحل لقبول المرأة . غير ان أكبر الحجج هو ان المرأة أكثر اندفاعاً من الرجل عندما تناط بها مهمة معينة ، كما انها أكثر واقعية وصبراً . وهذا مابرهنت عليه النساء في الوحدات النسائية الخالصة ، سواء كانت هذه الوحدات وحدات جوية أو وحدات مشاة ، أو وحدات مقاومة طائرات .

ان معظم النساء عملن في وحدات مختلطة مع الرجال ، ولكن هناك الشيئ القليل الذي تخبرنا به الوثائق عن مشاكل التكامل في هذه الوحدات .

ان من أكثر الاشياء متعة وابداعاً في الموقف السوفيتي من المرأة هو موقف الفريق المكون من الزوج والزوجة اللذين كان يجري قتالهما سوية في أكثر الاحيان ، فهناك ((الكسندرا وزوجها ايفان بويكو)) كانت هي برتبة ضابط وآمرة لدبابة ، وكان زوجها سائق دبابتها الخاص ، وبهذا العمل فقد كونوا فريقاً وخدم كلاهما خلال الحرب بهذه الطريق .

المرأة في معظم الاحيان وليس دائماً كانت تحل محل زوجها المفقود أو أخيها وكان هذا شيئاً مقبولاً ومألوفاً ، وتذكره المصادر السوفيتية كما ذكرناه .

ان المصادر السوفيتية تتحدث دائما عن مساواة أوسع بين الجنسين في تنظيمات الجيش بحيث كانت المرأة تتقاسم الخشونة مع الرجل ، وتلبس نفس البزة العسكرية في بعض الاحيان . وهكذا دواليك .

ان العقلية السوفيتية المتفتحة ، مكنت ((جون آرمسترونغ)) من اعطائها موازينها الخاصة في دراسة خاصة ، حيث شدد وركز على المهمات الصعبة التي كانت تناط بالنساء ، مع وجود المعاملة المتساوية ، بالاضافة الى معسكرات التعقيب عند وجود موقف خاص ، وهذه المعسكرات تقام لتعقيب القوات المعادية المنسحبة الا ان ماذكره ((ارمسترونغ)) يعد مبالغاً فيه ، ويسير بالامور بالاتجاه المعاكس .

ان سياقات وأسلوب التكامل ، من الصعوبة ايجادها بين الرجل والمرأة خلال الحرب العالمية الثانية في الاتحاد السوفيتي . فقد خدم الرجل في كتيبة القتال الجوي الرقم ((٥٩٦)) والرقم ((٥٨٧)) وهي كتائب خاصة بالنساء ، ولكنه لم يخدم في الكتيبة ((٥٨٨)) وهذا سببه غير معروف . النساء الطيارات والنساء الاخريات عملن ((كمرأة جوية)) في وحدات رجالية وأحياناً كان هناك تدريب يجري للنساء وكان هذا التدريب مشابهاً لتدريب الرجل ، الا ان

تنظيم وحدات المرأة كان صغيراً . مبتدئاً بالفصيل ومن ثم السرية ، ومن ثم الفوج . أما في وحدات القنص النسائية فان حوالي نسبة ((٣٠٪)) من الضباط كانوا من الرجال بينما نجد ان جميع نواب الضباط من النساء .

التدريب على المشاة للنساء لم يكن صارماً بالدرجة التي كانت تنطبق على الرجال . ومع هذا فان المرأة حتى تتعود على ظروف وأجواء المعركة كان المطلوب منها ان تقطع مسافة تقدر ما بين ((٢٠)) الى ((٢٢)) كيلومتراً في مرحلة التدريب الابتدائي خلال يوم واحد مع كامل تجهيزاتها التي تحتاج اليها في المعركة .

المرأة في قصص دور النشر ، أو في المذكرات كانت تظهر معتمدة على نفسها اعتماداً كلياً ، وصلبة .

وثيقة رسمية المانية تعتمد على أقوال جندي سوفيتي أسير تشير الى ان النساء كان يضغط عليهم للخدمة في وحدات المدفعية ، وعن الرجال الذين ينظرون باحتقار ويزدرون هؤلاء النساء .

في حركة الانصار ، عندما يحق للمرء ان يتوقع أي شئ ، فانه لايجد الى مايشير بصراحة حول المساواة بين الجنسين ، كما لايجد حدوداً فاصلة بالعمل حيث ان المرأة كانت تقوم بأعمال خلف خطوط العدو ، وتقاتل . وهذا ماكتبه الرجال ، ولكن من وجهة أخرى ، وكما حدث في الحركة الثورية قبل سبعين سنة من الحرب العالمية الثانية ، نجد ان المرأة قد حققت وضعاً متساوياً مع الرجل ، وكانت له منافساً قوياً خلال لحظات المواقف العصيبة المتغيرة ، وتلك الظروف جعلتها تأخذ دوراً مركزياً ولكن هذا الدور كان مفروضاً عليها كما تخبرنا به قابلياتها البدنية .

بعض الملاحظات

المصادر التي تحدثنا عن أرقام النساء اللواتي خدمن في القوات المسلحة السوفيتية أبان الحرب العالمية الثانية غامضة ومبهمة وكما يلي :

- مليون امرأة اشتركت بالقتال الفعلي خلال الحرب ، وهذا الرقم يشمل على الانصار في حربهم غير النظامية .
- حوالي ((٨٠٠،٠٠٠)) من الرقم أعلاه كن من القطعات التي ترتدي البزة العسكرية في الجيش الاحمر .

- حوالي ((٠٠٠ر٥٠٠)) من هؤلاء المذكورات في أعلاه قد خدمن خدمة فعلية في الجبهة سواء في أعمال القتال . أو في الاعمال الساندة .

لحد الان لاتوجد لدينا ادلة مقنعة لاختبار صحة هذه الارقام . وذلك بسبب كون النظام يقدم هذه الارقام المسطحة من دون أن يقدم التفسيرات المعقولة لها . اذا افترضنا ان هذه الارقام قريبة من الحقيقة ودقيقة . فان هذا يعني ان النسبة النسوية في القوات المسلحة السوفيتية هي نسبة تقدر بـ ((٨٪)) من القوة القتالية للجيش الاحمر خلال الحرب . علماً ان المصادر تشير الى وجود ((١٢)) مليون رجل .

منظمة الشبيبة «الكومسمول» جندت خلال موجات التعبئة الرئيسية الخمس حوالي ((٠٠٠ر٥٠٠)) امرأة . وكان من بين هؤلاء ((٠٠٠ر٢٠٠)) ينتمين الى منظمة الشبيبة نفسها . هذا علماً ان نسبة ((٧٠٪)) من المجموع العام الذي تم تجنيدهن من قبل هذه المنظمة ساهمن بالخدمة الفعلية .

من المؤسف حقاً اننا نملك ضعفاً واضحاً في انطباعنا حول . الرتب . والاعمار والقومية . من المصادر المتيسرة . في وحدات القنص النسائية . نسبة ((٣٠٪)) فقط من النساء كن من الضابطات بينما نجد ان جميع ضباط الصف من النساء .

من مجموع ((١٧٥ر٥)) متخرجة من كتيبة الاحتياط الاولى للبندقيات . كان عدد الضابطات هو ((٢٩٧)) ضابطة و ((٩٨٦)) نائبة ضابط و (٣ر٨٩٢) من مختلف الرتب . وقد جرى توزيع هؤلاء النسوة على مختلف الوحدات بنسب عادلة .

اذا عدنا الى موضوع الرتب النسائية خلال الحرب سنجد هناك رتبة نقيب أو ملازم . وكانت تمارس القيادة والسيطرة على الكتيبة عموماً من قبل هذه الرتب . بينما نجد من الجانب الاخر ان الرتبة الاعتيادية المقترحة لممارسة القيادة والسيطرة على الكتائب هي رتبة عقيد .

ان الرتب التي كانت سائدة ومرئية بالنسبة للنساء تخبرنا القليل حول سلسلة القيادة ، وعن الاعداد لكل رتبة . بحيث لاتعطينا البيانات الكافية للاستقصاء والبحث . أما الاعمار فقد كانت تمتد بين الخامسة عشر . والواحد والخمسين . غير ان الملاحظ ان النساء اللواتي كن في الخدمة يمثلن الشباب .

اذا عدنا مرة ثانية لمسألة الاعمار . فاننا سنجد أنفسنا مرة ثانية أمام أرقام غير دقيقة اذا ماأقترن ذلك بالانحدار القومي لهؤلاء النساء ، ان بعض الاسماء يمكن أن تشير الى الانتماء القومي . ويمكن التأكد من لفظ الاسم ان هذا يعود ، الى روسيا ، أو أوكرانيا . أو روسيا

البيضاء أو القوازق . أو مالديفيا . أوكارليان . أو موردافيا . أو جورجيا . أو أرمينيا . أو آسيا الصغرى . وان هؤلاء مجتمعاً قد قاتلوا خلال الحرب . ان الاسماء في بعض الاحيان لاتعطينا الدلالة على الانتماء القومي . وعلى سبيل المثال فان اسم ((أوسبينكو)) هو اسم أوكراني خالص لامرأة تعمل كطيارة . كانت تسمى به امرأة تنتمي الى قومية اخرى .

ان النساء اللواتي كن ينتمين الى أقليات مطلقة غالباً ماكانت تذكر أسماؤهن ويشدد عليها على أساس انهن يقمن بالدفاع عن الوطن الام . ووفقاً الى ماجاءت به ((مارمان تسينا)) فان ستة آلاف امرأة من ((أزبكستان)) دافعن عن بلدهن ضمن القوات المسلحة .

((١٠٠٠)) امرأة تدربن على أعمال التمريض وأعمال الطبابة الاخرى خلال الحرب من منطقة ((تركمانيا)) وان نصف هذا العدد ذهب الى الجبهة أما النصف الثاني فقد التحق بالمستشفيات الداخلية .

من منطقة ((كرغيسيا)) ((١٫٨٩٥)) امرأة شاركن بالقتال خلال الحرب باستثناء الارقام التي تخص الخدمات الطبية . فلايوجد لدينا أي أنطباع حول الكيفية التي قاتلت بها النساء القادمات من الجمهوريات الشرقية للاتحاد السوفيتي خلال هذه الحرب ، كما لانعلم أي شئ عن تجاربهن وخبرتهن اذا ماأردنا القيام بموازنة جهودهن مع جهود النساء المنتميات الى أوربا الغربية . لقد أخذنا نموذجاً بسيطاً لـ ((١٤٥)) امرأة قناصة وبعد تحصين انحدارهن القومي وجدنا ان هناك صلة ربط بين التعداد السكاني لتلك القومية والعدد الفعلي المستخدم في هذه الوحدات حيث تبدو ان النسبة معقولة في هذا المضمار ، وأدناه الاعداد بالنسبة للسكان من مجموع ((١٤٥)) امرأة قناصة .

روسيات	١٢٠ امرأة قناصة .
أوكرانيات	٠١٥ امرأة قناصة .
بلي روسيا	٠٠٣ نساء قناصات .
قوازق	٠٠٣ نساء قناصات .
ملدافيات	٠٠٣ نساء قناصات .
قوميات أخرىٰ	٠٠١ امرأة قناصة .

اذا عدنا الى الخواص التي بموجبها تم قياس الجوائز الممنوحة الى النساء . فسنجد ان للنساء حصة ضئيلة من هذه الجوائز والمكافآت والتكريمات . فقد كرم حوالي سبعة ملايين جندي خلال الحرب . ولكن هذا التكريم لم يشمل سوى ((١٠٠٫٠٠٠)) الى ١٥٠٫٠٠٠)) امرأة .

بطل الاتحاد السوفيتي كان من الرجال . وهو أكبر تكريم يمكن أن يحصل عليه شخص في الاتحاد السوفيتي لقاء قيامه بعمل شجاع . وقد منح هذا الوسام الى مايربو على ((١١٫٠٠٠)) رجل و ((٩١)) امرأة على أكثر تقدير . ولهذا فان نسبة النساء الممنوحات لهذا الوسام شمل ((٠٫٤٪)) من مجموع الممنوحين ان نسبة المرأة في القوات المسلحة الروسية هي نسبة قدرها ((٨٪)) من المجموع العام .

الارقام المتعلقة بالاوسمة الاخرىٰ تتشابه بصورة تقريبية مع الرقم الذي أعطيناه سابقاً . ولهذا فان الصورة غير المكتملة تحتاج الىٰ نوع من التعديل .

أن تكريم الناس الشجعان يحدث دائماً للاشخاص الذين يقاتلون في الخطوط الامامية حيث القتال الفعلي . ولذلك فان تكريم المرأة والحالة هذه سيكون قليلاً . لان المرأة لم تشترك في القتال المباشر الا بأعداد قليلة .

ان الشواهد التي تجمعت لدينا والتي تطرقنا اليها تجبر أي شخص علىٰ الاعتراف بالدور الكبير الذي لعبت به المرأة خلال الحرب لكفايتها ووضوحها وهي تبين بالاضافة الىٰ ذلك ان المرأة الروسية لعبت بأدوار أبعد مما لعبته المرأة في أي شعب مقاتل وهذا كل مايمكن أن يقال بالتأكيد عند تقييم صدمة الحرب علىٰ العنصر النسائي في الاتحاد السوفيتي أو بالعكس يبدو أن من المعقول أن نقوم بعزل العوامل التأريخية عن العوامل الايديولوجية مع الاحتفاظ بالمنظور للروابط الاجتماعية . أن المنظور التأريخي للمرأة هو منظور وطني أسطوري يقرنها بالشجاعة . ومقدرتها علىٰ المعارضة . والعنف والتضحية بالنفس .

أن هذه الصفات الاسطورية مطبوعة في أذهان الشعب السوفيتي وفي تفكيره القومي . وقد تأتت هذه الصفات عبر أدوار المرأة خلال الحركة الثورية في القرن التاسع عشر وما أعقبه من أحداث جسيمة في القرن العشرين وقد تعاقب هذا المنظور الىٰ المرأة جيلاً بعد جيل .

أن المرأة شوهدت أيضاً بعد الثورة وبأعداد كافية . وخصوصاً في مجتمع المدنية . والذي بواسطته يمكننا التأكد . أن المحصلة الرئيسة هو زيادة أعمال المرأة في الجانب المدني مع ضمور في الجانب العسكري .

أن التقاليد الثورية الخاصة بفعالية المرأة . خرجت عن محتواها تحت الحكم الستاليني . وحتىٰ نشوب الحرب العالمية الثانية . ولكنها . مهما كانت الظروف بقيت معروفة بصورة جيدة من قبل الكثير من النساء المثقفات .

ان البطولات النسائية في الاتحاد السوفيتي كثيرة . وعلى سبيل المثال الوكيلة السرية «زوبرر اكهازوي» التي كانت تستخدم أسم «فيرافكنر» وقفت أمام سرب من الجنود الالمان لينفذ بها حكم الاعدام رمياً بالرصاص من دون أن تبوح بأسمها الحقيقي .

أمثلة كثيرة لا تعد ولا تحصى تشبه ما ذهبنا اليه قامت به المرأة السوفيتية.أن الكادر الحزبي تمكن من أن يستقطب النساء السوفيتيات خلال الحرب العالمية الثانية . وتجعلها تشارك على أوسع نطاق في القوات المسلحة . وتقاتل وذلك بتحريض المرأة نفسها على الدفاع عن «روسيا الام» وكمبدأ روسي وتقليد قومي يلتف الجميع حوله .

ان القليل من الاقطار يمكن أن تثير المشاعر باستخدامها مثل هذه الاساليب لقد كانت الرسائل الايديولوجية خلال الحرب العالمية الثانية مساعدة على تجنيد النساء ، وحثهن على التضحية من أجل الوطن ، مع أن هذه الرسائل كانت رسائل وطنية قومية في صيغها العامة التقليدية وبشكل غير ناضج في بعض الاحيان .

الماركسية اللينينية ، هو نوع من الصراع الطبقي ضد الاستغلال ، الا أن المجتمع الشيوعي لزم جانب الصمت حول هذه المسألة بعد بداية الحرب مباشرة وقد علم ستالين بحساسيته المعهودة بأن الروس سوف يقاتلون ويبلون فيما اذا حرض فيهم المشاعر القومية . حيث أنهم سوف يقاتلون من أجل روسيا أحسن من قتالهم من أجل الشيوعية . ولذلك وضمن العمل في هذا المجال فقد أعطت الكنيسة مركزها ، وأحسنت معاملتها للمرة الاولى منذ ثورة عام ١٩١٧ . اضافة الى أن الاسماء اللامعة التي لها سجل بطولي مثل «الكسندر فيغسكي» و «الكسندر سوفورف» و«ميشيل كوتسوف» و «ديمتري فدونسكوى» رفع من شأنهم وجرى اطراؤهم . مع الغاء مجلس الشعب ، وتبديل العنوان الرئيسي لجريدة البرافدا الناطقة بلسان الحزب الشيوعي من الجملة القائلة «وحدة الطبقة العاملة لجميع الاقطار» الى «الموت للغزاة الفاشيست»

لقد استجابت النساء ، وكما عمل الرجال ، وهذا شيء طبيعي الى هذا النداء الوطني . بحيث أن الاستناد الى هذا النوع من الدعاية أسهل من الدعاية المستمدة من الاصول الايديولوجية الماركسية . وهكذا أخذ النظام والشعب يدافعون عن أرضهم ، وعوائلهم . وبيوتهم ، ووطنهم . وليصونوا الرمز الوطني ، وحتى يعيش أطفالهم عيشة سعيدة .

لقد فعلوا ذلك ليس من أجل الشيوعية ، وانما من أجل الوطن الام ، غير أن علينا أن نذكر في هذا المجال بأن الشبيبة الشيوعية وأعضاء الحزب الشيوعي قد دافعوا عن ايديولوجيتهم

بالاضافة الىٰ دفاعهم عن الوطن الام روسيا .

لقد كان كل من الشعور القومي والشعور التأريخي هما المحركان الاساسيان للتطوع في صفوف قوات المسلحة السوفيتية خلال الحرب العالمية الاولىٰ ، وهذا ينطبق على كل الشعب نساء ورجالاً خلال الحرب العالمية الثانية ، غير أن المقارنة بين الحرب العالمية الاولىٰ وحرب ١٩٤١ – ١٩٤٥ يجعلنا نعتقد أن النساء في الحرب العالمية الاولىٰ كن قليلات العدد والخبرة تجاه ماحدث في الحرب العالمية الثانية ، ولذلك فعلينا أن نسأل : لماذا ؟ الجواب علىٰ السؤال هو أن النساء وفي المرتبة الاولىٰ عملن في المصانع بالملايين ، بالاضافة الىٰ أعمالهن في المكاتب ، والدوائر الاخرىٰ .

ستالين ثار ثورة فوقية ، وقد أنعكس ذلك علىٰ الجمهور ، أجمعه والنساء من جملة ذلك الجمهور ، فقد سحب الكثير من النساء من منازلهن ودفعهن الىٰ الميدان الصناعي بالقوة . وجعلهن جزءً من المكائن ، وطبق عليهن الانضباط الصناعي ، وأخضعهن لمفهوم وفكرة «الشعب الحديث» والىٰ الاوامر ، والروتين ، والدقة ، والمسؤولية .

أما الشيء الثاني الذي عمله ستالين فكان هو تثقيفه الىٰ مئات الالوف من النساء على العلوم ، والادارة الصناعية ، والاقتصاد ، والتقنية ، مما نجم عنه نساء مهندسات . وطبيبات متخصصات في مجالات العلوم .

وأخيراً فان ستالين غطىٰ جميع جمهوريات الاتحاد السوفيتي ، بمنظمات الحزب الشيوعي ، والشبيبة ورجال الشرطة ، والتنظيمات الكتلوية الموالية الاخرىٰ . وقد تمكنت هذه التنظيمات بأساليبها السياسية أن تستقطب اعداداً هائلة من الناس الىٰ الحزب أو الىٰ القوات المسلحة ، ولكن هذا لايلغي بأنه في بعض الظروف كان الاجبار هو السبيل الوحيد لدخول المرأة الىٰ القوات المسلحة .

كم من العوامل التأريخية والايديولوجية والنفسية وضفها الاتحاد السوفيتي لمواجهة الغزو الالماني وماهي الحسابات الاخرىٰ التي تم العمل بها في المناطق المحتلة ؟ أن الجواب علىٰ هذا السؤال واضح وجلي ، حيث أن الجميع ومن ضمنهم النساء وكانوا يريدون تحرير الارض من أيدي الغزاة وبأي ثمن ، لان الالمان جلبوا الىٰ الاتحاد السوفيتي الكوارث ودمروا أرضه ، ولهذا فان رد الفعل لهذه الاعمال من الجميع ومن ضمنهم النساء ، هو ابادة الغزاة ابادة تامة .

لقد شاهدت المرأة السوفيتية في أجزاء متعددة من الاتحاد السوفيتي كيف أن الالمان كانوا راغبين بتجويع وحرق ، واعدام النساء والاطفال بالاضافة الىٰ الرجال الذين لايحملون

السلاح وقد لاتوجد لديهم أية وسيلة للدفاع عن أنفسهم . وعلىٰ أية حال فان العهود الحديثة تمتلك فيها القوات المتصارعة أسلحة تدميرية مماثلة يمكن أن تحدث الدمار الكامل للحضارة والبشرية . وأكثر مما عمل الالمان في الاتحاد السوفيتي .

ان الولايات المتحدة الامريكية لم يجر غزوها مطلقاً ، ولذلك فلم توجد حاجة الىٰ استخدام المرأة بنطاق واسع كما وأن المانيا لم تلجأ الىٰ استخدام النساء علىٰ نطاق معقول قبل أن تتعرض الىٰ الخطر وتقل القوة القتالية الرجالية .

النساء في الولايات المتحدة الامريكية استجبن للمجهود الحربي . وتخبرنا«ليلا روب» أن سبب هذه الاستجابة كانت لاسباب وطنية أولاً ، وحباً بالعمل ثانياً ، وقتلاً للوحدة ثالثاً . بالاضافة الىٰ المحفزات الاقتصاديةلقاء العمل من قبل المؤسسات الصناعية . والاستثمارات التجارية .

ان الاسباب اعلاه هي أسباب مطلقة لاستجابة المرأة للعمل خلال فترة الحرب لاسناد المجهود الحربي . الا أن المرأة الامريكية قد انضمت الىٰ القوات ولكنها لم تسق الىٰ المعركة . الا أن النزر اليسير من النساء اشتركن في المعارك بصورة عرضية غير مخطط له . ومهما يكن من أمر فانها لم تقاتل في الخطوط الامامية ، كما ولم تشتبك في أعمال القتال القريب .

أما النساء الالمانيات ، ووفقاً الىٰ سياسة «جوزيف غوبلز» الدعائية فقد كانت استجابتهن استجابة جيدة اختلطت فيا الدعاية والايديولوجية ولكن ذلك بعيد ، عن التجنيد في مفهومه الاكاديمي . هذا علماً أن النازية لم تمنح رواتب متساوية للمرأة ولا كان لها حقوق وواجبات وطنية مشابهة للرجل ، وانما استمرت في معظم الاحوال تمارس أعمالها الامومية ، وأمورها الاخرىٰ ضمن التقاليد الالمانية التي تقدس الانوثة .

الاتحاد السوفيتي ، وهذا شيئ مؤلم كان مختلفاً حسب التقديرات بسنتين ونصف في أموره الاقتصادية والعسكرية والصناعية عند نشوب الحرب وخصوصاً الصناعات الحربية ، ولذلك كان عليه أن يزج كل الطاقات البشرية والموارد الاولية ، وتنظيماته للحاق بركب الحرب .

ان من ابدع المقارنات المصوره هي مقارنة التجربة الروسية ، مع التجربة اليوغسلافية . والصينية والفيتنامية ، بحيث أن كل مجتمع من هذه المجتمعات واجه غزواً أجنبياً عنيفاً واحتلالاً أجنبياً لاراضية .

يوغسلافيا واجهت الغزو من عام ١٩٤١ - ١٩٤٥ من قبل كل من المانيا وايطاليا . وهنكاريا . والاخرين .

الصين واجهت الاحتلال من عام ١٩٣٧ حتىٰ ١٩٤٧ من قبل اليابانيين فيتنام واجهت الغزو من عام ١٩٤١ حتىٰ ١٩٧٥ من قبل اليابانيين أولاً ، ومن ثم الفرنسيين ، وأخيراً من قبل الولايات المتحدة الامريكية .

مشابها الىٰ البيض المناوئين للثورة الروسية عام ١٩١٧ ، وخلال الحرب الاهلية ، فان كلاً من «الكومنتاغ» و«الجيشنك» في الصين ويوغسلافيا حاولا عدم تحاشي استخدام المرأة في القتال المباشر ، أما الحركات المتطرفة في كل من البلدين فقد استخدمت المرأة ، مستخدمة الخبرة الروسية لثورة ١٩١٧ ، بالاضافة الىٰ خبرتهم الخاصة الناجمة من ظروفهم الموضوعية الوطنية . خطط ملحمة الحرب الصينية ومن أجل تقويتها ، استخدمت المرأة كعاملة ، أو كمساعدة ، أو مقاتلة عصابات ، أو مقاتلة مباشرة في المعارك .

في فيتنام كانت مشاركة المرأة واسعة ولأبعد الحدود ، ومتكاملة ، وهي أنضج من تجربة الاتحاد السوفيتي والصين ، حيث تشير الدلائل علىٰ أن الملايين من النساء كن ضمن قوات القتال .

في يوغسلافيا لدينا الرقم الذي يمثل «١٠٠٫٠٠٠» امرأة ، وهذا الرقم يكون نسبة قدرها ربع القوة التي قتلت أو أعدمت من قبل القوات المحتلة والمعادين البارتسان ، في كل هذه القضايا مشابهاً الىٰ الاتحاد السوفيتي ، كان المحرك الاساسي للمشاعر هو الوعي القومي المضاد للاحتلال الاجنبي للوطن الام ، ومن ثم تعميق هذا الشعور لاستقطاب أكبر عدد من الافراد ومن ضمنهم النساء أسوة بالرجال ، الملبين نداء الواجب .

اذا أخذنا جانباً آخر ، أو مثالاً آخر حول الموضوع فسنجد أن الاحتلال الاجنبي لم يحرك المشاعر الوطنية علىٰ نطاق واسع في الدانمارك ، ولذلك فقد فشل في تأمين أعداد كبيرة من الرجال والنساء لاعمال المقاومة .

ان الاشخاص الذين حاولوا التنبؤ بمستقبل مشاركة المرأة في الحرب ، عليهم والحالة هذه ، أن يضعوا في الحسبان ، العوامل غير الاعتيادية ، المؤثرة في الموقف الحربي ، مثل الفرص المتاحة للمرأة في الاشتراك في القتال كدعم للقوة عند الحاجة ، والتقاليد التأريخية فيما يخص المرأة ، قوة الايديولوجية المتداولة ، والرموز الوطنية ، أدوار المرأة المتداولة إجتماعياً ، هيئة ومستوىٰ الثقافة النسوية ، الطاقة التنظيمية للنظام القائم ، والاهم من هذا جميعاً ، الظروف الجغرافية السياسية خلال الحرب .

فترة السلام

ان الاعوام التي جاءت مباشرة بعد الحرب كانت أعواماً صعبة جداً بالنسبة الىٰ جميع الناس في الاتحاد السوفيتي . النساء اللواتي اصابتهن البلوىٰ كن يتوقعن أن يلاقين الدعم ، من ناحيتين هما الناحية العاطفية والاقتصادية كما وأن المتسرحات من الخدمة العسكرية كن يتوقعن اسنادهن معنوياً .

لقد كان يجري تهنئة المرأة لتقديمها الخدمات الجلية خلال فترة الحرب بصورة جماعية سواء علىٰ الصعيد العسكري ، أو الاصعدة الاخرىٰ ، بينما نجد أن الرجال كانت تقدم لهم هذه التهاني والتقييمات بصورة شخصية منفرده ، ومع كل هذا فان «٩١» امرأة حصلت علىٰ وسام «بطل الاتحاد السوفيتي» .

نصف هذه الاوسمة قدمت الىٰ النساء بالنيابة ، كما وأن كل امرأة حصلت علىٰ وسام واحد بينما نجد أن قسماً من الرجال حصل علىٰ أكثر من وسام وهم علىٰ قيد الحياة .

بعد انتهاء الحرب مباشرة كان هناك تسريح لجميع النساء اللواتي يحملن الرتب ،الا لبعض النساء القليلات اللواتي يحملن اختصاصات مرغوبة ولديهن الرغبة في البقاء في الجيش الاحمر .

الاعمال الثقيلة التي فتحت أبوابها خلال فترة الحرب مثل أعمال التعدين بقيت مفتوحة أمام المرأة بعد الحرب ، وذلك لسبب بسيط ، هو عدم وجود رجال لاحتلال اماكنهن .

ان الخبرة النسائية الناتجة عن الحرب لم ينظر اليها الجمهور نظرة جدية بعد الحرب ، كما ولم ينظر الىٰ تضحياتهن الوظيفية بصورة كبيرة .

ان الادوار التي كانت تنتظر المرأة في مجتمع ما بعد الحرب هي أدوار قاسية ضمن تنظيمات القوىٰ العاملة ، وكخلاصة فأن السوفيت كانوا غير مترددين في استخدام المرأة العائدة من ساحة القتال اذا توفرت فرصة العمل ، وهذه الفرص يمكن أن تكون كثيرة ، لبلد خارج من الحرب ويريد أن يعيد بناءه .

ان النساء اللواتي عملن في الحرب العالمية الثانية لم يطلق عليهن تسمية موحدة مع الرجل كأن يقال لها : مقاتلة ، أو اختصاصية ، أو عاملة ، وأنما كان يقترن ذلك بكلمة امرأة ، فتصبح عندئذ : امرأة مقاتلة ، أو أمرأة اختصاصية ، أو أمرأة عاملة ، وهذا به نوع من التفرقة .

منذ الحرب التجنيد النسائي . والتدريب علىٰ الخدمة العسكرية . في الاتحاد السوفيتي . تبنته السلطات نظرياً . ولكن لم يظهر بالصورة الواضحة في تطبيقه العملي .

أما مغايراً لذلك فكان يجري بالنسبة الىٰ الرجال . حيث كان يطبق عليهم التجنيد الالزامي . أن خدمة المرأة خلال الحرب العالمية الثانية كان لاغراض سد النقص العددي . وهذا يعني عدم القناعة التامة بأن المرأة والرجل لها قابليات متساوية ، وأن المرأة مقتدرة أيضاً علىٰ أن تكون آمرة خلال عمليات القتال ، وهكذا نجد أن السوفييت بالرغم من انهم استخدموا المرأة علىٰ نطاق واسع وحيوي من أجل دعم المجهود الحربي الا أن عقليتهم خلال الحرب لم تتغير عن عقليتهم قبل أن تبدأ الحرب .

ان التقديرات تشير الىٰ وجود عشرة آلاف امرأة في القوات المسلحة السوفيتية ، الان وجميع هؤلاء غير متزوجات ، أو متزوجات وبدون أطفال ، كما أن أعمارهن تتراوح بين التاسعة عشرة والخامسة والعشرين ، ممن يتمتعن بالصحة والقوة الجسمية ، بالاضافة الىٰ وجوب تحصيل ثقافي لايقل عن ثماني سنوات من الدراسة ، هذا علماً أن قسماً من هؤلاء المتطوعات قد تطوعن من أجل الخدمة الفعالة .

ان التطوع يكون لمدة سنتين ، قابلاً للتجديد سنتين أخريين ، وبعد قضاء هاتين السنتين ، فانهن يصبحن من ضمن قوة الاحتياط ، وهذا شئ طبيعي في الاتحاد السوفيتي ، وحتىٰ وصولهن الىٰ عمر الأربعين ، ومن الجدير بالذكر أن العمر الاعلىٰ لخدمة الاحتياط بالنسبة الىٰ الرجال الخمسين . أن الاستنتاج المهم من هذا هو أن المرأة السوفيتية التي يقع عمرها بين التاسعة عشر والأربعين والتي تمتلك مهارة خاصة ، مثل المهارة الطبية . أو الهندسية يمكن أن تسوق للعمل في القوات المسلحة وتنسب الىٰ وحدة ما . أو ربما يمكن أن تستدعي للتدريب ، أو لقضاء أعمال أخرىٰ في أيام السلام . بالاضافة الىٰ امكانية استخدامها خلال الحرب في أعمال الاسناد ، أو للخدمات الخاصة .

منظمة الشبيبة «الكومسمول» وتنظيمها الفرعي المسمىٰ «دوساف» والذي يعني «منظمة المتطوعين لاسناد الجيش والقوة البحرية والجوية» ، ومنظمات الدفاع المدني الاخرىٰ المنتشرة في البلاد تقدم خدمات تدريبية للنساء في هذا المجال .

علىٰ أية حال أن التطوع للنساء الاختصاصيات مفتوح وحسب خطة السوق واحتياجات الجيش . هذا بالاضافة الىٰ أن التطوع بحد ذاته يعتمد اعتماداً قليلاً علىٰ المواصفات الشخصية .

ان تدريب المرأة أقل شدة من تدريب الرجل ، كما وانه أقل صرامة . أن محلات السكن منفصلة عن الرجال ، وانهن يتلقين دروساً في السياسة في صفوف منفصلة ، علاوة على التدريب البدني ومحاضرات حول الانظمة السائدة في القوات المسلحة .

بعد انتهاء التدريب بالنسبة الىٰ النساء ، فأن تنسيبهن الىٰ الوظائف يأتي وفقاً لمهارات وأمكانيات المرأة . ومدىٰ ملائمة الوظيفة لها ، معظم المتخرجات ينسبن الىٰ واجبات غير قتالية . لان المرأة ممنوعة عن الخدمة في السفن الحربية والطائرات المقاتلة ، وحتىٰ من واجبات الحراسة . الا الحراسات الخاصة بثكنات النساء .

ان النساء المتخرجات من المدارس لايمكن ترقيتهن الىٰ رتبة ضابط ، وهذا مما يقلل الفرص المتاحة أمامها لكي تكون بمنصب آمر ، مع استثناء النساء اللواتي يحملن شهادة اختصاصية ، مثل الطب ، هذا علماً أن المرأة بعد أن تصبح حاملاً يحظر عليها ممارسة أي واجب فيه فعالية .

ان القوات المسلحة السوفيتية الان لاتقدم أي «طعم» للنساء للخدمة ، ومع هذا فيوجد الكثير من النساء حملة الرتب الاختصاصيات ، مع أدراكهن الحقيقة القائلة : «أن المرأة الجندية لازال ينظر اليها علىٰ أساس انها تقدم الاسناد ، وتمثل قوة احتياطية كامنة ، يمكن أن تستثمر لاغراض القتال عند الحاجة فقط ، مادام هناك خدمات أخرىٰ ملائمة لها في الحقل الاداري أو في الواجبات الداخلية» .

«المحاربات القديمات» من النساء اللواتي شاركن في الحرب العالمية الثانية ، وظفت خبرتهن في مجال التدريس ، أو في الحقول الفنية ، مثل الهندسة ، في أكاديمية جوكوف العسكرية المشهورة ، هناك أمرأتان ضمن هيئة الاساتذة للاكاديمية واللواتي اشتركن في الحرب العالمية الثانية بصفة ملاحات جويات علىٰ الطائرات المقاتلة ، هذا بالاضافة الىٰ اسم آخر في مدرسة تامبوف العليا للطيران العسكري ، والتي كانت تعمل كملاحة جوية في كتيبة قاصفات .

في مايس عام ١٩٧٩ جرىٰ ترقية أول امرأة الىٰ منصب نقيب بحري بعد قضائها فترة تربو علىٰ سبعة عشر عاماً في خدمة البحرية ، وهذه المرأة هي «الفتينا بورسوفنا الكسندروف» .

اذا أخذنا الموضوع من جانب آخر ، وهو جانب المكتسبات والعقوبات ، فسنجد أن المرأة في القوات المسلحة السوفيتية إذا عملت بصورة متساوية مع الرجل أو أحسن منه ، فهن يستلمن نفس الرواتب ، والعلاوات ، والتقاعد والترقية . أن الترقية تجرىٰ وفقاً للمؤهلات وتيسر المنصب .

من الناحية النظرية . أن أية رتبة في القوات المسلحة السوفيتية مفتوحة للمرأة . بعد قضاء خمس وعشرين سنة أو أكثر في الخدمة . تستحق المرأة التقاعد . وهذا ماينطبق على الرجال أيضاً . والتقاعد هو بنسبة «٥٠٪» من الراتب مع نسبة قدرها «٣٪» عن كل سنة اضافية في الخدمة . مع عدم تجاوز التقاعد نسبة «٧٥٪» من الراتب الذي كانت تتقاضاه المرأة أثناء الخدمة . الخروج من الجيش لاسباب صحية ، أو لتخفيض القوات ، فأن المرأة تتقاضى الراتب التقاعدي ، ولكن يجب أن تكون في سن الاربعين فما فوق .

النساء منضبطات ، وبنعومة أكثر من الرجال ، وهن ليس موضوعاً لعقوبة مثل السجن ، أو الحجر ، أو محدوديات منطقة الوحدة ، أو المهمات العسيرة ، الا انهن يخضعن الى التوبيخ والارشاد والزجر ، والحرمان من الاشارات والمناصب وتنزيل الرتبة العسكرية ، والنقل .

ان هذه المعاملة المحبوبة هي شاهد حي على أن النساء لايعاملن معاملة متساوية مع الرجل .

ان هذا التفكير النهائي قد نجم عن سيادة الموقف السوفيتي الخاص بالمرأة والمتضمن على انها أقل امكانيات من الرجل ، سواء في الاعمال اليدوية ، أو في القيادة . وهذا لاينطبق على القوات المسلحة فقط ، وانما ينطبق أيضاً على التدريب العسكري الذي يتلقاه كل من الفتيات في المدارس .

في الخامسة عشر من العمر تقريباً يبدأ كل من الفتيان والفتيات التدريب على العسكرية ، لكي يكونوا متآلفين معه في المستقبل وعند الحاجة ، وذلك باستخدام الاسلحة الصغيرة سواء بصورة مجتمعة أو متفرقة ، كما يتدربون على الاسعافات الاولية في الميدان . وسياقات الدفاع المدني . بعد التدريب على الامور السالفة يتدرج الفتيان الى تدريب عسكري أكثف ، وأكثر في الكمية ، وأقسى .

هل أن كل هذا يعني أن الاتحاد السوفيتي لم يتعلم من تجارب الحرب العالمية الثانية ، والتي بها قدمت المرأة أيضاً دعماً عسكرياً كبيراً ؟ الجواب كلا أبداً . انهم ادركوا بوضوح بأنه خلال أوقات السلم من الاسهل أن يديروا جيشاً كله من الرجال مع احتفاظهم بنواة من النساء الاختصاصيات أما في حالة الحرب ، وهذا يعتمد أيضاً على نوع الحرب ، فانهم متهيأون بصورة تامة ، للحرب عبر تنظيمات ، وخبرات وخطط قومية ، ومنهج تدريبي بواسطة يمكن جلب أعداد كبيرة من النساء للعمل في صفوف القوات المسلحة وضمن الاحتياج ومن هؤلاء أعنف أنواع النساء في عمليات القتال .

الفصل الرابع

يوغسلافيا حرب المقاومة

بقلم
بربارة جانسر

الفصل الرابع
يوغسلافيا
حرب المقاومة
بقلم : بربارة جانسر

عام

أن هدف هذا البحث هو بيان دور المرأة في العسكرية اليوغسلافية،من أول لمحة ، فان الموضوع يمكن أن يصرف النظر عنه بعبارة واحدة هي «لاتوجد ، اسمياً ، المرأة في الجيش اليوغسلافي التقليدي ، عدا العاملات في حقل الطبابة والخدمات السائدة الاخرىٰ» .

علىٰ أية حال فان هذا البحث يستقصي ، وبصورة تأريخية ، الدور القتالي للمرأة في يوغسلافيا ، بالاضافة الىٰ أدوارها الحالية ، ومشاركتها في القوات الاقليمية ، مع نظرة الىٰ الادوار التي يمكن أن تناط بها ضمن القوات المسلحة في المستقبل .

أن هذا البحث يفترض أن يختبر العلاقة مابين المرأة وبين العسكرية اليوغسلافية ضمن مفهوم وادراك تأريخي ، وذلك من خلال أخذ عينات ووقائع حدثت في الماضي ، والعبر والملاحظات الناجمة عنها ، كخبرة يمكن أن يستفاد منها في المستقبل من أجل خدمة القوات المسلحة اليوغسلافية .

لقد برهنت المرأة اليوغسلافية علىٰ مكانتها المتميزة في الجهاز العسكري ، عبر خواص عسكرية ومواصفات قتالية أكثر من أية أمرأة في العالم ، الا أن هذه الادوار كانت ، في معظمها أدواراً نسائية .

أن عدم المساواة لهذه المرأة قد شمل حتىٰ حقول الموت ، فاذا أخذنا النسبة العددية مع الرجال سنجد أن هذه المرأة قد أعطت من القتلىٰ أكثر مما أعطىٰ الرجل في الحرب ، وكما هي الحال وقت السلم فأن المرأة في يوغسلافيا قد أعطت دوراً . وهو «دور الدفاع عن الوطن» .

لكي نتمكن أن نطور هذه الافتراضات ، فأن البحث سيركز أول الامر وبصورة مركزة علىٰ تقاليد المرأة المقاتلة اليوغسلافية ، كما يخبرنا التأريخ القومي للجمهورية ، بالاضافة الىٰ مدىٰ مشاركتها في الحركة العالمية الماركسية من الاعوام ١٨٨٠ وحتىٰ ١٩٤١ .

أن البحث بعد ذلك سيستثمر دور المرأة في جيش التحرير الوطني «NOV» خلال الحرب العالمية الثانية .

واخيراً فان البحث سيناقش وضع المرأة في القوات المسلحة اليوغسلافية في الوقت الحاضر، مع مناقشة التطورات التي يمكن أن تحصل في هذه الوضعية في المستقبل.

جميع الحسابات المتداولة من قبل الكتاب تشير الى أن وجهات النظر غير مختلفة في مضمار تعبئة وأستخدام المرأة في يوغسلافيا، حيث أن تعبية المرأة سواء كانت هذه المرأة في صفوف حركة الانصار، أو في المنظمات الاخرى كانت تخضع الى قابلية الحزب في استقطاب معظم النساء للعمل وتوسيع قاعدة المقاومة ومن ثم الوصول الى النصر النهائي في الحرب.

أن الشيء الاكثر أهمية من وجهة نظرنا، هو الاعداد الهائلة من النساء اليوغسلافيات اللواتي التحقن في جيش التحرير، وكان لهن دور جندي مقاتل في ساحة الحركات الفعلية.

في مستهل هذا البحث. هناك كلمات قليلة يجب أن تقال حول المصادر التي اعتمد عليها البحث، حيث أن معظم هذه المصادر كانت تستند على دور المرأة في حركة التحرير والوطنية، وهي مصادر مطبوعة من قبل المصادر الرسمية اليوغسلافية. أن اليوغسلاف فخورون بالانجازات التي قدمها الانصار، وخصوصاً الانجازات التي قدمتها المرأة، ولذلك فان كل الوثائق الرسمية تعكس هذا الشعور بالفخر، وتتجاوز الخوض في الصعوبات والمشاكل التي حدثت خلال تلك الفترة، كما وانها لم تتطرق الى المعوقات التي جابهت عمل المرأة خلال فترة الحرب ولذلك يمكن اعتبار هذه الوثائق غير متكاملة.

أن الوثائق والتقارير كانت تمجد الاعمال البطولية في الجانب اليوغسلافي بالاضافة الى بيانها الفضائح التي كان يقوم بها العدو والتي بولغ فيها، مما تقدم فأن المرء سوف لن يجد أي شيء يمكن أن يميز بواسطته الامور تمييزاً أكاديمياً مبرمجاً، ومع هذا فهنالك بعض الوثائق التي يمكن الاعتماد عليها والمتأتية من الجانب المقابل والتي تبين لنا الفعاليات التي جرت في هذه المنطقة من العالم.

أن الوثائق والمعلومات والبيانات التي نوهنا عنها قد جمع معظمها خلال الحرب العالمية الثانية وفي منتصف موجات العنف والمقاومة والاضطراب، وهذه بدورها معلومات ووثائق غير اسلوبية ومنهجية ولايمكن التأكد من صحتها، حيث انها تعكس الحوادث بصورة مبالغ فيها.

الوثائق «الصربية» تختلف عن الوثائق «الكرواتيه» حيث انها تستخدم مصطلحات أخرى، وذلك نتيجة للاختلاف اللغوي.

أن أعداد النساء في القوائم الخاصة بالفرق والالوية، مشكوك بها، ولاتطابق في بعض الاحيان الموجود الفعلي في تلك الفرق والالوية.

أن حجم وحدات الجيش متغيرة ، ومختلفة من منطقة الىٰ منطقة أخرىٰ ، وهذا كان يعتمد علىٰ الحماس الى التطوع في هذه المنطقة أو تلك من البلاد ، بالاضافة الىٰ أن حجم هذه الوحدات كان يتغير وفق خسائر المعركة ولذلك فان هناك صعوبة بالغة في مقارنة مشاركة المرأة وحجم هذه المشاركة عبر وحدات الجيش . واخيراً ، وبما أن معظم هذه المصادر كانت مصادر خاضعة الىٰ السلطات الروسية ، فأن الباحث سوف يواجه تأكيدات كثيرة أخرىٰ علىٰ عمل المرأة الاساس مقترناً بعملها العسكري .

ولذلك فأن الاستنتاج النهائي هو أن هذه المعلومات كانت ترتبط بأواصر سياسية أقوىٰ من ارتباطها بأواصر قتالية . في الحقيقة ، أن كيفية اختيار المرأة ورد ذكره بصورة مختصرة في الوثائق «السلافية» و«الكرواتية» و«الصربية» كما وبين دورها بصورة مختصرة في حركة التحرير الوطنية . غير أن هذا يبين لنا أن وضعها بصورة أولية معتمدة علىٰ أفكار الحزب وثانياً من المعرفة الشخصية لبعض هؤلاء الذين جمعوا المعلومات والبيانات ، ولذلك فان هذه الامور وبصورة مجتمعة لم تعطنا الصورة الواضحة عن دور المرأة وانما أعطتنا تصوراً رسمياً لهذا الدور . من خلال هذه المحدوديات فان الباحث سوف لن تتاح له الفرصة الكافية لدراسة خواص المرأة في عمليات القتال ، بميدان معركة يعد من أكثر ميادين المعركة دموية ووحشية خلال الحرب العالمية الثانية .

تقاليد المرأة المقاتلة والمرأة العاملة في يوغسلافيا

لقد تشكلت الدولة اليوغسلافية بعد انتهاء الحرب العالمية الاولىٰ من الولايات الصربية المتلفة ، ومن ضمنها مقدونيا و«مونتي جيرو» ومن مقاطعة استرو - الهنكارية السلوفانية ، وأوكرانيا ، والبونسة و«هنري كوفينا» .

لقد حصلت كل من صربيا ومونتي جيرو علىٰ استقلالها من الامبراطورية العثمانية في القرن التاسع عشر .

أن كلاً من الولايتين كانت متخلفة جداً من ناحية الاعمار والتقدم عن كل المقاطعات النمساوية الاخرىٰ المحاذية ، التي كان لديها نوع من الصناعات وخاصة مقاطعتي كرواتا وسلوفانيا .

أن القتال من أجل الاستقلال ضد الحكم العثماني انطلق من التقاليد الوطنية وشمل هذا القتال النساء الوطنيات المتحمسات وخاصة في الولايات الجنوبية في عهد بدأت تظهر فيه المبادئ الماركسية الاقتصادية ، وشعارات المساواة بين الجنسين ، والتي تؤطر العمل النسوي

وفعاليته .

كانت مونتي جيرو نفسها معجبة ومتمسكة بأحترام التقاليد الخاصة بالنساء والداعية الى تبجيل دور المرأة كأم ، وهذا مما جعلهم يعطونها سلطات مطلقة في ادارة البيت .

أن الارامل ، وبصورة خاصة كن يشكلن النسبة الكبيرة بين النساء المحاربات عندما أخذت الحرب تستنزف الكثير من الرتب الرجالية فان المرأة بدأت تعوض بعض هذه الخسائر . حاضية بأحترام جميع المشاركين في الحرب .

لقد ذكر بأن فوجاً من النساء أخذ حيزاً كبيراً في المعركة التي جرت بين الاتراك من جهة وبين ثوار مونتي جيرو ، وذلك في عام ١٨٥٨ ، وقد أطرت الصحافة الروسية شجاعة المرأة المقاتلة في تلك المعركة . هذا بالاضافة الى أن التقارير تشير الى أن المرأة قد اشتبكت في أعمال قتال أخرى ضد النمسا وهنكاريا وذلك خلال الاحتلال النمساوي بين الاعوام ١٩١٦ - ١٩١٨ ، ومن الجدير بالذكر أن سبعاً وثلاثين أمرأة ماتت في المعسكرات النمساوية .

في مقدونيا بعض النساء أصبحن شخصيات أسطورية كما واخذن يحتفلن بما حققن من نصر على الاتراك عبر انتمائهن الى الجهاز العسكري المقاتل ، كما كان للمرأة شرف آخر هو دورها في الحركة الوطنية المقدونية ، وهذا الشرف ناجم عن دورها المتضمن ارضاع الوطنية للاطفال عبر عملها كمعلمة في المدارس . أن اكثر النساء المعروفات في هذا المضمار كانت هي «سلافكا دنكوفا» وتعتبر هذه المرأة هي المؤسسة الحقيقية لمدرسة «مقدونيا الوطنية» لقد كانت المرأة عضوة في تنظيمات الثورة المقدونية «VMRO» عبر دورين أساسيين هما : الارهاب والتعليم ، كما وكانت ذات فعالية كبيرة في العمل السري خلال حروب البلقان من الفترة بين الاعوام ١٩١٢ - ١٩١٤ .

في شباط من عام ١٨٠٤ كان هناك انتفاضة أخذت فيها المرأة حيزاً كبيراً حيث انها شاركت بأعمال القتال المباشرة ، ويذكر أن النساء تمكنَّ من الاستيلاء على أحد المدافع المعادية .

أن تقاليد المرأة المقاتلة غير قابلة للمقارنة بين المرأة التي تنتمي الى المناطق الشمالية والمرأة التي تنتمي الى المناطق الجنوبية ، وعلى أية حال ففي عام ١٨٧٠ ، وعلى وجه الخصوص ، في صربيا ، وكروانيا ، وسلوفانيا ، برزت وأخذت تتنامى الافكار الماركسية ، بالاضافة الى

الافكار الخاصة بالمساواة بين الجنسين ، وهذا مما حدى بالمرأة وشجعها على المطالبة بحقوقها ومعارضة نمط حياة المرأة السابق وعلى مرأى ومسمع من الجمهور .

في عام ١٩٠٩ ، مجموعات من النساء في مقدونيا تجمعن حول الاشتراكيين وشكلن أول خلايا للمرأة المونتي جيرية الاشتراكية ، وكانت نقطة الاستقطاب لهؤلاء النساء هي «روسيا بالفيرا» وقد دأبت هذه المجموعة على تبادل الاراء مع منظمات في الخارج لجلب الخبرة العالمية الى داخل مقدونيا .

مشابهاً لما ذكرناه حدث في مناطق أخرى من الولايات حيث تطوعت مجموعات نسائية وحتى عام ١٩١٩ عندما أصبحت هذه الاراضي تدعى الجمهورية اليوغسلافية . خلال فترة الحرب ، النساء غير المنتميات الى الحركات الشيوعية ، تحلقن حول المنظمات الدينية والوطنية . وهذا يشمل الاتحاد الوطني الصربي والكرواني والسلوفاكي .

لقد انضم اتحاد المرأة السلوفاكي الى مؤتمر المرأة العالمي ، ورابطه المرأة . عموماً فان المرأة غير الشيوعية ، أما أن تكون مخالفة للنظام القائم أو أن تبقى في وضع محايد . وهذا ما اتخذته رابطة المرأة وهكذا فان المرأة في هذه التنظيمات ، كانت تخرج الى المناطق الريفية وتشجع الفلاحين على ممارسة السياسة بدلاً من تدريسهم ، المهارات التقليدية مثل الخياطة وأعمال الابرة الأخرى كالتطريز .

عندما حلت الحرب العالمية الثانية ، كانت الدكتاتورية العسكرية ، في يوغسلافيا قد أضحت جائرة وضالة ، حيث فرضت قيوداً صارمة على العمال ، وأخذت هذه القيود بالازدياد يوماً بعد آخر ، ولذلك فالاضرابات العمالية متتابعة حيث كان عدد الاضرابات في عام ١٩٣١ سبعة عشر اضراباً في حين أصبحت عام ١٩٣٦ مايربو على اربعمائة اضراب .

وشاركت المرأة في هذه الاضرابات في المناطق الصناعية التي لها نسبة سائدة فيها ، مثل صناعات النسيج ، وتفوقت على الرجل في عدد الاضرابات التي قامت بها .

في عام ١٩٣٩ ساند الشيوعيون وعلى نطاق واسع معركة المطالبة بحقوق المرأة من حيث الاقتراع ، وهذا ماجذب قطاعاً واسعاً من النساء للمشاركة في هذه المعركة .

في مطلع العام ١٩٣٩ . نجح الزعيم جوزيف بروس تيتو في جعل قوة الحزب الشيوعي «٥٦٠٠» عضو ، ولكن وحتى المؤتمر الخامس لهذا الحزب والذي انعقد في هذه السنة فان عدد النساء الاعضاء في الحزب الشيوعي كان لايزيد على «٣٩٠» امرأة ، ولذلك فاننا عندما نتحدث عن مشاركة المرأة في الفعاليات التي سبقت الحرب العالمية الثانية فسنعود الى دلائل

صغيرة عبر هذه الاعداد الصغيرة للنساء اليوغسلافيات . واللواتي كان عليهن استقطاب وقيادة النساء في عمليات التعبئة النسوية في حركة التحرير الشعبية اليوغسلافية مع حملهن راية الحقوق المتساوية مع الرجل .

مشاركة المرأة في حركة التحرير الوطنية

أن التقاليد الخاصة بالمرأة اليوغسلافية خلال الحرب تتضمن نوعين من الفعاليات هما . القتال والقوة العاملة ، ويجب على أي شخص أن يعرفها لكي يفهم مشاركة المرأة في الكفاح للتحرير الوطني ، وذلك عندما دقت طبول الحرب ضد يوغسلافيا خلال الحرب العالمية الثانية . في الحقيقة لم تكن في يوغسلافيا حرباً واحدة ، وانما كانت هناك حروب ، وهذه الحروب تتمثل بالحرب ضد المعتدين الفاتحين ، الالمان والايطاليين والبلغار ، كما انها كانت تمثل حرباً بين يوغسلافيا الحديثة والقديمة .

أن هذه الحروب قادت أيضاً الى حرب سياسية بين الجماعات المؤيدة الى نظام يشبه نظام الاتحاد السوفيتي من كل الوجوه ، وفي أسلوب الثورة وبين الجماعات الاخرى التي كانت تريد بعض الاختلافات النسبية ، وعلى أية حال فان المهم في أمرنا في هذا المجال : هو المرأة . حيث تشير الابحاث . أن من بين العديد من الاسباب التي جعلت المرأة تفضل مجموعة تيتو على سواهم من الجماعات هما سببان رئيسان .

١ . هذه الجماعة هم القوة الوحيدة المنظمة في يوغسلافيا والقادرة على اذكاء الروح الوطنية والمؤثرة ايجاباً في العالم الخارجي والقادرة على تأمين الحماية الوطنية .

٢ . أن هذه الجماعة زاوجو نداءاتهم الداعية الى التحرير الوطني مع نداءاتهم السياسية الاخرى القاضية بمساواة الرجل مع المرأة في الحقوق وتكافؤ الفرص .

مما تقدم يظهر لنا أن المرأة التي كانت تقاتل في صفوف الانصار كان يترتب عليها واجبان هما القتال الحربي والقتال السياسي .

من الضروري أن نفهم ، ونبين أن الخط المار بين الهدفين أعلاه لم يتغير ، حيث لم ينحدر أي من الهدفين على حساب الهدف الآخر ، وأنه كان في جميع الاوقات يمثل وجهين لعملة واحدة يكمل أحدهما الاخر .

أن الخبرة الصينية الماوية «نسبة الى ماوتسي تونغ» لم يؤخذ بها ، اذ أن اليوغسلاف وعبر قيادة تيتو ، تمكنوا من تطوير صيغة جديدة للقتال خلال الحرب العالمية الثانية .

«حرب الشعب جميعاً» هي العبارة التي كانوا يتداولونها ، وهذه تقتضي أن جميع الشعب

يجب أن يحارب الغزاة ، أو من يدعمهم داخل القطر ، مثل «الجائنك» . أن حرب جميع الشعب هي حرب الغرض منها التحرير ، والثورة علىٰ الواقع الاجتماعي المتخلف ، أن هذه الشعارات المزدوجة جعلت الشعب يعبأ علىٰ أساسين ومهمتين هما القتال من أجل الوطن . والقتال من أجل شكل حكومي جديد .

لقد كان جوزيف تيتو يحمل الزعامتين فهو القائد العام للقوات المسلحة بالاضافة الىٰ أنه أمين السر الاول للحزب .

أن مشاركة المرأة ومساعيها في كل من الحقل العسكري والسياسي كان حرباً في مسيرة الثورة الاجتماعية وانبثاق يوغسلافيا في نهاية الحرب . المصادر اليوغسلافية تذكر أن عدد الافراد الذين جرت تعبئتهم في حركة التحرير الوطنية كان يربو عددهم علىٰ «٣٫٧٤١٫٠٠٠» شخص ، كما وأن الارقام تذكر أن عدد الرجال الذين لقوا مصرعهم يقدر بـ«١٫١» مليون رجل حيث أن نسبة الانصار منهم كانت هي «٤٠٠٫٠٠٠» علىٰ وجه التقريب .

أن عدد منتسبي جيش التحرير الوطني كان يضم أفراداً يقدرون بـ«٨٠٠٫٠٠٠» منتسب في العام ١٩٤١ ، وفي العام ١٩٤٥ تعدىٰ تعداد هذا الجيش الرقم المذكور ونظم بخمسة جيوش ، غير أن المصادر اليوغسلافية تذكر أن الجيش كان بحدود المليونين ، منهم «١٠٠٫٠٠٠» امرأة ، كما تذكر هذه المصادر أن المرأة الجندية المقاتلة كانت تشكل أول الامر نسبة قدرها (١) من (١٠) ، ومن ثم (١) من (٨) ، وكانت هذه النسبة تعود الىٰ جيش التحرير اليوغسلافي والانصار .

أن النساء اللواتي لم يلتحقن بالجيش ، أو قوات الانصار التحقن بصورة عامة في تنظيمات المرأة المناوئة للفاشية .

يمكن أن نرىٰ من خلال الاحصائيات ، بأن معظم اللواتي كن يخدمن في المناطق الخلفية هن من النساء ، ومن تنظيمات الجبهة النسوية المناوئة للفاشية . أن الجبهة النسوية المناوئة للفاشية كانت وراء نجاح حركات المرأة خلال أيام الحرب العالمية الثانية ، وهذا يعود بسبب أن الحزب أسس هذا التنظيم ضمن قواعد خاصة منتشرة في عموم البلاد ، بالاضافة الىٰ انتشارها بصيغة محلية ، وكان كلما يتم تحرير منطقة معينة ، فان هذا التنظيم سرعان مايطفو علىٰ السطح ليبدأ باتصالاته العلنية ، وبصورة تدريجية أسست وحدات رئيسة للمناطق المحررة وحتىٰ حلول عام ١٩٤٢ .

لقد عقد في عام ١٩٤٢ مؤتمر عام بصورة رسمية تحت ظل المجلس المركزي ، وفي هذا المؤتمر

أنيطت بالمرأة واجبات الرجال العاملين في الخطوط الخلفية . والمتضمنة ما يلي :

١ . ادارة السلطة في المناطق المحلية المحررة .

٢ . تنظيم التجنيد الحديث .

٣ . غرس الحقول .

٤ . صناعة وخياطة الملابس .

٥ . القيام ببعض الفعاليات التجسسية خلف خطوط العدو .

٦ . ادارة المطابع وتشغيلها بصورة حيوية من أجل الثورة .

٧ . ادارة الدعاية والمدارس الثقافية .

٨ . ادارة المستشفيات والعمل فيها .

عندما كان العدو يكتسح أية قرية ، فان هؤلاء النساء كن يصبحن في خط المواجهة الاول ويعانين من ذلك وفقاً للظروف ، وكانت أعمالهن البطولية في هذا المضمار هي المحافظة على الجرحى واخلاء الاطفال ، ومقاومة أعمال التعذيب والتنكيل التي يقوم بها العدو ، بالاضافة الى تسجيل الفعاليات في سجلات خاصة .

أن البعض من هؤلاء النسوة التي القبض عليهن من قبل الايطاليين ، وأرسلن الى معسكرات الاسرى في أيطاليا ، الا انهن عدن الى يوغسلافيا بعد تحرير ايطاليا ، وأخذن يمارسن العمل القتالي مجدداً .

أن الايام الاولى من الحرب في كرواتيا شهدت أفضع المآسي وذلك من قبل الكروانيين الفاشيين أنفسهم والذين يطلق عليهم اسم «أستاشي» وقد كان هدف هؤلاء الفاشست الاول هو النساء على العموم ، وبسبب ذلك فان النساء اللواتي كن يتمكن من الفرار من معسكرات الفاشست الكروانيين كانوا سرعان ماينضمون الى حركات الانصار .

الشعور العام السائد ، هو أن أي شخص يشارك في عمليات الانصار القتالية يعتبر نفسه جندياً وذلك لان الحرب هناك لم تكن تجري وفق الصيغ التقليدية للجبهة ، وانما كانت منتشرة في عموم البلاد .

لحد الان وبالرغم من أن هناك مليونين من النساء ضمن التنظيمات المناوئة للفاشية والتي ألقيت على كواهلهن أدوار سبق وأن ذكرناها الا انهن لم يعتبرن عسكريات بمفهوم الكلمة الصحيح ، وذلك لانهن لم يلتحقن في صفوف القوات المسلحة .

أن هذه الدراسة تحاول أن تسلط الضوء على النساء اللواتي دخلن الى القوات المسلحة ،

ولكن بنفس الوقت لاننكر الدور الحيوي الذي لعبت به المرأة التي كانت تقوم بأسناد الانصار في القرى والمدن . بحيث أن بعض الوظائف الخاصة بالاسناد والتي نوهنا عنها تعتبر اليوم بصورة عامة أدواراً عسكرية معترف بها وبخواصها على الاساس العسكري وضمن تنظيم معين تبنته الجيوش التقليدية الحديثة . وسوف نتناول هذه الوظائف لاحقاً .

أن تغلغل المرأة كان فاعلاً وخصوصاً عندما بدأت الحرب تستنزف عدداً كبيراً من الرجال . وهذا دعت الضرورة لادامة المجهود الحربي بواسطة المرأة . أن كل الدلائل تشير الى التضحيات المنظورة للمرأة اليوغسلافية خلال الاعوام ١٩٤١ وحتى ١٩٤٥ حيث شكلت المرأة في هذه الفترة نسبة قدرها «٥ر٨٪» من المجموع العام للتعداد السكاني اليوغسلافي النسائي من اللواتي قتلن أو وافاهن الاجل المحتوم من جراء الامراض التي كان أهمها التيفوئيد ، بينما هناك نسبة قدرها «٣١٪» من النساء انتمين الى حركة التحرير الوطنية ، ونسبة أخرى قدرها «٢٥٪» من اللواتي تجندن في جيش التحرير الوطني دفعن الى الاجل المحتوم .

من الواضح أن نسبة النساء العاملات في القطاع المدني كانت أكثر من نسبة النساء العاملات في القطاع العسكري .

المرأة في جيش التحرير الوطني

التجنيد

أن جميع الوثائق تشير الى أن المرأة التحقت في الجيش برغبتها الخاصة . الحقيقة أن المرأة هي من أوائل المنتمين الى حركات الانصار ، وفي تنظيماته الاولية ، وعلى سبيل المثال ، كان هناك ثلاثون فتاة من قرية بوسنيان ، في منطقة دفار وقد بدأن بممارسة العمل خلال ربيع عام ١٩٤١ كما أن ماتجدر الاشارة اليه أن أول أمرأة يشار لها على أساس انها بطلة قومية كانت من منطقة دفار أيضاً .

في تموز عام ١٩٤١ ، الانتفاضة في مونتي جيرو ، شاركت فيها المرأة بفعالية تامة ، وذلك بتقديمها الاسعافات الاولية في حقل التضميد وجلب الطعام والذخيرة ، كما كان هناك أمرأتان من بين أوائل تنظيمات الانصار في مقدونيا في آب عام ١٩٤١ ، أما في سلوفانيا فكانت هناك ثلاث نساء عضوات في تنظيمات الانصار المتشكلة في حزيران عام ١٩٤١ ، أن هؤلاء النساء كن من أوائل النساء اللواتي ضحين بحياتهن من أجل الوطن .

في صربيا كان هناك خمسون أمرأة في تنظيمات الانصار الاولى ، وأن أكثرية هؤلاء النساء قدمن من منطقة بلغراد وزيمن .

أن بعض المعلومات تشير الىٰ أن الزيادة في القوة النسائية في حركة التحرير الوطنية جاء عن الوثائق الاحصائية الكرواتية .

في عام ١٩٤١ كان هناك «١٢» أمرأة فقط في جيش التحرير الوطني ، أما في عام ١٩٤٢ فقد ازداد العدد الىٰ «٤٧٩» أمرأة . وقفز هذا الرقم في العام ١٩٤٣ الىٰ «١٢١٠» أمرأة وعاد الىٰ القفز ثانية بنسبة كبيرة خلال عام ١٩٤٤ ليصبح «٦٦١٠» أمرأة .

الكاتب «بدجر» ذكر في يومياته أن النساء كن متشوقات للالتحاق بصفوف الجيش ، وأن أية واحدة منهن كانت ترتعش وتغضب اذا مارفض طلبها أما الكاتبة «ماري ريد» ، فقد نوهت في بحثها عن نفس الملحوظة . حيث أوضحت أن المرأة اليوغسلافية كانت تشعر بالمرارة والخيبة عندما توقع عقداً علىٰ عمل في الخطوط الخلفية ، أو حتىٰ عندما ترسل لتنظيم التموين أو القيام بأعمال بسيطة . أن جميع الوثائق لم تقترح ولم تبين الاسباب التي حدت بالمرأة أن تكون مهتمة هذا الاهتمام بالالتحاق الىٰ جيش التحرير الوطني ، غير أن البيانات تشير وتقدم عدداً من التوضيحات المحتملة .

أن حياة الانصار كانت تبدو ، وبصورة خاصة ، مجذبة الىٰ النساء الصغيرات مثلما كانت تشكل نقطة جذب الفتيان .

عندما يفحص المرء البيانات المتعلقة بأعمار المجندين ، فسيظهر أن معظم اللواتي تجندن في حركات الانصار كن في مرحلة المراهقة الاخيرة ، أو في بداية سن العشرين .

أن خبرة الانصار وأعمالهم فتحت الباب واسعاً نحو عالم جديد يتحلىٰ بالروح الرفاقية ، فضلاً عن وجود المسارح والفعاليات الموسيقية الاخرىٰ التي كانت تدار من قبل ممثلين هزليين تقليديين ، ومع وجود تنافس في الغناء بين الالوية القتالية نفسها .

من جهة أخرىٰ كانت أخطار الحرب متلاحقة بصورة مستمرة ، مولدة شعور الرفقة الدائمة ، والاغراض الموحدة ، هذا علاوة علىٰ أن تنظيمات الانصار فتحت باب الثقافة ومنحت المرأة فرصاً اضافية للتعليم ، حيث أن معظم الوثائق الموجودة حول أوضاع المرأة تنص علىٰ العبارة التالية :

«لقد تعلمت القراءة والكتابة في صفوف الانصار» ربما يكون الشيء الثاني السائد حول أوضاع المرأة والذي يرد دائماً هو : «لقد أخذت دورة في الاسعافات الاولية» أو «تعلمت تشغيل محطة راديوية ، أو أخذت دورة في الجفرة» .

معظم النساء اللواتي خدمن في الحقل الطبي وتدربن علىٰ ذلك خلال الحرب ، عدن الىٰ

لحياة المدنية والتحقق بالمستشفيات اليوغسلافية . وهذا شيءْ من الصعوبة أن تصله المرأة القروية قبل نشوب الحرب .

أن الشيءْ الاخير الذي يمكن أن يذكر في مجال تحمس المرأة اليوغسلافية للدخول الىٰ جيش التحرير هو أن المرأة المقاتلة بدأت تمثل رمز يوغسلافيا الاشتراكية .

في ساحة المعركة . النساء اليوغسلافيات كن متساويات مع الرجل وهذه ماتنص عليه الوثائق المتعاقبة التي تقر هذا الرأي . كما أن هذه الوثائق تتضمن شجاعتهن واقدامهن في مواجهة التهديد المعادي . لقد جاء وصف حول النساء علىٰ انهن كن ينتقلن من ملجأ الىٰ ملجأ بغية القاء قنبلة يدوية في ظروف يتقدم بها العدو بالدبابات .

لقد خاطرت المرأة اليوغسلافية بحياتها لاخلاء الجرحىٰ وتحت وابل من نيران العدو كما أن النساء تقدمن كتفاً لكتف مع الرجال لفك الطوق المضروب عليهم من قبل الالمان .

في الحقيقة . أن هـذا لايجعلنا نكون غير منصفين ومقدرين لاعمال الاخرين عندما قام الكاتب دجيلاس وبعد ثلاثين سنة من انتهائه بوصف النساء المشاركات مع الانصار بأنهن أكثر شجاعة من الرجال .

يجب أن لانكون متشددين كثيراً حول القتال في صفوف الانصار علىٰ انه القتال السياسي من أجل ايجاد يوغسلافيا الاشتراكية بعد الحرب حيث أن بعض العناصر قاتلت حباً بالوطن .

في تموز ١٩٤١ ، الاوامر العليا التي صدرت من قوات التحرير الوطني في «مونتي جيرو» و«بوكا» و«ساندزاك» أقرت حق الانتخاب لكل من الرجل والمرأة عند بلوغها سن الثامنة عشر ، ومع هذا نجد وبصورة مقارنة أن قليلاً من النساء أنتخبن للمجلس الاول للتحرير الوطني ، وكان هذا الانتخاب يعبر عن المشاركة الفعالة ومانجم عن المعارك الحربية لتلك النسوة .

أن واحداً من أهم الواجبات المكلفة بها الجبهة النسوية لمكافحة النازية هي القيام بالدعاية السياسية التي تتضمن الفوائد المترتبة للمرأة من جراء التحاقها في خدمة الحركة التحريرية الوطنية وعلىٰ الاخص الانتماء الىٰ صفوف الجيش الذي يعطي للمرأة حقوقاً متساوية ، هذا بالاضافة الىٰ تطبيق الامر الصادر الىٰ هذه المنظمة السياسية من قبل الحزب وللقاضي بعمل أي شيءْ لعدم تشجيع النساء من العمل مع العدو ، أو بالاحرىٰ منع النساء من الدوران في فلك القوات الغازية ، وطبعاً فان ذلك كان موجهاً الىٰ النساء اللواتي ليست لديهن الامكانية من الالتحاق بالانصار .

من هذا الامر يتضح لنا أن الحرية للمرأة كانت تتأتىٰ فقط عن طريق العمل مع جيش التحرير الوطني ، لانه يمثل قمة الوطنية والتضحية .

التدريب

أن الوثائق التي أشرنا اليها تؤمن دليلاً صغيراً علىٰ وجود تدريب خاص للنساء في الجيش . المرأة كالرجل في الجيش كانت تعتبر جندياً اعتيادياً حيث كانت تتلقىٰ دروسا تمهيدية في الحرب ، ومن ثم يجري ارسالها الىٰ الجبهة .

مصادر وفيرة تشير الىٰ أن فترة التهيئة كانت شهراً واحداً ، وكانت الدروس في هذا الشهر تشمل علىٰ دورتين بسيطتين هما الدورة العسكرية والدورة السياسية ، والتي من خلالها يجري تدريب الشبان والفتيات علىٰ الواجبات الحربية التي سيكلفون بها قبل قوات التحرير .

في عام ١٩٤٢ ، أنشئ مصنع للقنابل في منطقة «دفار» وقد وظف هذا المركز مابين «٥٠ – ٦٠» امرأة للعمل تحت أشراف «٢٥» من الخبراء ، وكان عمل الخبراء مزدوجاً وهو تعليم هؤلاء النسوة كيفية صناعة القنابل من جهة وكيفية استخدامها من جهة أخرىٰ .

الجيش كان يفتح دورات ، اختصاصية أخرىٰ ، وقد ذكرنا هذا سابقاً ، وهذه الدورات تشمل الاسعافات الطبية الاولية ، الجفر وحل الجفر ، والمدفعية . كل الوثائق تشير الىٰ أن التدريب النسائي في جميع هذه الدورات كان لايختلف عن تدريب الرجال ، لقد كانت هذه الدورات عبارة عن دورات أولية في معظم الاحوال ، وكانت لاتعلم الا القليل من المهارات .

أن اكثر نسبة في الموت الجماعي للرجل والمرأة في جيش التحرير الوطني تبين لنا أن نسبة النساء كانت «٢٥٪» امرأة ، و١١٪ رجل ، وهذا يمكن أن يعزىٰ الىٰ عدة عوامل أهمها عدم خبرتها المتكاملة بالحروب ، عدم وجود تدريب اختصاصي اضافي لتطوير قابلياتها ، ومهاراتها ، الا اننا بعبارة أخرىٰ يمكن أن نصفها بأنها ذات ثورة عاطفية ، للدفاع عن منازلهن أكثر من الرجال ويمكن أن نجد في الوثائق الكثيرة الىٰ مايشير نحو هذا التفاني ، حيث نجد دائماً الجمل التالية :

«لقد التحقت بجيش التحرير الوطني بتأريخ ١٩٤٣ وماتت في نفس السنة» أو «لقد التحقت بجيش التحرير بتأريخ ١٩٤٢ ، وماتت في عام ١٩٤٣» .

أن دورة الاسعافات الاولية كانت دورة تشمل الجميع تقريباً ، كما وأنها كانت تعتبر من أكثر الدورات ضرورة بالنسبة للنساء ، هذا ووفقاً لما تذكره الوثائق ، من الواضح أن الدورات داخل الجيش كانت متنوعة في صعوباتها ، وكل ذلك كان يعتمد علىٰ الوحدة التي

ستعمل بها المرأة . في شباط ، ومارت ، ونيسان ١٩٤٢ ، وهذا شيْ نورده علىٰ سبيل المثال فان دورة الاسعافات الاولية نظمت في «كرواتا» وذلك لكي يلتحق المتخرجون منها في مستوىٰ السرية .

في شهر مايس ١٩٤٢ كان هناك دورة متقدمة في التمريض بزيادة خمسة عشر يوماً نظمت تحت اشراف وادارة أطباء كان الهدف منها خدمة المتخرجات في مستوىٰ الفوج .

أن هذه الدورات كانت تفتح علىٰ مدار السنة خلال أيام الحرب ، ومما تجدر الاشارة اليه ، أن الصفوف لهذه الدورات كانت صغيرة ، وأن عدد المشاركات في كل دورة كان لايزيد علىٰ ثلاثين شخصاً ، ولكن علينا أن نشير الىٰ أن هذه كانت تفتح بصورة عامة للجميع ، ولكن أكثر منتسبيها كانوا من النساء .

لقدلعبت جبهة المرأة المناوئة للفاشية دورا رئيساًفي تأمين الامور الادارية والاشخاص الاداريين ، والمدربين لاغراض الدورات شبه العسكرية ، هذا بالاضافة الىٰ فتح دورات لتعليم القراءة والكتابة .

أن أكبر دورات هذه المنظمة هي دورة الاسعافات الاولية ، والجفرة ، والتلفونات والمكائن .

أن جبهة المرأة المناوئة للفاشية ، كانت تقدم الدعم الىٰ الجبهة من الخطوط الخلفية فانها في بعض الاحيان كانت تقدم بعض التعليمات في فن وتعبئة قتال العصابات والمتضمن اعمالاً مثل كيفية تدمير خطوط الهاتف ، وقطع السكك الحديدية ، وتخريب الطرق والجسور .

وأخيراً في مجال التدريب علينا أن نذكر أن رابطة النساء المناهضات للفاشية ، كانت مسؤولة بصورة أولية عن التدريب السياسي لكل من المجندات والمدنيين ، وأن أول دورة نظمت من قبل هذه الجبهة كانت في العام ١٩٤٢ في منطقة «ليكا» وكان شعارها المعلن هو :

«التدريب النسائي غاية جيش التحرير الوطني وواجب جبهة المرأة المناوئة للفاشية» .

أراء

ذكر الكاتب «ديديجر» وبحماس منقطع النظير ، بأن المرأة كانت تتمتع بحرية تامة في صفوف الجيش والانصار ، ولم يكن هنالك اي اختلاف بين الرجل والمرأة مطلقاً ومما كتبه أيضاً هو :

«لماذا القيادة العامة للقوات المسلحة قررت الاستغناء عن خدمات المرأة من القوات النظامية فور انتهاء الحرب ؟» .

أن جوابا واحداً يجب أن يفتش عنه عبر القيادة بشعور المحافظة لقيادة الحزب . هذا مع رفض الافتراضات القائلة أن القيادة كانت محرجة خلال الحرب بأستخدام النساء . وانها عادت الىٰ وضعها السابق بعد انتهاء الحرب . أن التوضيح المرجح يكمن في الحقيقة القائلة بأن الحرب يجب أن تشمل كل القطر وكل قطاعات الشعب وبأعلىٰ مستوىٰ من الفعالية . وهذا فان قيادة الحزب حتىٰ تشمل الجميع في الحرب . ولحاجتها الىٰ خدمات المرأة وخاصة في الخطوط الخلفية . لتنظيم بعض الفعاليات السائدة ، ولتدعم النزف البشري في الجبهة . باحلال المرأة في أماكن بعض الرجال في الخلف ، فقد عمدت الىٰ هذه الاستخدامات بعد أن وشحتها بوشاح الثورة . أن ظروفاً حربية كتلك الظروف تجعل الشخص يجمد أحاسيسه المحافظة . غير أن هذه الاحاسيس تعود الىٰ فعالياتها عند عودة السلام . وعلىٰ أية حال فان المواقف القديمة . قد سخرت الان لايجاد مخرج في السياسة الرسمية ، حول دور المرأة في جيش يوغسلافيا الحالي .

أدوار المرأة العسكرية

أن طبيعة البيانات والمعلومات غير المبوبة ، تجعل من الصعب أن يحصل أي شخص علىٰ صورة دقيقة عن كيفية توزيع الادوار العسكرية علىٰ النساء في جيش التحرير الوطني اليوغسلافي . كما أن هذه الوثائق يمكن أن نعتبرها وثائق غير كاملة ، لاتسجل أحداثاً ذات أهمية خاصة . أن خلايا الانصار قد تشكلت أول الامر بصورة محلية وانتشرت علىٰ جميع أجزاء القطر . وأن ماتذكره المصادر الرسمية هو أن هذه المجموعات كانت تتكون من عدد يتراوح بين «١٠» أشخاص ، وحتىٰ «١٠٠» شخص في بعض الاحيان .

أن اللواء الاول . والذي كان يدعىٰ لواء الطبقة العاملة الاممي ، قد شكل في شهر تشرين الاول عام ١٩٤١ .

بعد تشكيل هذا اللواء مباشرة ، صدرت الاوامر من القيادة العامة الىٰ جميع المناطق تعلمهم بوجوب تشكيل وحدات مقاتلة تعتمد علىٰ الطبقة العاملة والفلاحين بالدرجة الاساس . وهذه الوحدات تكون رهن الاشارة للالتحاق بلواء الطبقة العاملة الذي نوهنا عنه . وعلينا في هذا المجال أن نذكر ان تسجيلات ووثائق حول هذه الوحدات غير موجودة حتىٰ الان . ان لواء الطبقة العاملة كان نواة جيش التحرير الوطني ، والذي بدأ أعماله الرسمية الحقيقية في الرابع من شهر تشرين الثاني عام ١٩٤٢ .

خلال عام ١٩٤٣ ، أعيد تنظيم وحدات الانصار ، وتشكلت بنظام معركة يتكون من ستة فيالق ضمن الجيش . تكاملت في عام ١٩٤٤ .

ان هذه الفيالق الستة ، أعيد تنظيمها مرة ثانية لتكون خمسة جيوش في عام ١٩٤٥ وهذا هو شكل القوات البرية الذي لا يزال ساري المفعول حتىٰ الان . ان الوثائق تدرج أسم المرأة في معظم فروع ووحدات القوات المسلحة ، الا ان أكثف الفترات التي يتردد بها اسم النساء هو عام ١٩٤٣ . وهذا شيءٌ طبيعي حيث ان معظم هؤلاء النساء انتقلن من قتال العصابات الىٰ القوات المسلحة الرسمية . وعليه فان عملية اعادة التنظيم هذه تحتاج الىٰ توثيق وسجلات خاصة . أما قبل العام ١٩٤٣ ، فان الوثائق لم تذكر الا القليل حول أدوار النساء ، ان الاكثر من هذا . هو ان المواد المتداولة لم تشر الىٰ قوائم معقولة بأعداد النساء في الالوية والفرق .

النساء الصربيات في جيش التحرير حاولن دائماً أن يقدمن مسيرة حياة النساء بما في ذلك مسقط الرأس . أما المصادر الاخرىٰ ، ومركز دراسات «كوفاسيفس الوطني» فلم يبين لنا ما نبتغيه . وانما يذكر ويشخص النساء اللواتي أثبتن كفاءة وشجاعة خلال الحرب .

النساء الكروانيات حاولن دائماً أن يذكرن أسماء النساء ، المجندات في الالوية والفرق . وهذا موجود في قوائم تزيد علىٰ «٣٠٠» صفحة يذكر فيها اسماء النساء المقاتلات في الوحدات العسكرية مشفوعاً بسيرة حياة هؤلاء النسوة .

وكمجهود لاستحصال واقعية أكثر حول نوع ووظائف النساء العاملات في الجيش اليوغسلافي فانني أخترت أن أدرس بتفصيل كامل حالة النساء في الوحدات الدلماسية «وهذه تقع في شمال يوغسلافيا» في عام ١٩٤٣ . يمكن أن نجد قائمة احصائية حول الموضوع في الجدول رقم «٤» في هذا المجال يجب أن نشدد بأن القوائم المذكورة هي عبارة عن قوائم مختارة وانها لا تبين جميع أعداد النساء الدلماسيات في القتال ، حيث ربما ان البعض من هؤلاء النساء انتمين الىٰ فرق كروانية أخرىٰ .

قبل كل شيءٌ . وكما هو متوقع ، فهناك نسبة كبيرة من النساء قد خدمن في مجال الطبابة ، أو كممرضات مقاتلات ولكن عند مقارنة هؤلاء مع النساء اللواتي خدمن علىٰ أساس انهن جنديات مقاتلات فسنجد ان النسب متفاوته .

ان أقل نسبة كانت هي نسبة الاختصاصيات مثل متطوعات المخابرة السلكية واللاسلكية واسناد المدفعية أو ضابطات الحفرة .

مما لا شك فيه . بأن المرأة قد خدمت بكل قواها جيش التحرير الا ان نسبة «٦ ٪» من هؤلاء النساء كن في مواقع سياسية ، وهذه نسبة قليلة . ان النسبة الاقل هي نسبة النساء عاملات في مجال الخدمات . واللواتي يمارسن أعمالا نسائية تقليدية . مثل الطبخ .

والطباعة . والخياطة . وهذا مما لا يدعو الىٰ العجب ، وذلك لان واجبات جبهة النساء المناوئات للفاشية هو لتأمين الغذاء والملابس للجيش ، وبهذا فان الجيش سوف لن يفرق طاقاته لهذه الامور وسينصرف لاعمال القتال .

ان الجدول المذكور سابقاً يبين لنا كذلك ان المرأة قد أعطيت لها مسؤوليات معينة في القدمات العسكرية الواطئة .

من المجموع العام يمكن أن نرىٰ أن نسبة «١١ ٪» من النساء كن برتبة نائب ضابط ، بينما نسبة «٨ ٪» من المجموع العام كن ضابطات ، ولكنهن يحملن رتباً صغيرة ، هذا علماً بأن الجدول لا يعطينا رتبة نسائية أكثر من رتبة نقيب ، ولم يتجاوز المجموع في هذه الرتبة ثلاث نساء . اذا عدنا الىٰ البيانات الكروانية ، فسنجد ان هناك ثلاث نساء وصلن الىٰ رتبة رائد .

وأخيراً فاننا سنلاحظ ان نسبة القتلىٰ في هذا الجدول من النساء كثيرة وهي نسبة «٣٠ ٪» ان الصورة المثالية للمرأة العاملة في صفوف الانصار وهذا ما تحدثنا عنها المصادر الكروانية ، هي المرأة القادمة من الريف . والصغيرة العمر ، حيث يتراوح عمرها بين التاسعة عشر والعشرين . والبريئة مع ثقافة قليلة ، وخبرة قليلة في الحياة ، ان مثل هذه النوعيات نجدها بصورة عامة في أواخر سنة ١٩٤٢ وبدايات عام ١٩٤٣ ، وحسب قوائم التطوع في جيش التحرير

توزيع النساء في وحدات الجيش الدالماسي أثناء الحرب العالمية الثانية

حسب المركز الوظيفي	وثيقة ٣٦٩		وثيقة ٣٧٠		وثائق مقتبسة وثيقة ٣٦٨ ٣٧١ـ٣٧٧		المجموع الكلي	النسبة المئوية الكلية
	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪		
بولنيكاريكا (هيئة ممرضي الجيش)	١٧١	٧٢	١٣	١٨	٣٩٥	٣٣	٤٧٩	٤٠
وحدة طبية	١١	٤	٦	٨	٥٣	٦	٧٠	٦
مقاتل	١٢	٥	٤٧	٦٣	٤٥١	٥٠	٥١٠	٤٢
اختصاصيون	١٦	٧	٣	٤	٣٤	٤	٥٣	٤
مفوض سياسي	١٨	٦	٥	٦	٤٩	٤٩	٧٢	٦
أفراد الخدمة	١٤	٦	-	-	١٦	٢	٣٠	٢
	٢٤٢	١٠٠	٧٤	١٠٠	٨٩٨	١٠٠	١٢١٤	١٠٠
ضباط الصف	٣٥	١٤	٧	٩	٦٩	٨	١١١	٩
الضباط	٧	٣	٧	٩	٥٧	٦	٧١	٦
الموتى	١٨	٦	٢٧	٣٦	٢٩٥	٣٣	٣٤٠	٢٨
بطولات	١٨	٦						
أوسمة	٧	٣						

وثيقة ٣٦٨ ، غير مؤرخة لواء الشغيلة الدلماسية الاول والثاني

وثيقة رقم ٣٦٩ ، ٢٧ ت ١ ، ٤٤ الفرقة التاسعة

وثيقة ٣٧٠ غير مؤرخة الفرقة التاسعة لواء المستقل الرابع

وثيقة ٣٧١ـ٣٧٤

٣١ ت ١ ١٩٤٣ الفرقة التاسعة عشر

وثيقة ٣٧٥ غير مؤرخة الفرقة / ٢٠

وثيقة ٣٧٦ غير مؤرخة الفرقة / ٢٦ لواء الدلماسي الحادي عشر

وثيقة ٣٧٧ غير مؤرخة وحدات دلماسية متنوعة تضمنها مصادر الاحصا

ان مثل هذه الفتاة كانت تخدم ستة أشهر .. أو سنة ومن ثم تأخذ بعد ذلك دورة في الاسعافات الاولية . أو دورات أخرى . وبعد ذلك ربما توضع في موقع مسؤولية متقدم في وحدات الاسعافات الاولية .

أما اذا عدنا الى المجندات الاكثر ثقافة من هؤلاء المذكورات أعلاه فسنجدانهن ربما سيصبحن مندوبات . سياسيات . أو قائدات في مستوى السرية . أو عضوات في منظومة جبهة النساء المناوئات للفاشية .

ان جميع البيانات الموجودة لا توحي ، ولا تشيرعن الكيفية التي تصبح بها المرأة برتبة نقيب . ونشاهد في بعض الاحيان وجود المرأة الطبيبة الا ان جميع المراجع لا تشير الى الكيفية أو الاسس التي أصبحت بها المرأة طبيبة .

ان الجداول تبين لنا نموذجاً يستند الى احدى الفرق الدلماسية وهو يبين لنا معلومات أكثر حول الموت الجماعي . والترقية والرتبة .

من الجدول الـ المذكور يمكن ملاحظة ان نسبة «٥٠٪» من النساء اللواتي جرت ترقيتهن الى رتبة ضابط قد جرى تجنيدهن على اساس انها ستكون مسؤولة عامة عن القضايا الطبية في وحدات الاسعافات . كما ويبين لنا الجدول ان المرأة الجندية غير الاختصاصية قد أصابتها نسبة قتل أكثر من العاملات في مجال الطبابة ، ولكننا لا ننكر ان هذا الجدول يمثل فترة زمنية معينة هي عام ١٩٤٣ . ومهما كان الامر ، فان امرأة من كل ثلاث نساء جرى تطوعهن قد قتلت عند خدمتها في جيش التحرير .

كلما تقدمت الحرب وازداد تطوع النساء للخدمة في الجيش فان معدلات الموت كانت تقل وذلك بالطبع يعود الى خفة حدة القتال ، ولكن علينا أن ننوه بأن نسبة النساء في هذا المجال بقيت أكثر من نسبة الرجال .

ان كلاً من الجدولين المذكورين يبين لنا أسلوباً معيناً لتوزيع المرأة في الوظائف العسكرية . ومن الواضح ان دور المرأة في مجال الخدمات الطبية هو السائد ، حيث ان هذا الصنف أصبح مقصوراً على العنصر النسائي تقريباً خلال الحرب العالمية الثانية في الجيش اليوغسلافي .

توزيع الاصابات والضباط بين أنواع المهن من وثيقة البيانات رقم ٣٧٧

نوع المهنة	العدد	النسبة المئوية	المجموع بالمئة	النسبة المئوية للباقين على قيد الحياة	الضباط	الضباط ضباط الصف
جندي	١٦٠	٥١			٣	٣
اختصاص جندي	١٠	٣	٥٤	٧٩		٢
أصابات الجنود	٨٨	٢٨				
اصابات طبية	١٢	٤	٣٢	٢		
الاطباء	١٨	٦				
الأطباء المسؤولون	١٠	٣	٩	١٣	٦	
أفراد سياسيون «حزبيون»	١٥	٥				
أفراد خدمة	٣	١	٦	٨	٣	
	٣١٦	١٠١	١٠١	١٠٢	١٢(٤٪)	٥(٢٪)

اصابات الجنود / الجنود + اختصاصيون جنود) + اصابات الجنود) = ٨٨ / ١٧٠ = ٣٤٪

اصابات / (الاطباء + الاطباء المسؤولون + اصابات الاطباء) = ١٢ / ٤٠ = ٣٠٪

الرجال كانوا بصورة عامة يستخدمون بواجبات قتالية . ولكن حتى اذا كانت هناك امرأة ضمن الوحدة المقاتلة . وبصفة مقاتلة اعتيادية فانها كانت تقوم وتعتبر ممرضة الوحدة .

ولا ندري هل ان ذلك كان حسب رغبتها . أو انه نابع من التقاليد اليوغسلافية المتداولة في الارياف والقاضية بأن تكون المرأة هي العنصر المطبب في جميع الاحوال . علينا أن نتذكر . من جهة أخرى . ان مهنة التمريض في المستشفيات اليوغسلافية كانت تمارسها الراهبات سابقاً . ولم تدخل النساء في هذه المهنة بأعداد كبيرة الا بعد نشوب الحرب العالمية الثانية .

ان الشخص يجب أن يتفق مع الاراء القائلة بأن المرأة كانت سابقاً مسخرة لاعمال البيت الاعتيادية . وبعض الاعمال الاخرى . ولذلك فان دخول المرأة الى صنف التمريض مع ارتباطها بهذا العمل يعني خلاصها من التقاليد الريفية لتلعب بدور تشعر فيه بحرية أكثر خلال مسيرة حياتها أما الشيء الاكثر من هذا فان التمريض في ظل ظروف العصابات ، أجبر المرأة أن لا تكون ممرضة فقط . وانما مقاتلة في نفس الوقت ، مع فارق بسيط في الفرص المتاحة لها من أجل البقاء على قيد الحياة عن المقاتلة الاعتيادية .

ان التمييز بين الجنسين ، يظهر لنا بوضوح أكثر عند اجراء موازنات عديدة للرجال والنساء العاملين في جيش التحرير الوطني .

الاحصائيات الرسمية تشير الى أن عدد المسوقين للخدمة هو مليون شخص ، منهم «١٠٠,٠٠٠» امرأة فقط ، وهذا شيء معقول ان الرجال بصورة عامة ولدوا للقتال اذا كان القتال شيئاً لا مفر منه . وكما أشرنا سابقاً فقد كان يوجد ما يزيد على «٢» مليوني امرأة خارج صفوف الجيش لمهات أخرى منها الادارة ، والادامة ، والتعليم ضمن منطقة جبهة النساء المناوئات للفاشية .

ان هذا الرقم يبدو انه يشكل أكثرية مطلقة اذا ماقارناه بالتعداد السكاني للمدنيين . هذا مع العلم . اننا لوعدنا مرة ثانية وأعتبرنا ان أعمال الاسناد المقدمة للمجهود الحربي من قبل جبهة النساء المناوئات للفاشية هي أعمال عسكرية ، وان القائمات بها يعتبرن قائمات بأعمال عسكرية . فسنجد ان المنتميات للخدمة العسكرية يتفوقن من ناحية العدد على الرجال الذين في الخدمة ، ومع هذا فأن المرأة في الخطوط الامامية كانت تشكل نسبة قدرها ١ / ٢٠ من الرجال . أما البقية فكن في الخطوط الخلفية من الجبهة لتقديم كل أنواع الاسناد . ان الجيوش

الحديثة تقترح بمعظم الاحوال . أن يكون للمرأة دور كبير في مجالات الاسناد . وان الدور القتالي المباشر هو من مسؤولية الرجال .

اذا عدنا مرة أخرى الى الجيش اليوغسلافي خلال الحرب سنجد مع الترحيب بقدرة المرأة والخدمات الادارية لم تكن مقصورة على المرأة المقاتلة . ان تأمين الطعام والخياطة . في الحقيقة كانت دائماً من الادوار التي تقوم بها المرأة في الارياف والقرى . أما الامور الادارية الاخرى فكانت جديدة عليها . كما وان العصابات والخدمة الادارية تحت النار المباشرة . لم تتعود عليها المرأة سابقاً وانما هي نتائج الحرب العالمية الثانية تقريباً .

هذا يمكن أن نستنتج من البيانات المتيسرة لدينا . والمتأتية من الحرب العالمية الثانية والتي يمكنها أن تخدم المرأة اليوغسلافية في الحروب كلياً من دورها التقليدي في هذا العصر الصناعي .

اذا عدنا مرة ثانية لموضوع تحرير المرأة يمكن أن نستنتج حقيقة مؤكدة تخدمنا في هذا المجال هي ان اشتراك المرأة في كل من جيش التحرير الوطني وحركة التحرير الوطني قد حررت المرأة من التقاليد الريفية القديمة . وأعطتها أدواراً جديدة .

الرتب العسكرية

لقد منحت المرأة رتبة ضابط خلال الحرب العالمية في جيش التحرير الوطني . وان هذه الرتبة شملت «٢٠٠٠» امرأة . ان الجدول التالي يبين لنا نموذجاً صغيراً . للفرق الكرواتية وبعض التنظيمات الاخرى ضمن الجيش اليوغسلافي . ومن النظرة الاولى يمكن أن نجد أن نسبة الضباط الرجال في هذا الجدول هي «٣٠٪» أكثر من نسبة الضباط النساء في عموم الوحدات . هذا ولو أخذنا المجموع العام فسنجد مرة أخرى ان نسبة الرجال من الضباط المقاتلين في عموم الجيش والوحدات الملحقة أكثر من نسبة النساء المقاتلات .

ان الاستنتاج النهائي في كل هذا . هو ان الرجال كانت لديهم فرص أكثر في الحصول على الرتبة ومن ثم الترقية . وكما ذهبنا سابقاً حول المعلومات غير الوافية . سنجد ان هذه البيانات تبين لنا ان بعض الرتب الكبيرة للنساء تبين لنا ان المرأة التي لا تتمتع بمهارة عسكرية هي التي تتدرج في الرتب . وعلى سبيل المثال في صنف الضباط حيث لو عدنا وأخذنا بعين الاعتبار مسألة تجنيد الرجال والمرأة في يوغسلافيا سنجد ان معظم هؤلاء المجندين انحدروا من مناطق ريفية . مع ثقافة شكلية بسيطة .

المرأة العسكرية اليوغسلافية هذه الايام

بعد الحرب العالمية الثانية . النساء وبصورة تدريجية تسرحن من الجيش اليوغسلافي

تقليدي . ولذلك فاننا غير قادرين على التأكد من الرقم المضبوط للاعمال . التي كانت تداولها النساء في «جيش الشعب اليوغسلافي» ان المرأة في يوغسلافيا اليوم لا تخضع كما يخضع الرجال الى الخدمة الالزامية التي قدرها «١٢ - ١٥» شهراً . وهذه الفترة تعتبر فترة متممة للثقافة . ان المرأة تخدم الان في «قوات الدفاع الاقليمية» . ان هذه القوات ظهرت الى الوجود في عام ١٩٦٨ . عندما تم اعادة تقييم الدفاع الوطني اليوغسلافي ومنظوماته من قبل اليوغسلاف .

ان مفهوم الحرب الشعبية هو لردع ومنع وصول العدو من الغزو ، ضمن المفهوم اليوغسلافي . ولذلك فان الجيش الشعبي اليوغسلافي له واجبات واضحة ومعالم شخصية واضحة أيضاً . الا ان الجدير بالذكر هو ان جميع هيئة أركانهم من الاحتياط المتسرحين من القوات النظامية لجيش الشعب اليوغسلافي .

كانت منظومة القيادة والسيطرة على هذا الجيش تمارس من قبل القائد الاعلى بصورة مباشرة . وعبر قيادات شعبية أخرىٰ متجاوزة هيئة الاركان العامة في الجيش اليوغسلافي النظامي . الا انه في عام ١٩٧٢ ، وعندما أصبحت قوات الدفاع الاقليمية مساعدة الى جيش الشعب اليوغسلافي . فان القيادة والسيطرة والاوامر أصبحت عبر هيئة الاركان العامة للجيش . بهذا الارتباط أصبح هناك تكامل بين قوات الدفاع الاقليمية والجيش النظامي اليوغسلافي ، وان مهمة الاثنين هي الدفاع عن الوطن بصورة عامة . ان هذا التنظيم الحديث يطلق عليه اليوغسلاف :

«منظومة الدفاع الموحد»

في التنظيم أعلاه تمكنت امرأتان من الحصول على رتبة «جنرال» وضمن «قوات الدفاع الاقليمية» .

منذ عام ١٩٦٨ ، جميع الاشخاص المواطنين ، الرجال منهم والنساء بالاضافة الى الاطفال يتطلب منهم المرور بدورات تدريبية عسكرية سواء كان ذلك في مدارسهم ، أو في محل أعمالهم .

كل شخص من الاشخاص عليه أن يتعلم دوراً معيناً يمارسه عند حدوث هجوم معاد . الشباب والفتيات في المدارس يأخذون دروساً عسكرية ويتعلمون كيفية اطلاق النار .

في مقابلاتي السريعة والعاجلة مع بعض الافراد العاملين في منظومة الدفاع الشعبي الموحد ، لم

أجد الصورة والواضحة ولم أتمكن من العثور على دور للمرأة في صنف المدفعية . أو التدريب العسكري الاختصاصي . وان الصورة التي حصلت عليها هو ان الاطر الرئيسة لعمل المرأة هي نفس الاطر وان أدوارها هي نفس الادوار التي لعبت بها سابقاً في جيش التحرير الوطني . وأكثر هذه الادوار هي الادوار الطبية ، غير ان المرأة في السنين الاخيرة في العسكرية خضعت مرة أخرىٰ الى فحص دقيق واعادة تقييم .

لقد برز سؤال واحد على وجه الخصوص ، وبصورة مستعجلة وهو :

«هل من المستحسن تجنيد جميع النساء ؟» .

في تشرين الثاني عام ١٩٧٩ رفعت وثيقة الى تجمع جماهيري يوغسلافي ، تطالب بمشاركة أكبر للمرأة في جيش الشعب اليوغسلافي «YPA» غير ان هذه الوثيقة أوقفت ، ومما تضمنته هذه الوثيقة ما يلي :

«خلافاً لما حدث خلال حرب التحرير الشعبية ، عندما كانت النساء في الجيش على نطاق واسع ، وحقوق متساوية ، ومسيرة متساوية مع الرجال ، وعندما مارسن كل أنواع الاعمال سواء في القتال أو في الخطوط الخلفية ، في القيادات العليا أو قيادات المجموعات ، فان المرأة في هذه الايام في القوات المسلحة أصبحت بأعداد صغيرة جداً ، وربما ان وجودها الان وجود رمزي فقط» .

هناك فقط سبب واحد يمكن أن يبرر غياب النساء في جيش يوغسلافيا الحالي ، وهذا السبب هو وجود كفاية تامة من الرجال المدربين للقيام بالمهمات العسكرية .

ان الوثيقة التي نوهنا عنها تشير أيضاً ، الى وجوب اتاحة الفرص للنساء بالدخول الى القوات المسلحة ، وذلك لتأمين الغايات الوطنية ولارضاء اهتمامات النساء أنفسهن ، كما ان الوثيقة أقترحت عدم خضوع المرأة الى التجنيد فوراً ، وانما يتم ذلك خطوة بعد خطوة ، وان فرصة مشاركتها الكلية ربما سيكون عندما تحتم الضرورة ذلك .

ان الوثيقة كذلك تنص على وجود نساء ضابطات احتياطيات ، بالاضافة الى النص على الترقيات المقترحة للنساء وكل ذلك ضمن منهج مبسط في البداية يطبق ويجري التدريب عليه تحت اشراف جيش الشعب اليوغسلافي .

ان هذه الامور ، والقوانين المقترحة أخذت طابعها الرسمي في بدايات عام ١٩٨٠ ، الا ان مسألة تجنيد المرأة أسوة بالرجل تبقىٰ معلقة وان دخول المرأة للقوات المسلحة سيتم وفق رغبتها

التطوع . كما وان هذا التطوع لا يعني ان المرأة سوف تلقى على كاهلها واجبات قتالية . أو تدريب على عمليات الاشتباك القريب في الخطوط الامامية .
ان عدم المساواة الناجمة من عدم الاشتراك المتساوي في الاعمال الخاصة بالجيش سوف يستمر في الجيش اليوغسلافي . وسوف يستمر تطوع المرأة في المكانات والوحدات غير المقاتلة . وللاعمال التي تؤديها المرأة خيراً من الرجل ، وكما هي الحالة بالنسبة لها خلال الحرب العالمية الثانية .
هكذا نجد بعد هذا العرض السريع ، وبالرغم من سجل البطولات النسائية النادرة . وبالرغم من مشاركتها الفعلية كمقاتلة خلال الحرب العالمية الثانية ، الا ان القيادة اليوغسلافية في الوقت الحاضر . لا تبدو انها تقترب من اعطاء المرأة فرصاً متساوية مع الرجال في الجيش اليوغسلافي التقليدي . وكما حصل خلال الحرب العالمية الثانية .

خلاصة بما توصلنا اليه

ان التقاليد الادبية للمرأة المقاتلة . بالاضافة الى التقاليد الحزبية ونظرتها الى المرأة ، انما هي عوامل تقوض البرجوازية النسائية والتي سيطرت على عقلية القرن العشرين والقاضية بالحضور الفعال والقوي في جيش يوغسلافيا الحديثة . ان تواجد المرأة اليوغسلافية وأعدادها ، أقل مما هو مألوف . ولكن علينا أن ننوه في هذا المجال انها كانت متساوية مع الرجل في الشجاعة . ان المرأة اليوغسلافية اكتسبت خبرة في الحرب ، وقاتلت في نفس الظروف التي قاتل فيها الرجال . واشتبكت بأعداد كبيرة مع الغزاة ، وهذا الشيء كان لا يمكن أن يصدق قبل الحرب . بالاضافة الى دورها في الدعم الاداري للمجهود الحربي .

ان التفكير الحديث في يوغسلافيا والخاص باستخدام المرأة في القوات المسلحة هو نفس التفكير الذي كان سائداً في القطاع المدني قبل الحرب العالمية الثانية ، والذي ينطلق من مبدأ «محل المرأة» ومن هنا يمكن ان نستنتج أكبر استنتاج الا وهو ان خبرة الحرب العالمية الثانية ، لم تقدم أي دعم الى مبدأ المشاركة المتساوية للرجل والمرأة في القوات المسلحة الان .
ان الهيئة الثانية للمرأة خلال حركة المقاومة الوطنية قد أعطت مفهوماً ضمنياً وميزت دورها بصورة واضحة بالنسبة للخدمة في القوات المسلحة ، ولذلك فأن هذه الافكار انعكست على وضعية المرأة بعد انتهاء الحرب ، وهذا مانجم عنه تسريحها من الخدمة بعد الانتهاء من هذه الحرب بصورة مباشرة .

بعد ثلاثين عاماً من انتهاء الحرب العالمية الثانية فان مسألة اشتراك المرأة بالقوات المسلحة برز ثانية وبقوة .

ان الخلاصة التي تقدمنا بها ، هي خلاصة كافية لدعم وجهة نظر أي شخص يدعم تجنيد المرأة ، بالاضافة الى اعطائها المبادئ التي تدعم الافكار الخاصة بمساواة المشاركة للمرأة في القوات المسلحة .

ان سيادة الاعراف والادبيات اليوغسلافية بالاضافة الى نظرة المجتمع للمرأة هي أمور طابعها محافظ تجاه العسكرية ، وان هذه الامور مجتمعة كانت دائماً تحاول تطبيق هذا المنطق . والذي جوهره التقاليد والخبرة .

ان استخدام الامثلة التأريخية ، لم يغير هذه النغمة ، وان المرأة كما يتصورها اليوغسلاف تجلب الحنان والرحمة الى المجهود الحربي بصورة عامة . ان القوانين الجديدة ربما ستكون الخطوة الاولى في القبول اليوغسلافي للمرأة كمقاتلة من وجهة نظر العسكرية التقليدية .

جدول ٤ - ٣

نسبة الضباط الاركان في الوحدة حسب الجيش في ست وحدات كرواتية من الانصار ١٩٤١ - ١٩٤٥

أسم الوحدة	الذكور		الاناث	
	نسبة الضباط الاركان / العدد الكلي في الوحدة	النسبة المئوية	نسبة الضباط الاركان / العدد الكلي في الوحدة	النسبة المئوية
الفرقة الثانية . الفيلق في جيش التحرير الوطني الكرواتي	١٥٥٧ر٣٦	٢ر٣١	١٩٤ر٤	٢ر٠٥
الفرقة العاشرة . الفيلق كرواتي جيش التحرير الوطني الكرواتي	٢٥١١ر٦٢	٢ر٤٧	٢٦٢ر٢	٠ر٧٦
الفرقة الثالثة عشر . الفيلق كرواتي جيش التحرير الوطني الكرواتي	٥٢٢٠ر٢٢	٠ر٤٢	١٣٩ر١	٠ر٧٢
اللواء الاحتياط البروليتاري الثاني عشر	١٢٧٧ر٢٣	١ر٨٠	١٣٦ر١	٠ر٧٤
اللواء البروليتاري الثالث عشر	٣٤٥١ر٥٦	١ر٦٢	١٢٨ر١	٠ر٧٨
اللواء الكرواتي	٢٢٧ر١٩	٨ر٣٧	٧٠ر٢	٢ر٨٦
نسبة الضباط للعدد الكلي	١٤٢٤٣ر٢٢٠	١ر٥٤	٩٢٩ر١١	١ر١٨

الفصل الخامس

فيتنام حرب التمرد والثورة على الاحتلال

بقلم

وليم جي ديكور

الفصل الخامس

فيتنام : حرب التمرد
والثورة
على الاحتلال

بقلم
ولیم جي ديكور

ان من أهم المعالم المركزية للستراتيجية العسكرية خلال الصراع في فيتنام هو منظور «الحرب الشعبية» ، وهذا يعني المقاومة الشاملة والتي تشمل جميع السكان ، لمقارعة الغزاة الامبرياليين الامريكان ، وتوابعهم ، المتمثلين في الحكومة المتواجدة في سايكون من الفيتناميين المناوئين للثورة .

في هذه الحرب ، كان الجميع خاضعين بصورة أولية ، ووفق قابلياتهم للاشتراك في هذا الصراع ، سواء كان هؤلاء من المنتمين الى الريف ، أو الى المدن ، رجالاً ونساءً شباباً وشيوخاً .

ان مسؤوليات هؤلاء كانت مقارعة ومقاومة الغزاة من أجل اعادة توحيد شطري فيتنام .
من وجهة نظر أخرىٰ ، أكثر التصاقاً بالشؤون النسائية فان الحرب الشعبية الفيتنامية ، هي الحرب التي أفرزت المرأة المقاتلة ، لقد كانت المرأة عدداً من أعداد وحدات المدفعية التي تقوم بحماية هانوي من الغارات الجوية الامريكية والقصف الجوي ، كما كانت بالاضافة الى ذلك مقاتلة ضمن صفوف الانصار المقاتلين في جنوب فيتنام ، وهي مع ذلك تحمل البندقية في ذراعها ، وطفلها مشدود فوق ظهرها .

لقد كانت المرأة عضوة في وحدات المليشيا في المناطق التي تم تحريرها وهي لا تقوم بالخدمة كزوجة وأم فقط ، وانما كانت ضمن قوة الدفاع عن القرية ضد هجمات القطعات المعادية .
هل ان ماذكرناه سابقاً هو الصورة الحقيقية لما حصل ؟هل لعبت المرأة بدور فاعل أو مساو مع الرجل في الثورة الفيتنامية ؟ .

اذا كان الجواب على ما جاء أعلاه من أسئلة هو الايجاب . . . فما هو تأريخها السابق ؟ وما هي أمورها ومطاليبها وحقوقها ومسؤولياتها في فيتنام في فترة ما بعد الحرب ؟ .

ان المصادر الحالية في فيتنام تحمل منظور الحرب التحررية الوطنية . وهذا الشكل من الحروب طور من قبل الزعيم الصيني ماوتسي تونغ ، واستخدم في الصين . عندما وضع قادة الحزب الشيوعي خطتهم لاول مرة من أجل حرب المقاومة ضد الاستعماريين المزدوجين المتمثلين بنير الاحتلال الياباني متمثلاً بجيشها . والاستعمار الفرنسي وسلطاته . وذلك في ربيع عام ١٩٤١ . فما لا شك فيه انهم وصفوا ذلك مستندين الىٰ خبرة رفاقهم في الشمال والاساليب الجديدة المضافة من ماوتسي تونغ ، والذي يمكن اعتبارها التجربة النموذج .

ان هذا النوع من القتال والحق يقال يعتبر سابقة شعبية لتطبيق فكرة المقاومة الوطنية ضد الغزاة الغرباء .

في الحقيقة ، منظور الحرب الشعبية لدحر قوات الغزو العائدة الىٰ دول معادية قوية يعتبر بدون شك شكلاً جديداً للحرب الا انه حدث سابقاً ، عبر الوثائق التأريخية للشعب الفيتنامي .

ان جذور تقاليد المقاومة المذكورة نصت عليها فترة من الفترات التأريخية في فيتنام عندما انتفض الشعب قبل مئات السنين وجهز ثورة ضد الحكم الصيني .

ان الانتفاضة التي ذكرناها تحدثت عنها القصص الفيتنامية الميالة الىٰ السرد الاسطوري ، والتي تعتمد عليها في بعض الاحيان ، وهذا السرد لا يمكن الركون اليه تأريخياً ، ومهما يكن الامر . فان الحقيقة تخبرنا ، بأنه في مناسبات عديدة ، كان الشعب الفيتنامي قادراً علىٰ تعبئة الجهود الوطنية ، لمقارعة ودحر القوات الغازية ، وبهذا العمل فانهم كانوا يضمنون ويعيدون استقلالهم مرة أخرىٰ .

ان من أهم الغايات التي من أجلها تستمر هذه القصص الخرافية الاسطورية في فيتنام هو نقلها بصورة مستمرة أحداث الحروب المتمثلة بالبطولات هذه البطولات التي كرست من أجل اظهار الكثير من المآثر الحربية التي عاشها هذا الشعب فدحر المعتدين ، هذا بالاضافة الىٰ ان الكثير من هذه القصص الخرافية كانت تشير الىٰ بعض النساء كبطلات ، في أعمال القتال . ودحر الغرباء . ان أقدم القصص الذائعه الصيت ، ومن أقدم الاغاني التي يتداولها الجميع هي القصة الطويلة المتعلقة بالاخوات «ترانج» اللواتي فجرن مقاومة عنيفة ضد قوات الاحتلال

الصيني في مطلع القرن الاول . وذلك بعد أن هيجوا العواطف الوطنية الفيتنامية . والتي لا تزال هائجه حتىٰ الان عند سماعها لهذه القصة .

ان مغزىٰ القصة هو ان البنت الكبرى وكانت تدعىٰ «ترانج ترانس» . كانت متزوجة من رجل نبيل وقور . وهذا الرجل قد جرت محاكمته من قبل الصينيين المحتلين فأعدم بتهمة الثورة . ونشاطاته الاخرىٰ ضد الغزو الاجنبي ولذلك فان أرملته وأختها الصغرىٰ والتي تدعىٰ «ترانج نهي» ، واصلا المسيرة النضالية محاولتين شد الجمهور اليهما ، وقد تمكنتا من ذلك. فعلاً فتجمع حولها جيش تمكن في العام «٤٠» بعد الميلاد من طرد الصينيين خارج البلاد ،

ووفقاً الىٰ ما تذكره هذه القصة الاسطورية ، كان سبعة من قادة الجيش الفيتنامي في ذلك الحين من النساء .

ان احدىٰ هؤلاء النساء هي القائده «بانج تاهين جن» والتي زعم انها أنجبت طفلاً عندما كانت تقوم بقيادة القطعات في الجبهة الامامية . وبعد قليل من ولادة الطفل ، تطوقت من قبل الاعداء . فما كان منها الا ان تتقدم الصفوف، حاملة المولود الجديد علىٰ ظهرها ، ممتشقه حساماً في كل يد من يديها وتقدمت مخترقة صفوف العدو في معركة دامية ، تمكنت بعدها من النجاة .

ان التقاليد الخاصة بالمرأة الفيتنامية المقاتله بقيت مستمرة بنفس الاشراق في كل صفحات التأريخ الفيتنامي وحتىٰ هذا الوقت .

خلال عهد الحكم الصيني الذي استمر لمدة مئات من السنين والذي أعقب الثورة التي قامت بها الاخوات «ترانج» يمكن أن نلمس ان المرأة ، وبأكثر من مناسبة ، تأخذ علىٰ عاتقها القيادة لمكافحة الاحتلال ، غارسة جذور تقاليد ثورية عريقة تتصدىٰ للغريب المحتل . هذه التقاليد لازالت راسخه حتىٰ الان .

في التقاليد الفيتنامية . يبدو ان الصورة قد اختلطت . حيث ان عدداً من الشهود المعنيين بشؤون هذه البلاد وآسيا يذهبون الىٰ ان المرأة قديماً في هذه البلاد كانت أكثر فعالية من أيه امرأة أخرىٰ في عموم آسيا . من اللواتي عاصرن تلك الفترات القديمة . وحتىٰ المرأة الاندنوسية في تلك السنين الغوابر لم يكن بينها وبين الرجل أي تمايز . حسب تقاليد المجتمع التي كانت سائدة آنذاك .

مهما تكن القضية فعلينا أن نقر ان هذه التقاليد بقيت قائمة ومدفونة في أذهان الناس لالاف السنين وحتىٰ عندما كان الفيتناميون تحت الحكم الاجنبي وذلك لان الفتح الصيني لفيتنام

استمر كثيرا . وعلى أية حال فان بعض التعاليم الصينية خلال تلك الفترة قد أثرت على المؤسسات والمجتمع الفيتنامي .

ان المواقف المحافظة تجاه أدوار النساء في المجتمع كانت متأتيه من سنوات الاحتلال الصينية . حيث ان النساء تحت ظل هذا الاحتلال أخذن يتأقلمن وبصورة تدريجية على المفاهيم الصينية المحافظة . ويعترفون بها من الناحية العملية .

ان وجهات النظر «الكونفوشيوسيه» وهي ديانه صينية قديمة . كانت سائدة في الصين انتقلت شيئاً فشيئاً الى فيتنام . لذلك وحسب هذه التعاليم فان المرأة أخذت موقفاً أقل من الرجل . وأصبحت تابعاً له .

ان هذه الامور جعلت المرأة لا تلعب بدور فاعل في الحياة السياسية أو في ابداء الرأي . في الواقع . وكما جاء نظرياً في الوقت ذاته . فان المرأة بقيت حبيسة في بيتها لتقوم بدور الزوجة والام لكي تقوم بدورها بصورة جيدة وشاملة . فقد بقيت غير متلقية أية ثقافة . أو تعليم . ان المناقب التي كان يجب أن تتحلى بها المرأة . ان تكون دمثه الاخلاق أولاً . ونقية ثانياً . ومطيعة ثالثاً وفقاً الى التعاليم الصينية وقوانينها . بالاضافة الى الاعراف الاجتماعية . فان دور المرأة كان صارماً في المحيط العائلي .

ان حقوق المرأة الفيتنامية . وفي جوانبها الكبرى في الادبيات السائدة كانت لا تختلف عن الادبيات الصينية وانما تعتبر نسخة مطابقة لها .

كان هناك استثناءات بسيطة . وصغيرة . وهذه كانت تعكس الفترة التي سبقت الاخذ بالتعاليم «الكونفوشيوسيه» والسحيقه في القدم .

تحت حكم «هونك ديوس كودي» في القرن الخامس عشر . اتبعت النساء أعرافاً اجتماعية محلية . حيث سمح للمرأة بأن تمتلك بعض الممتلكات تحت ظروف خاصة . وان تقوم ببعض الادوار والاعمال ضمن المجتمع القروي . ولكن تحت ظل العائلة .

يمكن اعتبار هذه المكاسب انها كانت تمثل نصراً للتقاليد والاعراف الفيتنامية على القوانين الصينية الصارمة . ان هذه النقطة حتى لو بدت صغيرة فانها كانت تدق على نفس الوتر القديم . وان الواقع بدأ يحاور النظريات القادمة من الصين .

وفقاً الى التقاليد والاعراف الفيتنامية فان المرأة كانت تحتل مساحة مشرفة أكبر ضمن العائلة . فهي مثلاً مسؤوله عن ميزانية النفقات البيتيه كما وانها كانت تدير البيت في كل معنى الكلمة . وهذا ما كانت تفتقر اليه المرأة الصينية .

كانت المرأة الفيتنامية ، وليس في كل الأحيان هي حاكمة بيت صغير تحيط بها في

تحت حكم عائلة (نيكوين) من عام (١٨٠٢ - ١٩٤٥) فإن دور المرأة عاد ثانية إلى الانحسار وأصبح محدوداً .

لقد نشر الامبراطور الجديد (جيالونج) وهو مؤسس هذه الأسرة مرسوماً يثبت به الأشياء المحرمة للمرأة وكان أول هذه الأشياء وجوب عودتها إلى التعاليم الصينية الصارمة . وخصوصاً حول ملكية الزوجات على الثلث . إن الغزو الفرنسي في أواخر القرن التاسع عشر ، فتح عهداً جديداً في التاريخ الفيتنامي . فتحت ظل الحكم الاستعماري هذا ، أحدثت الآتي بعد (الكونفوشيوسية) بالإضافة إلى تقليد تحل محلها وبصورة تدريجية الأفكار الحديثة للغرب . ومن جراء هذا التغيير أصبح هناك موقف جديد تجاه دور المرأة في المجتمع .

خلال الأعوام المبكرة من القرن العشرين افتتحت مدارس جديدة . وهذه المدارس كانت تعطي الثقافة الفيتنامية - الفرنسية بصورة مشتركة . وقد ضمت هذه المدارس النساء للمرة الأولى .

لقد كان بإمكان الفتيات الفيتناميات أن يتلقين - على الأقل - تعليماً أولياً في القرى الشعبية . كما كان يجري اختيار البعض من هؤلاء النسوة ويسمح لهن بمتابعة الدراسة بمستوى عالي . من أجل هذا الغرض فإن مدرسة (دونج كانه) الثانوية للبنات قد فتحت في العاصمة الامبراطورية . في عام ١٩٣٠ . قبلت المرأة في المعهد الوحيد للدراسات العالية في فيتنام ضمن جامعة (هانوي) .

إن نتائج هذه الأمور وخاصة بدخول الأفكار الغربية بدأت تعطي ثمارها . ويمكن أن نحسسها بعد العقد الأول الذي تلى الحرب العالمية الأولى . حيث أخذت المرأة وللمرة الأولى . وبعضها تدخل عدة الوظائف المحترفة .

لقد كان هناك شعور عام مساند للمرأة . يقترح أن النساء أيضاً لهن حقوق . ويجب أن يسمح لهن بتأمين متطلباتهن .

روايات شعبية مألوفة كتبت خلال هذه الفترة . بدأت تصف المرأة على ضوء التطورات الحديثة . ليس ضمن دائرة مناقب ومآثر المرأة المعروفة ولكن بوجهة نظر تبين ما تصبو إليه المرأة .

إن تحرير المرأة جعلها تظهر . وعلى أقل تقدير في الروايات الفيتنامية . في عام ١٩١٣ صحفي (نيكوين فان فنه) أسس جريدة جديدة هي (دونك دونك تاب شي) وهي جريدة

«هندية ـ صينية» وكان من ضمن هذه الجريدة عمود مكرس بصورة تامة للمرأة في موقفها الجديد .

ان الحكم الفرنسي لفيتنام نجم عنه بعض التحسينات في مجال حقوق المرأة الا انه من ناحية أخرى اصطدم صدمة قد تعتبر صغيرة مع حياة الاكثرية العظمى من النساء هناك . وخاصة في المناطق الريفية . بحيث ان الاعراف والممارسات الاقطاعية لم يمسها أي تغيير .

ان الحضور الفرنسي في بعض المناطق كان حضوراً ليس له فائده تذكر . ولكنه كان مؤثراً . وذلك . وعلى سبيل المثال . فان الجهود الفرنسية أنصبت في بعض المناطق على ربط الفيتناميين بأعمال نتيجتها التصعيد الاقتصادي لهم . وبهذا فان الكثير من النساء جندن للعمل في المصانع أو في حقول المطاط في ظروف حياتيه صعبه ولقاء أجر ضئيل يصل الى حد المعاناة من الجوع .

ان الذي أوردناه سابقاً يمكن أن ينطبق أيضاً على المواطنين الاخرين من الرجال لانهم قاسوا ذلك كالنساء .

المرأة في الثورة الفيتنامية

ان مكان المرأة في المجتمع الفيتنامي الجديد بدأ يأخذ نوعاً من البروز والشهرة التدريجية ، كما وان القوى الكامنه عند المرأة أعيد النظر فيها من أجل الحصول على الاستقلال . وأخذت وجهات النظر هذه والقاضيه باعطاء دور للمرأة تتعاظم يوماً بعد آخر .

في البداية . كان التقدم في هذا المجال محدوداً في المجال النظري ولكن ذلك أخذ يتقدم شيئاً فشيئاً .

ان من أحد أشهر القادة الفيتناميين في مجال الحقل الوطني خلال السنوات المبكرة في القرن العشرين هو «بان بوي جيو» .

كانت أفكار هذا القائد تدور حول تطوير فيتنام وجعلها مجتمعاً حديثاً يعتمد بالاساس على القيم الغربية المتضمنة أولاً وأخيراً . العلم والديمقراطية . لقد كان جزءاً من منهجه لتحقيق ذلك . هو ان النساء يجب أن يتحررن وتلقى على عاتقهن بعض الادوار الفعاله في مقاومة الاستعمار الفرنسي . ولتحقيق واعادة السيادة الفيتنامية على البلاد .

ولكي يضمن المشاركة الجماهيرية بطاقتها القصوى ، فقد كتب منشوراً يدعو به اعضاء المجتمع الفيتنامي . ومن ضمنه النساء التكاتف من أجل تخليص فيتنام من نير الحكم الاجنبي . الا ان حركة هذا القائد قد فشلت بعد وقت قليل وذلك لعدم حملها بذور البقاء ، ان حركته

في الوقت التي تمكنت ان تحصل على شعبية صغيرة ، لم تكن تضم في سجلاتها أيه فعالية نسائية تذكر . كما وان من المؤكد ان حركته كانت لا تحتوي على أي عنصر نسائي قيادي في حلقاتها التنظيمية . الا ان أفكار هذا القائد بدأت تأخذ طابعها الواقعي بعد تأسيس الحركة الثورة / الفيتنامية عقب الحرب العالمية الاولى .

ان «هوشي منه» قد لمس وضع المرأة الفيتنامية ، وتعاطف معه وأسنده كما ان كثيراً من المواد المكتوبه التي تؤيد حق المرأة قد كتبت قبل الاعلان الرسمي عن تأسيس الحزب الشيوعي للهند الصينية . وقد كانت هذه الكتابات تكشف عن المعاملات اللا انسانيه وغير اللائقة للنساء في فيتنام وما تصنعه الايادي الفرنسية الاستعمارية من ظلم .

ان احدى المواد المكتوبه ، على وجه الخصوص في العام ١٩٢٢ والتي تحمل عنوان «النساء الفيتناميات والاستعمار الفرنسي» تضمنت وصفاً مثالياً الى القساوه الفرنسية المقترنة بالسادية وحب الايذاء التي تمارسها القطعات الفرنسية المحتلة .

ان مواد هذا المقال تطرقت بشيء كثير الى الاعمال التي على المرأة أن تقوم بها كوسيلة للدفاع عن نفسها ، هذا ، وفي النهاية فان المقال يقترح أن تتحد النساء الفيتناميات ، وذلك لكي تكون المقاومة جماعية من قبل النساء حيث أن المرأة بمفردها لا يمكن أن تدافع عن نفسها ، وبهذه المقاومة فانهن والحالة هذه يقاومن الاستعمار الفرنسي أيضاً .

في أوائل عام ١٩٣٠ «هوشي منه» ومجموعته بدأوا بوضع الافكار التي سبق وان تطرقنا اليها ، في صيغتها العملية ، ولذلك فان الكثير من النساء وبحماس بالغ تجندن في صفوف الحركة ، وهذا مما جعل المقاومة هنالك تضم كل الفئات الفيتنامية التي تشمل على الفلاحين والعمال . من كلا الجنسين.لاتوجد هناك أية احصائيات مضبوطه حول تلك الفترة . بل يوجد تخلف واضح في هذا المجال ، الا ان هناك معلومات وشهود عيان وبصورة متفرقة وكل هذه المعلومات تشير الى وجود دور فاعل للمرأة في هذه الحركة وخصوصاً في الشرائح الدنيا من المجتمع .

ان الاستثناء الوحيد لانتماء الطبقة العاملة والمزارعين هو انتماء الثائره «نيكوين شي كاهاي» الى الحركة ، وهذه المرأة ولدت في العام ١٩١٠ ، من طبقة عليا كريمة ، وتنتمي الى عائلة تسكن أواسط فيتنام ، ومن الجدير بالذكر ان انتماءها الى الحركة جاء بعد قيامها بصورة مباشرة .

لقد كان يتحتم في تلك الفترة أن تكون قيادة الحركة مختفيه عن الانظار ولذلك فان معظم

البيانات كانت تحمل اسم الجبهة الفيتنامية . وعلىٰ أية حال فان هذه الجبهة قد تمكنت من الحصول علىٰ دعم واسناد الجماهير وبصورة مطلقة .

خلال حرب التحرير الفيتنامية وضعت النقاط الثلاث التي تبناها «ماوتسي تونغ» سابقاً . وهي أولاً ، وحدات عسكرية نظامية تكون في قمة التنظيم . وثانياً وحدات مقاتله خفيفة تقوم بحرب العصابات وتنطلق من قواعد أساسية في مناطق معينة ، وثالثاً ، وجود وحدات مسلحة (مليشيا) في القرىٰ للقيام بعمليات الدفاع الذاتي عن القرىٰ ولتأمين الاسناد الاداري للوحدات المقاتله الاخرىٰ سواء النظامية أو الانصار .

ان هذا يعني في الحقيقة حرباً شعبية ، ولذلك فقد بدأ تجنيد الشباب الفعال ، من القرىٰ وذلك عبر عملية تعبئة عامة دعيت عملية تعبئة الشباب من أجل قوات الدفاع عن فيتنام .

ان المجندين الذين كانوا يتمتعون بقابليات عالية جرىٰ اختيارهم من بين المجموع العام ليلتحقوا بوحدات ذات مستوىٰ عال .

ان الاحصائيات المتوفرة لدينا احصائيات متخلفه ، كما تطرقنا اليه سابقاً الا اننا قد توصلنا الىٰ ان المرأة كانت دائماً في وحدات «المليشيات المحلية» وبعدد قليل في المستويات الاعلىٰ .

لقد ذكرت لنا التقارير بوجود ثلاث نساء ضمن تشكيل مقاتل في جيش التحرير الفيتنامي والمتكون من «٣٥» رجلاً في البداية وذلك في أول تأسيسة في عام ١٩٤٤ .

مع نشوب الحرب الفيتنامية الفرنسية في عام ١٩٤٦ ، فان الطابع الكلاسيكي للحرب الشعبية بدأ ينبثق ويتوضح شيئاً فشيئاً ، متبعاً النموذج الماوى «نسبة الىٰ ماوتسي تونغ» والمتضمن التراجع والموازنة ، ومن ثم الانقضاض .

وفق هذا الاسلوب فان الوحدات الفيتنامية تراجعت من المدن والمناطق الاهله بالسكان عبر الساحل الىٰ المستنقعات والجبال والهضاب المرتفعة للقيام بأعمال قتال العصابات .

بعد الانتشار الشامل والواسع لعمليات التعبئة الجماهيرية ، فان الفيتناميين المقاتلين تمكنوا من الصمود خلال السنة الاولىٰ من هذه العمليات ، أما بعد هذه السنة فقد كان بامكانهم أن يقوموا بعدد من الاعتراضات القتالية الناجحة للقوات الفرنسية .

ان الوحدات القتالية خلال مراحل القتال بقيت وحدات صغيرة ، وبتسليح ردئ الا انها تمكنت من أن تبرهن علىٰ مقدرتها العالية في القتال وذلك عندما تفوقت علىٰ القوات الفرنسية في عام ١٩٥٠ في معركة حاسمة علىٰ الحدود الصينية الفيتنامية ، بحيث أجبرت القوات الفرنسية علىٰ الانسحاب ومن ثم اتخاذ الدفاع كحالة حربية ضد الهجمات الفيتنامية .

علىٰ المدىٰ الطويل . ساعدت ثلاث عوامل علىٰ نجاح الحركة الفيتنامية هي : قابلية الحركة العالية للقوات المسلحة الفيتنامية . والدعم الشامل والكبير من قبل الوحدات شبه العسكرية بقوات جيش التحرير بالاضافة الىٰ الاسناد التام من العناصر المدنية .

المرأة خلال هذه العمليات لعبت بدور ذى شأن كبير بحيث انها ساهمت في مختلف الفعاليات . وأصبح لها وزن كبير في الحركة بالاضافة الىٰ انها كانت تقوم بأعمال التعبئة الادارية في المناطق المحلية .

ان اعداد المرأة في وحدات الانصار كان قليلاً عند مقارنته بالعدد الكلي من الرجال . الا ان اعدادها كانت كبيرة في المجالات الاخرىٰ ، وكان دورها حيوياً في مجمل عملية المقاومة . اذ انها تجندت من أجل أهداف انتاجية ولتحل محل الرجلى الذاهب الىٰ جبهة القتال .

قامت المرأة في هذه الحرب بتصليح الطرق . والخدمة في فرق الاسعافات الاولية . وفي قضايا الارتباط العسكري والحزبي . والاستخبارات وجمع المعلومات . هذا بالاضافة الىٰ استخدامها في وحدات النقل . حيث كانت تحمل الشحنات والمواد الحربية والتموينية الىٰ القطعات المتواجدة في الجبهة .

خلال معركة وحصار قلعة «ديان بيان فو» والتي تعتبر مفتاح النصر الفيتنامي وهذا شيئ سنورده علىٰ سبيل المثال . فقد كانت المرأة تقوم بأعمال الاسناد متمثلة بقيادة العجلات التابعة الىٰ وحدات المواصلات والتي تحمل اجزاء المدفعية والذخيرة عبر المناطق الجبلية . والممرات الخطرة ولعدة مئات من الاميال مجتازه الحدود الصينية الفيتنامية ، وكان عملها هذا قد أمن للقوات مواصلة الضغط المدفعي علىٰ هذه القلعة وعلىٰ المراكز المتقدمة الفرنسية الاخرىٰ وفي النهاية تطويق هذه القلعة تطويقاً تاماً .

ان من مجالات استخدام المرأة الاخرىٰ وعلىٰ وجه الخصوص هو الاستفادة التامة منها في دعم القطعات لاحتلال بعض المراكز العسكرية الفرنسية في المناطق الريفية . وذلك بالتغلغل في صفوفهم ، والقيام بأعمال العنف في المناطق التي يحتلونها والقيام بتجمعات نسائية معارضة وجلب الانتباه اليها لكي يقوم الاخرون بالهجوم علىٰ المرافق الحكومية .

أن أهمية مثل هذه الفعالية ، قد ذكرها الكاتب «برنارد فيل» ضمن دراسة احصائية حيث يستنتج ان واحد من ثلاثة كمعدل من المراكز العسكرية الفرنسية قد جرىٰ مسكه بواسطة أعمال الخديعه . التي كانت تمارسها الفتيات الفيتناميات .

ان أسلوب العمل الذي جرىٰ تداوله في الحرب الفرنسية الفيتنامية تكرر مرة أخرىٰ خلال

الصراع الثاني . والذي أتى بعد أعوام قلائل من اتفاقية جنيف عام ١٩٤٥ . ان الصراع الثاني هذا جاء نتيجة لمطالبة الجبهة الوطنية بتحرير فيتنام الجنوبية . وكان ذلك في شهر تشرين الاول عام ١٩٦٠ .

كما في السابق فان الجبهة الفيتنامية . وقيادتها قد أخذت عدة مواقع في فيتنام الجنوبية لحث الناس على العصيان والثورة . وقد اتخذوا من المرأة عنصراً أساساً لتنظيماتهم وقد استخدموها بشكل كبير . عبر تنظيم يدعى «رابطة تحرير المرأة» والذي ظهر لاول مرة في بدايات عام ١٩٦١ .

منهج العمل السياسي للجبهة الوطنية للتحرير «NLF» قد وضع وقد تضمن الجهود المطلوبة والدعاية في المستقبل مع ضمان مساواة المرأة بالرجل قانوناً وأجوراً متساوية مع الرجل للعمل المتساوي وضمان حقوق متساوية في الزواج أيضاً .

في السنين الاولى . وعلى أقل تقدير . كان الاعتماد السائد بين بعض السوقيين الفيتناميين بأن النظام الحاكم في «سايكون» يمكن أن يندحر اذا كان هناك نوع من الاقتران . وعلى المستوى الشعبي بين الاراء السياسية الثورية وبين المقاومة الشعبية المسلحة .

كان الاعتماد بالدرجة الاولى على المسائل السياسية الثورية لاستقطاب أكبر عدد ممكن من الجماهير الشعبية . وتأثير هذه الجماهير فكرياً على السلطة . وذلك بواسطة التجمعات والتظاهرات غير المسلحة . مع البدء بتشكيل ثورة مسلحة عبر مجموعات صغيرة مسلحة خفيفة الحركة تقوم بتطبيق حرب العصابات بالاضافة الى الميليشيات المسلحة .

من أجل عدم الحاجة الى صدام مسلح بمستوى كبير . فان قوات مسلحة كبيرة سوف لن تستخدم في هذه المرحلة . وان أعمال المقاومة ستكون في فيتنام الجنوبية من قبل القوات المحلية المعتمدة على نفسها . وهذا بدوره يعني ان التجنيد الحديث سوف يخضع لمرحلتين اساسيتين هما أولاً التدريب وهذا سيجري في فيتنام الشمالية . ومن ثم العمل ضمن المنطقة من أجل الكفاية الادارية . ويقترن كل هذا العمل مع الخبرة الشمالية المكتسبة خلال الثورة الاولى .

تحت هذه الظروف كان دور المرأة . في هذه المرحلة . دوراً كبيراً حيث ان المرأة ستأخذ على عاتقها بعض الاعمال المسلحة الصغيرة بالاضافة الى قيامها بالحث على التعبئة العامة في الاوساط الجماهيرية من أجل الثورة والمقاومة .

من أجل تأمين هذا العمل المتكامل ووضعه . في حيز التطبيق فقد وضعت الخطوط

تعريضة له والتي تؤدي الى الغاية . وهي الثورة . وكان من ضمن الخطوط الاساسية هو استخدام المرأة في خمسة مجالات هي :

تأخذ مكاناً بارزاً في حيز الانتاج .

أن تقوم بتحسين الانتاج .

ان تكون عائلة .

أن تثابر على القراءة .

أن تقوم بتقديم الدعم الى المجهود الحربي .

لقد فتحت مدرسة للمرأة «من أجل تدريبها . وقد سميت هذه المدرسة في المراحل الاخيرة باسم «مدرسة نيكوين شاي منه كاهاي» وعلى نمط المدارس والمعاهد المتشابهة في فيتنام الشمالية . وكانت غاية هذه المدرسة التي فتحت في منطقة محررة هو لتخريج كوادر نسائية للعمل السياسي والعسكري . لقد كانت مدة الدورة في هذه المدرسة ثلاثة أشهر . أما الاختبار فقد كان يجري وفق المناطق ومن قبل «رابطة تحرير المرأة» .

في عام ١٩١٠ ، والتي كان يكن أهلها مشاعر حادة معادية للفرنسيين لعدة سنين ، والتي كانت أيضاً موضوعاً يجلب اهتمام حكومة «سايكون» برئاسة «نيكودين ديم» والتي حدثت فيها المعارك المشار اليها فان نتائج هذه المعارك كانت القاء القبض على «٢٠٠٠» شخص من المتعاطفين مع الثوار كان قسم منهم من النساء .

في منتصف عام ١٩٥٩ القيادة الجنوبية الفيتنامية ارتأت تصعيد الوضع العسكري . ولهذا أخذت قيادات المناطق تخطط لهذا التصعيد على نحوكتلوي . لتبدأ العمل في كانون الثاني عام ١٩٦٠ .

ومن الجدير بالذكر ان أحد القادة المخططين لعمليات المناطق كانت امرأة . اسمها «نيكوين ثاي دين) وهذه المرأة ولدت في عام ١٩٢٠ . وتعرفت على الحزب عبر فعاليات بعض أفراد أسرتها من الرجال حيث التحقت بعد ذلك بالحزب بصورة رسمية وأصبحت عضوة في أواخر العام ١٩٣٠ . أما في العام ١٩٤٥ . فقد أصبحت شخصيه قيادية في منطقة «بين تيري» وضمن لجنتها المحلية .

لقد قامت هذه المرأة في السنين اللاحقة للحرب بأعمال كبيرة أهمها نقل «١٠٠٠» بندقية من الشمال الى منطقتها لدعم قوات الثورة المحلية .

ووفقاً لمذكرات هذه المرأة ومصادر جيش التحرير الفيتنامي والبيانات والوثائق الاخرى خاصة بانتفاضة منطقة «بين كيري» فان هذه المرأة «نيكوين ديم» هي التي قادت هذه الانتفاضة الجماعية .

من الجدير بالذكر . ان جيش التحرير الوطني كان في حاله يرثى لها من ناحية التسليح والتجهيز في تلك الفترة لذلك أصبح القرار أن تكون المقاومة للاستعمار على شكل تمرد واحتجاجات . وعلى غرار ماحدث في السابق تجاه الفرنسيين قبل تحرير فيتنام الشمالية .

لقد بدأت الانتفاضة في شهر كانون الاول . وكان حصيلتها أول الامر سقوط بعض المراكز العسكرية الحكومية بيد الثوار سواء كان عن طريق الخداع أو عن طريق الهجوم الشعبي الجماعي . كان نتيجة ذلك حصول الثوار على بعض الاسلحة من هذه المراكز . ولذلك فقد أسست وحدات صغيرة لا تتعدى السرية . كما وأخذت هذه الوحدات ترتدي زياً عسكرياً لكي يمكن تمييزها عن الاخرى . ولتمثل طليعة القوات الرئيسية في المقاطعة . لقد بقي هناك نقص عام في التسليح . وبغية تعويض هذا النقص في القوة النارية . فقد قامت القيادة مرة ثانية بالتحول من هذه التعبئة الى شكل آخر من أشكال التمرد . والتي استخدمت سابقاً في عام ١٩٤٥ . وأعطت نتائج حسنة .

ان هذا التكتيك الجديد جعل آلاف النساء يقمن بمسيرة جماعية الى المراكز الحكومية . احتجاجاً على الفساد والرشوة المتفشية ، وكذلك للاحتجاج على الاعمال الفضيعة التي تمارسها الحكومة والظروف الاقتصادية الرديئة للشعب ،

ان أول عملية . من هذا النوع حدثت خلال تجمع جماهيري في شهر آب عام ١٩٦٠ . وقد كان عدد النساء المحتشدات يقدر بخمسة آلاف امرأة مع أطفالهن . حيث قمن بمسيرة جماعية الى عاصمة منطقة «موكاي» .

لقد فوجئ الرسميون الحكوميون من هذا الحشد النسائي . وأصيبوا بالاحراج . ووجدوا انهم في موقف المدافع أزاء هذه الجماهير النسائية المحتجة . ولا يمكن أن يتخذوا أي عمل سوى الدفاع . وعلى أية حال فان هذه الانتفاضة . قد أخمدت بعد أن قدمت قطعات عسكرية حكومية ودخلت المنطقة عنوة . الا ان هذا التكتيك لم يكف عنه حيث ظهر في مقاطعة أخرى هي «بن ثرى» الواقعة في دلتا نهر الميكونك وفي منطقة مركزية مرتفعة .

وكنتيجة الى التحركات التي جرت في «بن ثرى» . فان «نيكوين دين» أصبحت تعتبر بطلة من أبطال الثورة . بالاضافة الى ترقيتها من منصبها السابق الى منصب معاون قائد القوات المسلحة الشعبية .

عند حلول عام ١٩٦١ تشكلت قيادة عامة موحدة للقوات المسلحة للتحرير وأحدث توزيع ... في القتال . هذا علماً ان أعمال القتال قد بدأت فور تشكيل هذه القيادة . مع وجود ميليشيات المسلحة للدفاع التي تشكلت من القرى والقصبات المعتقة .

ان التجنيد والاختيار للاشخاص الذين سيمارسون قتال العصابات كان يجري على أساس اختيار أفضل العناصر سواء من ناحية فعاليتهم أو مولاتهم وسواء كانت هذه العناصر رجالية أم نسائية . ومن الوحدات الدفاعية التي تشكلت في القرى والارياف .

ان أعداد النساء اللواتي شاركن في الفعاليات العسكرية المختلفة أو في الوحدات المقاتلة بصورة نسبية غير معلومة . غير ان مشاركة المرأة في المستويات الاخرى كان كبيراً وملموساً . وعلى أية حال . كانت المرأة غالباً ما تكون قائدة لمجموعة مقاتلة . ووفقاً لاحد التقديرات الموضوعة عن وجود المرأة في المراكز القيادية كان يشكل نسبة قدرها (٤٠٪) في مستويات الكتيبة العسكرية في القوات المسلحة للتحرير فيتنام الجنوبية .

في بعض الحالات خدمت المرأة في الوحدات جنباً الى جنب مع الرجال . هذا علاوة على تشكيل وحدات كاملة من النساء فقط . هدفها واجبات خاصة تلائم قابلياتهن ومهارتها . لأسباب عديدة . كان هناك نزعة قوية متنامية من أجل اظهار المرأة غير منفصلة عن الرجال في الحركة الثورية . الا ان هذا لم يمنع وجود بعض الآراء المنبثقة عن بعض المشاكل التي حدثت من جراء استخدام المرأة كمقاتلة .

ان أهمية المرأة من جانب آخر فسنجدها قد خدمت الحركة بصورة كبيرة وكانت أحد عناصر النجاح . فقد كانت المرأة في فيتنام متفوقة على الرجال في مجال الارتباط . والمخادعة . فتمكنت من أن تنجح في أعمال التجسس أولاً . ومن اقناع بعض أفراد القطعات العسكرية الحكومية على الارتداد عن خدمة الحكومة ثانياً . أما أخيراً فانها كانت من أمهر السائقات التي قدمت خدمات أدارية كبيرة . أهمها نقل الذخيرة وتجهيزات المعركة الاخرى .

مما لا شك فيه ان الرجل أقوى من المرأة . ولذلك فيمكن أن يقوم بحمل أوزان كبيرة الا ان المرأة وهذا شيء مهم لديها القابلية العليا على التحمل ولذلك فكان شائعاً بدرجة كبيرة استخدام النساء في ادارة المواصلات ووحدات الاسناد . وقد وصف الخبير الامريكي دوكلاس بايك المرأة في فيتنام على اساس انها بقرة الثورة المنتجة .

لقد لعبت المرأة بالاضافة الى دورها العسكري دوراً آخر هو الدور السياسي . كما في الوثيقة التاريخية حول تأريخ الحركة والمطبوعة في (هانوي) ونصت الوثيقة على ما يلي :

ان المرأة قد لعبت بدور كبير في أعمال الاضطراب السياسي . وقد كان لها وعيها السياسي . واهتماماتها الخاصة بالاضافة الى تنظيماتها الخاصة . كل هذه الامور تقترن مع قابليتها القتالية والفنية . . لقد كانت المرأة بطلة وذكية وتمكنت من أن تجمع بين المقاومة العنيفة الخشنة ووداعة المرأة المعروفة .

انها كانت تشكل جيشاً حقيقياً مرهوباً من قبل الاعداء المدنيين والعسكريين على حد سواء . انها كانت بطلة عندما تمكنت من أن تمنع الاعداء من استخدام المدفعية وهي عزلاء . وعندما افترشت الطريق لتمنع تقدم أرتال الخصوم المدرعة ، وعندما جاءت بالمئات والالاف لتسيطر على البريد العسكري . وعندما كانت تحمل في يديها آلاف القتلىٰ من الاطفال الذين قتلهم العدو . وعندما كانت تواجه الرشاشات المعادية المصوبة الى صدرها ، من قبل رجال الشرطة وجنود الحكومة .

الجهود الساندة من الشمال

في منتصف عام ١٩٦٠ التصعيد العسكري للصراع بين الثوار وحكومة «سايكون» جعل الحرب تدور بالقرب من الحدود الشمالية لفيتنام الجنوبية . كما وصاحب ذلك زيادة حجم المشاركة الامريكية خلال هذا الصراع وذلك عقب العام ١٩٦٤ . وهذا مما حدىٰ بحكومة فيتنام الشمالية في هانوي أن تؤجل أهدافها ومشاريعها الداخلية . وان توظف جميع طاقاتها البشرية والاقتصادية . في مواجهة تصعيد الحرب ، ولدعم الثوار الفيتناميين الجنوبيين دعماً كاملاً ، اذ انها سابقاً كانت تدعمهم بشكل محدود .

في شتاء عام ١٩٦٤ أرسلت أول وحدة نظامية من جيش الشعب الفيتنامي الشمالي الى فيتنام الجنوبية . لكي تزيد من قوة القوات الثورية ولتحل محل الخسائر البشرية التي تكبدتها والتي تعتبر كبيرة الى حد ما ، وكذلك لكي تضيف بعداً جديداً الى معنويات الفيت كونغ .

لقد صاحب عمليات التعبئة الجماهيرية في فيتنام الشمالية من أجل المجهود الحربي صرخة آنية من قبل الشعب تقول :

«كل شيء من أجل الجبهة الجنوبية» ان دور المرأة في هذه الحرب قد ازداد أهميته وأصبح له مغزىٰ كبير ، حيث انه عندما تأسس الحكم الشيوعي في فيتنام الشمالية عام ١٩٥٤ شاركت المرأة بفعالية عالية في الحياة الاجتماعية هناك حيث ان نظام الحكم سواء كان في وقت السلم أو الحرب ، أعطىٰ لجميع المواطنين حقوقاً متساوية بين الرجل والمرأة . كما وحملهم نفس مسؤولية النضال ضد الغزاة ، وكل من ضمن موقع مسؤوليته .

ان القوانين الجديدة التي صدرت عام ١٩٦٠ التي أعطت حقوقاً متساوية للجميع دلت ان النظام كان جاداً ومخلصاً في تطبيقها بصورة فعلية في فيتنام الشمالية . في عام ١٩٥٩ صدر قانون الزواج والذي الغى بعض الممارسات التقليدية الرائجة . مثل زواج الاطفال واتخاذ محضيات من قبل الرجال وتعدد الزوجات . بالاضافة الى اعطاء الحق للمرأة أن يكون لها ممتلكات خاصة .

أما في مجال الثقافة والتعليم فقد أصبحت هناك فرص كبيرة للمرأة للتعلم وأخذت الحكومة على عاتقها مهنة التعليم الشامل لكل الشعب .

ولزيادة الفعاليات والانشطة الفنية . فقد تجندت المرأة من تلقاء نفسها في الكثير من المجالات وأهمها مجال الطب والتمريض . والثقافة والتعليم . بالاضافة الى المجالات الصناعية الاخرى .

لقد بدأت المرأة تتحرك الى مناصب ادارية وذات أهمية خاصة . والاكثر من هذا . انها أخذت تنتخب للمجالس الشعبية وفي جميع الاصعدة الحكومية الادارية .

ان المرأة في العام ١٩٥٤ كانت تكون نسبة قدرها «٣٪» في الانتخابات الرسمية التي جرت في ذلك العام بينما نجدها بعد عشر سنين من هذا التأريخ تشكل الاغلبية بصورة تقريبية .

ان العمل من اجل تسريع المجهود الحربي وشده زاد من مسؤوليات المرأة . ففي شهر مارت من عام ١٩٦٥ . عندما حاولت الولايات المتحدة الامريكية تشديد القصف على فيتنام الشمالية . كان الرد الحكومي الفيتنامي الشمالي على ذلك هو اعلان التعبئة العامة من أجل استثمار المجهود الحربي بطاقة قصوى . ولهذا فقد دعيت المرأة لتقوم بتحمل ثلاثة أعباء تنط بها هذه المرحلة وهي :

- ان تحل محل الرجل في مختلف فروع الفعاليات الصناعية والزراعية لاجل زيادة الانتاج .
- ان تقوم بتدبير أمور المنزل وفق هذه الظروف .
- ان تدافع عن الوطن الام وأن تشترك في المعركة بصورة مباشرة اذا كان ذلك ضرورياً .

ان القادة في الشمال ومشابهاً الى القادة في الجنوب الفيتنامي أرادوا للمرأة أن تدعم المجهود الحربي بشكل غير محدود كما وارادوا أن يتحمل الجنسان مسؤولية مشتركة . لذلك أكدوا على دور المرأة ومجال عملها حيث حبذوا أن يكون ذلك في أعمال الاسناد الاداري . مفضلين ذلك على القتال المباشر . لقد استخدمت بعض النساء المجندات الصغيرات في السن والعازبات في مجال الطبابة والتمريض ضمن الوحدات المقاتلة . وكذلك في تنظيم خاص بهن هو «صنف

الطبابة» أو «صنف الارتباط» . أو وحدات ابطال مفعول القنابر غير المنفلقة .

ان السياسة العامة كانت على العموم لا تشجع أن تأخذ المرأة دوراً في القتال المباشر . ان ماذهبنا اليه لا يعني ان المرأة كانت محضورة كلياً من القتال والعمل في المجالات المدنية فقط . حيث انها دعيت للقيام بأعمال قتالية في مجال الدفاع المدني . ان الرجال كانوا دائماً مطلوبين في خطوط المواجهة . ولذلك فقد قامت المرأة بتعويضهم والعمل في بطريات مقاومة الطائرات . أو في فرق ابطال مفعول القنابل . وفي فرق التفتيش عن الطيارين الامريكان الذين يسقطون بمضلاتهم والقاء القبض عليهم . هذا بالاضافة الى ان المرأة وعلى وجه العموم . كانت ضمن المليشيات المسلحة للدفاع عن القرىٰ والتي تشكل في المجموع نسبة عالية منها .

في القرىٰ معظم الذكور استدعوا للذهاب الى الحرب . ولذلك فقد شكلت المرأة نسبة كبيرة في وحدات الدفاع عن القرىٰ وكانت نسبة حضورها هي «٣٠٪» ان من أبسط الاشياء المألوفة والتي يمكن أن يراها الغرباء وهم يسافرون عبر المناطق الريفية الفيتنامية هو ان النساء العاملات في الحقول يحملن البنادق المتدلية من اكتافهن خلال العمل .

ان تعبئة واستخدام المرأة للقيام بالاعمال المشابهه للفعاليات العسكريةوصلت الى حد يثير الاعجاب . كما تحدثت عنها تقارير الزوار الذين قاموا بزيارة فيتنام الشمالية . بالاضافة الى ما تحدثت به الصحافة الصادرة هناك . ان الوحدات النسائية حصلت على شرف جماهيري كبير عندما تمكنت من أن تقوم باسقاط الطائرات الامريكية المغيرة على فيتنام وأسر طياريها وجلبهم الى وحدات الاسرىٰ .

ان المعركة المحتدمة والتي تتنافس فيها جيوش مختلفة جعلت المرأة في فيتنام الشمالية تحذو حذو المرأة في فيتنام الجنوبية والتي كانت تشكل من وجهة نظرنا أمرأة بطلة تدافع عن الوطن الام مضحية في كل شئ من أجل النصر .

ان كل التقارير . كانت تشير وبنوع من الاعجاب الى هذا النوع من النجاح فقد زار «هاريسون سالزبوري» مراسل مجلة «النيويورك تايمز» فيتنام الشمالية في شتاء عام ١٩٦٦ - ١٩٦٧ . وقد شاهد ان احدىٰ النساء العاملات في الفندق الذي يسكنه تنطلق وبيدها البندقية . وهي جاهزة الى الاطلاق . الى سطح الفندق بعد سماعها صافرة الانذار .

بجانب الفعاليات العسكرية وشبه العسكرية . كان هناك دور للمرأة في زيادة الانتاج . بعد رحيل معظم الرجال والتحاقهم بالجبهة .

ان ما تتطلبه الحرب من طاقات صناعية جعل المرأة تتزايد . في مراكز الانتاج . وخاصة في مجال الصناعات الخفيفة . وهذا مما حتم عليهن أن يتحركن وبزيادة مضطردة الى المواقع الاختصاصية . وفقاً الى بعض الارقام الحكومية . التي صدرت في عام ١٩٧١ فان المرأة كانت مسؤولة عن نسبة «٣٨٪» من مجموع الانتاج الصناعي . وهذا الرقم يختلف عن رقم السنين العشر التي سبقتها حيث ان المشاركة كانت بنسبة «٣٤٪» .

هناك أرقام أخرىٰ لمشاركة المرأة . حيث انها كانت تشكل نسبة قدرها ((٢٦٪)) من العمال المهرة . و ((٢٠٪)) من مجموع الاطباء . و ((٦٥٪)) من مجموع مساعدي الصيادلة .

ان التغييرات قد انعكست في مجال التعليم . ففي أواخر عام ١٩٦٠ كان هناك نسبة قدرها ((٢٨٪)) من النساء اللواتي يحملن شهادات مدرسية عالية في فيتنام الشمالية . ونسبة قدرها ((١٢٪)) من اللواتي تخرجن من الكليات . هذا مع العلم ان نسبة قدرها ((٣٠٪)) من المجموع العام لطلاب الجامعات كانت من النساء .

ان تطورات كبيرة نحو التقدم . ومشابهاً لما حدث في المدن قد حدثت في الارياف . ففي الحقول ابتدأت المرأة في ولوج دائرة المسؤوليات الادارية . لتطبيق الاهداف الزراعية والتي كانت في السابق مقصورة علىٰ الرجال .

ان الارقام التي أعطاها الينا النظام القائم هناك تنص علىٰ انه في أواخر عام ١٩٦٠ كانت المرأة مسؤولة علىٰ مايزيد عن نسبة ((٧٠٪)) من جميع الانتاج الزراعي . وكان يصحب هذه الزيادة زيادة في المسؤوليات الادارية حيث ان ثلاثة أرباع أعضاء المجالس الشعبية القروية كان من النساء عند حلول عام ١٩٧٠ . والاكثر من هذا هو وجود ست وستين امرأة في المجلس الوطني التشريعي لعموم البلاد . وهذا الرقم يختلف عن الرقم الموجود في عام ١٩٤٦ كثيراً حيث كانت عشر نساء فقط .

تصعيد الحرب في الجنوب

بعد عام ١٩٦٣ أخذ التصعيد الحربي حيزاً كبيراً لدىٰ الجانبين وان أعمال قتال العصابات ستعيض عنه بالقتال التقليدي علىٰ أوسع نطاق .

لقد أخذ جيش الشعب الفيتنامي دوراً كبيراً في الاعمال القتالية . كما وان تعبئة قتال العصابات قد صرف النظر عنه الىٰ حين . بالاضافة الىٰ صرف النظر عن التمرد السياسي ايضاً . غير انه بحلول عام ١٩٦٧ بدا واضحاً ان هذا النوع من القتال والذي يتطلب المواجهة

التامة مع قوات الولايات المتحدة الامريكية لايمكن الركون اليه لانه مكلف للغاية وعديم الجدوىٰ . وهذا مما حدىٰ بالقيادة الىٰ محاولة ايجاد صيغة جديدة للقتال . وهذه الطريقة هي الجمع بين القتال التقليدي وحرب العصابات .

ان هذه التعبئة تعني وجوب وجود شعبية في المناطق الريفية والمدنية علىٰ حد سواء تقوم بهجمات محدودة . مع هجمات تقليدية . تقوم بها القوات النظامية .

في الهجوم المدعو هجوم ((تيت)) والذي بدأ في أوائل عام ١٩٦٨ فان قيادة جيش التحرير الفيتنامي قد عادت الى تخطيطها السابق وذلك بالهجمات الكبيرة المركزه علىٰ المدن والاقضية والقرىٰ في كل أجزاء فيتنام الجنوبية . الا اننا يجب أن نذكر في هذا المجال . ان جيش التحرير الفيتنامي قد ضعف كثيراً . وذلك للخسائر الجسيمة التي مني بها . ولانحسار موجة التطوع .

ان انحسار موجة التطوع ربما تعطينا تعليلاً للاوامر الصادرة من قبل القيادة العليا الىٰ قيادات المناطق والقاضية بزيادة مشاركة المرأة في وحدات العصابات الىٰ نسبة قدرها ((٥٠٪)) في الاراضي المنخفضة . و ((١٢٪)) في المناطق التي يشكل بها الحزب أقلية .

لقد كان هناك تشديد علىٰ تطوع المرأة لكي تقوم باحتلال أماكن الرجال في المواقع غير القتالية في جيش التحرير وبهذا تعطي الفرصة الىٰ هؤلاء للاشتراك في المعارك المباشرة .

في المستويات المحلية كانت المرأة في القرىٰ تقوم ببعض الاعمال تحت اشراف الجبهة الوطنية للتحرير . ومن أهم هذه الاعمال . هو ان كل امرأة مسؤولة يجب أن تؤسس فصيلاً نسائياً من العاملات المدنيات لجمع وتأمين الطعام للمقاتلين . ومعالجة جرحىٰ الحرب والقيام بفعاليات الارتباط . النساء ارسلن ضمن الفرق الاعلامية في المناطق التي تسيطر عليها الحكومة الفيتنامية الجنوبية . لكي تقوم ببث الاشاعات المعادية في الاسواق . ومن ثم تحريض الاخرين وزرع عدم الثقة في قلوبهم . وتوليد الامتعاض من الحكومة القائمة في ((سايكون)) .

نعود مرة أخرىٰ للحديث عن التعرض المدعو تعرض ((تيت)) والذي حدث في أوائل عام ١٩٦٨ . مصحوباً بانتفاضه شاملة وهجمات مسلحة علىٰ معظم المدن الرئيسة في فيتنام الجنوبية .

لقد كانت القطعات العسكرية وشبه العسكرية المهيأه لهذا العمل بحدود ((٧٠٫٠٠٠)) شخص والموالية تماماً للثورة . وكان من ضمن هذه القطعات بعض الوحدات التي عملت طويلاً وبشكل سري مقنع في المناطق التي تسيطر عليها الحكومة . وعلىٰ أية حال . فقد كان هناك عدد معقول من النساء اللواتي شاركن في الهجمات علىٰ المواقع الحكومية .

هذا ومن الجدير بالذكر أن نبين ان قضية مشهورة بهذا الصدد وهي وجود حضيرة متكونه من النساء الانصار تمكنت ان تقاتل القطعات الامريكية وتمنعها من التقدم لعدة أيام . بغية اعادة السيطرة على مدينة ((سايكون)) وقد كانت هذه الحضيرة متكونة من أحدى عشرة امرأة . أكبرهن في سن التاسع عشرة .

وفق المذكرات الفيتنامية التي يمكن أن نشك فيها فان هذه الحضيرة تمكنت من قتل ((١٢٠)) جندياً أمريكياً .

ان هجوم ((تيت)) كان نوعاً من الظلال المؤقت . ومع هذا فلم تظهر أية علامة تشير الى خفض حدة الحرب التقليدية في الصراع الفيتنامي وعلى أية حال فان حكومة هانوي عادت مرة أخرى للمارسة قتال العصابات بعد هذا التعرض . حيث أدرك القادة وأعترفوا بان النصر لايمكن أن يأتي من حروب العصابات . وان النصر الاكيد يكمن في الحرب التقليدية الكتلوية من قبل القوات المسلحة . وعبر ميادين المعارك .

في هجوم عام جرى عام ١٩٧٦ والذي دعى ((هجوم عيد الفصح)) . والهجوم الذي سبقه في عام ١٩٧٥ والذي دعى ((معركة هوشي منه)) كانت القوات المشتركة في القتال الفعلي هي القوات النظامية .

حتى في نهاية الصراع . وعندما دخلت القوات المسلحة مدينة ((سايكون)) عاصمة فيتنام الجنوبية والمدن الرئيسة الاخرى وهي تحمل راية الانتصار فان دور وحدات العصابات والوحدات الاخرى المشابهة للوحدات العسكرية كان دوراً ثانوياً .

لقد لعبت الحرب الشعبية بدور مهم في المراحل الاولية من الصراع الا ان هذا الدور بدأ يتضاءل شيئاً فشيئاً وأصبح يشكل أمراً غير معقول في أذهان قادة الحزب والجيش والمهتمين بالتأريخ في مدينة هانوي عاصمة فيتنام الشمالية .

ان دور المرأة في النهاية وخلال هذا الصراع الكبير كان دوراً له شأن كبير على مجمل الحركة .

لقد كانت مساهمة المرأة نافعة في القوات المسلحة في المستويات الصغيرة كما وانها كانت نافعة في المجالات شبه العسكرية والفعاليات المدنية . ولكن ولاسباب متعددة . لم تكن هذه الادوار متكاملة وانما اقتصرت على واجبات معينة .

قد يعود سبب مشاركة المرأة بالقتال المباشر بصورة محدودة الى الوضع الجسمي للمرأة . ومشاعرها العاطفية .

استنتاجات

في مجتمعات قليلة لعبت المرأة دور بارز في القضايا الوطنية ومن هذه المجتمعات المجتمع الفيتنامي الحديث .

لقد كان هناك مشاركة فاعلة للمرأة الفيتنامية في مجمل المجهود الحربي وكانت عليها واجبات مساوية لواجبات الرجل في الجبهة الوطنية . بالاضافة الى انها لعبت بدور كبير وكانت أحد أعمدة بناء المجتمع الحديث من الناحية التقنية ومن أجل التقدم الاشتراكي الفيتنامي . كم هو دقيق تصورنا حول الموضوع ؟

هل المرأة حصلت على مساواة حقيقية مع الرجل . في مجتمع لايزال حتىٰ الان يحكم من قبل الرجال ؟ .

ان الجواب علىٰ ذلك هو ان المرأة وفي الحقيقة المطلقة قد لعبت بدور فاعل وانها كما ذكرنا كانت تعتبر احتياطي للرجال .

ان فرصها للتعليم في عام ١٩٨٠ ، كانت فرصاً متساوية مع الفرص المتاحة للرجال .

في المعامل ، والدوائر ، والحقول الانتاجية ، والمدارس حلت المرأة بثقة فيها . وتمكنت من ادراتها بكامل المسؤولية بحيث كان ذلك في مجتمعها وقبل جيل من الزمن غير معقول .

لقد أصبحت المرأة فعالة ونشطة في الجهاز الحكومي . وخاصة في المستويات الصغيرة . بالاضافة الىٰ انها بدأت تظهر كمعاونه في بعض الوزرات والمجلس الوطني .

اذا كان حكام ((هانوي)) مخلصين في أفكارهم القاضية بتوسيع دور المرأة واعطائها حقوقها ، فاننا نعتقد ان هناك مجالاً واسعاً لعملية التطوير والتحسين .

ربما لاتوجد في أيه منطقة من مناطق فيتنام أو أي مجتمع ، أمور تجعل المرأة غائبة . حيث ان حضورها كان دائماً ، الا انه من المنطقي ان نذكر ان وجودها في المستويات الحكومية العليا لايزال قليلاً ومع ذلك فان نسبة الفعاليات النسائية في اللجان المحلية . وحتىٰ في المجلس الوطني كبيرة وهي نسبة قد أرتفعت بصورة ملحوظة عن السابق ، وهذا شئ يمكن أن يعوض عن غيابها في القيادة الحزبية مع استثناء ((نيكوين دين)) والتي كانت تشغل منصب وزير خارجية في حكومة الجمهورية الفيتنامية التقليدية . فلاتوجد أية امرأة شغلت هذا المنصب في أية حكومة فيتنامية ومنذ العام ١٩٤٥ .

ان غياب المرأة في القيادة المركزية للحزب يبدو واضحاً خلال جميع الفترات . وهذه القيادة التي تعتبر مصدر السلطة الحقيقية في البلاد يبدو أنها لاتضم أي عنصر نسائي . مع العلم ان المرأة شغلت ثلاثة مراكز بديلة في اللجنة المركزية التي تضم أربعا وسبعين عضوا . وفي

ـيت محافظة على صيغتها الرجالية .

في المؤتمر الرابع للحزب والذي عقد مؤخراً في العام ١٩٧٦ . جرى توسيع في عضوية المرأة في المجلس الوطني وأصبح عدد العضوات خمسة أعضاء . قد يكون هناك صعود أو نزول في عدد النساء اللواتي سيشغلن بعض المراكز القيادية . ومع هذا فان المرأة يمكن أن تبرز بصورة أفضل فيما اذا تمكنت من ازاحة جيل الحرب من القيادة . والذي تسعى حكومة سايكون أن يكون سيد الموقف في المجتمع والحزب . وذلك للابقاء على التلاحم الفكري الموحد . ان متوسط أعمار أعضاء اللجنة المركزية في عام ١٩٧٣ عموماً كان بحدود منتصف الستينيات ولذلك فان هذا يدل على انه ستكون هناك حركة انتعاش جديدة في صفوف اللجنة المركزية . وان دور المرأة وعضويتها ستكون أكبر . حيث ان القادة المسنين الان في دورهم الى الضمور وستكون هناك وجوه جديدة نسبة معقولة منها أوجه نسائية . بجانب الاهداف المعلنه من قبل نظام الحكم في فيتنام والمتضمنة الشعور بالاعتزاز حول الانجازات التي تمت هذه الاهداف وخاصة في المجال النسوي . وحقوق المرأة فاننا نعتقد ان لهم الحق في هذا الاعتزاز الا اننا من جانب آخر نعتقد ان ليس جميع المظالم التي كانت تحيق بالمرأة سابقاً قد استئصلت وانها لاتزال تعاني من بعض الامور وعدم استقرارية وثبوت أمور أخرى . وهذا ناجم عن بقايا العقليات القديمة والمتفشية في بعض الاوساط الفيتنامية وان المرأة لازالت في مجابهة تامة نحو حقوقها الكاملة . وخاصة المرأة التي تنتمي الى القرى والارياف المعزوله . وعلى أية حالة فان الاوساط الحزبية وفي الكثير من المناسبات تعلن دور المرأة . ومساواتها في الحقوق مع الرجل .

هناك نقطة يجب أن تبقى في الذاكرة . وهي ان قضية تحرر المرأة في فيتنام الديمقراطية الشعبية قد أخذت أبعادها العملية ضمن المجتمع المنظم بصورة عالية . وان كل الطاقات مهما كانت يجب أن تسخر لبناء المجتمع وسد احتياجاته وهذا ماعبرت عنه القيادة السياسية للحزب .

المرأة في فيتنام مثل اية مجموعة . في المجتمع تقيم وفق ماتقوم به من اسهامات لتحقيق الاهداف التي تنادي بها الدولة))

ومع هذا فقد تمكنت المرأة الفيتنامية من الحصول على العديد من المكتسبات الشرعية وتجاوز المصاعب الادبية التي كانت تعرقل مسيرتها في السابق . وكذلك من أن تلعب بالادوار التي كانت مقصورة على الرجال . مع حصولها على الحرية بحيث بدأت تنادي بأهدافها الشخصية والتعبير عن آرائها ووجهات نظرها في مجتمع مفتوح وبذلك فهي بحق تعتبر مواطنة مثل أي مواطن آخر في المجتمعات الديمقراطية .

الفصل السادس

الجزائر

الحرب ضد الاستعمار

بقلم

جميلة عمران

الفصل السادس

الجزائر الحرب ضد الاستعمار

بقلم

جميلة عمران

تمهيد

الجزائر كانت احدى اواخر المستعمرات الافريقية التي نالت على استقلالها مؤخراً ، وقد حصلت عليه في العام ١٩٦٢ . في نهاية اطول صراع ضد الاستعمار .

ان تشبث واصرار الفرنسيين على بقاء واستمرارية هيمنتهم الاستعمارية على الجزائر يمكن ان يعود الى ثراء هذه الارض ، وخصوصاً النفط ، والاحتياطي الضخم منه ، بالاضافة الى الغاز الطبيعي المتواجد في الصحراء . وكانت النظرة الفرنسية تعتبر هذا البلد مستوطنة تابعة لها . لوجود الكثير من الفرنسيين هناك .

كان هناك شعبان مختلفان كلياً يعيشان جنباً الى جنب مع بعضهم فهم يختلفون اقتصادياً ، ويختلفون من ناحية طريقة الحياة ثانيا . الناس الذين ينتمون الى اصل اوربي تدعمهم القوة بينما الشعب العربي المسلم هناك بدون دعم .

ان السكان في عام ١٩٥٤ كان من ضمنهم «٩٨٤ر٠٠٠» فرد اوربي وهذا يمثل اكثر بقليل من نسبة واحد من تسعة من المجموع العام للسكان .

ان هؤلاء كانوا اكثر الناس ثراءً ، وهم يمتلكون نسبة «٦٦٪» من الانتاج الزراعي ، ونسبة «٧٥٪» من الانتاج الصناعي ، كما وانهم بالاضافة الى ذلك يهيمنون على جميع المراكز الادارية ، والوظائف الفنية ، ومن الجدير بالذكر ان نبين ان نسبة «٩٣٪» من الوظائف كانت تخص الفرنسيون .

ان الشعب الجزائري كان يكون نسبة قدرها «٩٠٪» من مجموع السكان ويبلغ تعداد نفوسه «٨ر٤٥٠ر٠٠٠» شخص ، وهؤلاء كانوا يعيشون على الزراعة الاعتيادية ، في المناطق الملاصقة للجبال ، والاراضي المرتفعة تاركين الاراضي الخصبة المنخفضة الى المستوطنين الاوربيين .

ان هذا الاستيطان كان من نتيجته عدم التكافؤ الاقتصادي بين المجموعتين ، وهذا مانجم عنه تخلف كبير للسكان الاصليين ، وقد حدثت زيادة كبيرة في عدد السكان الجزائريين ، قدرت بنسبة «٥ر٢٨٪» من المجموع العام .

في عام ١٩٥٦ كان المعدل الاعتيادي لدخل الفلاح هو «٢٢٫٠٠٠» فرنك قديم . هذا بجانب التقديرات الخاصة بالعاطلين عن العمل والتي كانت بحدود مليون شخص . وهذا العدد يشكل نصف عدد الذكور في سن العمل .

كانت الامية تسيطر على نسبة قدرها «٩٠٪» من المجموع العام . وهذا يشمل جميع الشعب تقريباً حيث ان المناهج التعليمية لم تتطور الا قليلاً . وهذا مما جعل نسبة «١٤٪» من الاطفال الخاضعين للدراسة الابتدائية يلتحقون بهذه المدارس فقط . اما اذا عدنا الى الدراسة الجامعية فسنجد ان عدد الدارسين هو «٥٨٩» شخصاً فقط في العام ١٩٥٤ .

ان الفوارق بين المجتمعين . الاوربي والجزائري كان واضحاً من خلال التعليم حيث ان المجتمع الاوربي كان مجتمعاً متعلماً مثقفاً بينما نجد الجانب الجزائري فطرياً متخلفاً جاهلاً غير متعلم .

لقد انعكست كل هذه الامور على الحياة السياسية في البلاد . الجزائر عرفت على اساس انها جزء لايتجزأ من الجمهورية الفرنسية وهذا يعني انكار وجود اي شكل للشعور القومي والمواطنة . الا ان هذا لم يمنع الحكومة الفرنسية من ان تعطي استقلالاً اقتصادياً لهذا البلد . وكان هذا الاستقلال الذاتي يمارس عبر مجلس يدعىٰ المجلس الجزائري .

ان الانتخاب لهذا المجلس واحكامها هو مثال جيد على عدم تكافؤ الفرص بين الشعبين الذين يعيشان في الجزائر ، فهم يصنفون الى نوعين مختلفين يكون الاصل الذي انحدروا منه هو الاساس ،

ان المجلس الاول يتكون من «٦٠» عضواً من الفرنسيين ويجري انتخابهم من قبل الاوربيين القاطنين هناك والذين يمثلون الرجال والنساء ، مع نسبة ضئيلة منتخبة من الجزائريين تقدر بـ «٥٨٫٠٠٠» شخص من مجموع عام قدره «٥٠٠٫٠٠٠» شخص . كما وان هناك «٦٠» عضواً في المجلس الثاني ، وهذا المجلس يمثل الجزائريين والذي يدعوه «الفرنسيين المسلمين وهؤلاء يجري انتخابهم من قبل «١٫٣٠٠٫٠٠٠» من الناخبين هذا علماً ان النساء كان لايحق لهن الانتخاب .

ان الجزائر اصبحت مستعمرة فرنسية في القرن التاسع عشر . وعلىٰ اية حال فان المقاومة للاستعمار الفرنسي كانت منذ بدايته في العام ١٨٤٠ . حركة المقاومة كانت موجودة وبقيادة الامير «عبد الاخضر» . وقد كانت هذه الحركة على شكل مجموعات مسلحة صغيرة تقوم باعمال الثورة والتمرد .

في عام ١٩٢٦ أسس حزب «نجمة شمال افريقيا» . وهو حزب وطني بقيادة «فرالي حاج» . وقد طالب هذا الحزب بالاستقلال الوطني وقاد عمليات مقاومة من اجل الحصول على هذه الغاية .

لقد طالب الحزب ايضاً بالاصلاح الاجتماعي . ان هذا الحزب كان يعتبر حزباً غير قانوني وغير مصرح له من قبل السلطات . الا ان هذا الحزب وفي عام ١٩٣٧ قد اصبح يسمى «حزب الشعب الجزائري» مبدلاً اسمه من حزب «نجمة افريقيا الشمالية» .

ان البعض حاول ان يحسن احوال الجزائريين بواسطة حركات شعبية وبصيغة شرعية . ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل ، وذلك لمعارضة الاكثرية الفرنسية لها . ولذلك لم تكن هناك اية اصلاحات تذكر ، للمواطنين الجزائريين في عام ١٩٤٥ في نهاية الحرب العالمية الثانية . والتي سقط خلالها بعض القتلى من الجزائريين في ساحة القتال دفاعاً عن فرنسا . معتقدين ان هذا العمل ربما سيوصلهم الى مفاوضات مع الجانب الفرنسي من اجل الحصول على الاستقلال ، وقد صاحب بذلك تجمعات جماهيرية حاشدة مسالمة تدعو الى الاستقلال . غير ان هذه الحركة الجماهيرية قد اخمدت بالقوة وخاصة تلك التجمعات التي حدثت في كل من «ستيف» و «جيلي» وكان ذلك في الثامن من مايس العام المذكور . والذي انتهى بوقف اطلاق النار في الحرب العالمية الثانية .

ان حوادث الثاني من مايس هي التي قادت وحثت وهيأت لحرب ١٩٥٤ . ان حرب التحرير الشعبية الجزائرية والتي خاضها الجزائريون ضد الاستعمار الفرنسي . تعتبر من اقسى واطول الحروب الخاصة بمقاومة الاستعمار .

في شهر تشرين الاول عام ١٩٥٤ وحتى تموز عام ١٩٦٢ . ولمدة سبع سنين ونصف سنة تقريباً . حاولت الحكومة الفرنسية وعبر قواتها ان تقضي على هذه الحركة التحررية . مستخدمة كل طاقاتها بما فيها القوات المسلحة والذي بلغ تعدادها اول الامر «١٢٠٫٠٠٠» شخص في العام ١٩٥٤ وارتفع الى «٤٠٠٫٠٠٠» في العام ١٩٥٦ والمزود باحدث التجهيزات الاسلحة والمسند بالقوة الجوية الفرنسية .

لقد كان الجزائريون يقاتلون باسلوب قتال العصابات . والارهاب المدني داخل البلاد . والوسائل السياسية في المحيط الدولي .

ان تعبئة معظم شرائح المجتمع والسكان ، وخصوصاً النساء كانت اهم عناصر النجاح هذه الحركة المصممة على الاستقلال . لحد الان لاشيء يشير بصورة جلية الى هيئة النساء والادوار

التي قمن بها خلال حرب التحرير الجزائرية .

في عام ١٩٥٤ . من الوجهة العملية . كان لايسمح للنساء ان يعشن خارج منازلهن . كما وان نسبة «٢٠٪» منهن كن يمارسن اعمالاً ووظائف بالاضافة الى ان التوجه الى التعليم كان محدوداً فهن مشابهاً الى كل الجزائريين تقريباً . ومن الجدير بالذكر ان عدد الفتيات اللواتي كن يتلقين علوماً في الجامعة كان «٥٠٠» طالبة .

ان حق المرأة في الانتخاب كان غير معترف به من قبل السلطات . الاحزاب السياسية لاتوجد في صفوفها اية امرأة . اما المليشيات . وهذا هو الاسم المحلي للرجال الذين يقاتلون من اجل الاستقلال فكان لايوجد في صفوفهم اية امرأة ايضاً . غير ان ذلك كان في البداية حيث ـ هؤلاء الانصار كانوا هم قلة أول الامر .

ان معظم النساء الجزائريات كن يعشن في تقاليد مقدسة ، ونمط حياة اعتيادي الا اننا يجب ان نذكر ان قسماً من النساء اللواتي يسكن المدن كان بامكانهن مغادرة منازلهن ، الا ان النسبة الكبرى كانت محجبة . ان الحجاب بالنسبة للمرأة الريفية كان اقل نسبة من المدن وهذا ماتفرضه طبيعة المرأة عند ممارستها للزراعة بجانب الرجل . الا انها مهما كانت الامور كانت تقع خارج الاطر الاجتماعية ولها عالمها النسائي الخاص . هذا مع العلم انها كانت لاتخرج بصحبة اي رجل الا اذا كان هذا الرجل ينتمي الى عائلتها . غير ان هذه المرأة وخلال حرب التحرير الشعبية . تجاوزت الكثير من هذه المفاهيم التي تخص البناء الاجتماعي الجزائري . واخذت تقاتل جنباً الى جنب مع الرجل . مع تقديم الدعم والاسناد الكامل الى المقاتلين .

بعض البيانات العامة

لايزال من الصعوبة ان تعطي مستوىً معيناً لهذا البحث . او تقديم بيانات متكاملة حول اعداد المرأة المقاتلة ضمن تشكيلات المليشيات والفعاليات التي كانت تقوم بها .

ان هذا البحث . محاولة احصائية مستقاه من بعض التسجيلات الموجودة في اضابير بعض المحاربين القدماء . وهذا قد يبدو احصاءً تقريبياً غير علمي . كما وان القسم الاخر منها ، مستقىً من قبل شهود عيان . الا ان القسم الاكبر منها مستقىً من قبل وزارة الحرب ، والذي حتم علينا دراسة الكثير من الوثائق والتي يربو عددها على «١٠ر٩٤٩» مسجلة عليها الفعاليات النسائية ضمن قوات المليشيا .

ان النتيجة الابتدائية من التحليل والمناقشات لهذه الاضابير اعطتنا المؤشرات الى الواجبات التي كان يمارسها المقاتلون . وهذا سيكون حجر الاساس لبحثنا .

المليشيات القروية والمدنية

اذا ماتفحصنا وضعية المليشيات النسائية وفقاً الى انحدارهن القروي او المدني ، فسنجد ان المليشيات النسائية القادمة من المناطق القروية اكثر من تلك التي تنتمي الى المدن ، فمن مجموع «٨٧٩٦» امرأة تنتمي الى المليشيا ، والتي مجال فعالياتها محدود امكننا ان نعثر على البيانات التالية : «جدول رقم ١» ان نسبة تقدر بحوالي «٧٨٪» من هذه المليشيات النسائية كانت فعالة في المناطق القروية ، وقاتلت بصفة «ماكيوس» - «MAQUIS» وهذا مصطلح فرنسي يعني الافراد الذين ينتمون الى المقاومة السرية الجزائرية سواء كانت في القرىٰ ، او في المناطق الجبلية كما وانها كانت تقدم الدعم الاداري الى المقاتلين من الرجال .

ان نسبة تقدر بـ «٢٠٪» من النساء كانت فعالة في اعمال المدن ، واذا ماقمنا بترجمة هذه الاعداد الى معان تخص المدن والقرىٰ ، فسنجد ان سكان القرىٰ كانوا انشط من سكان المدن في مضمار حرب التحرير الجزائرية ، وهذا اذا ماوضع بصيغة اخرىٰ نستنتج ان التعداد السكاني في الريف كان اكثر من التعداد السكاني للمناطق المدنية .

في عام ١٩٥٤ كان التعداد السكاني للجزائريين الساكنين فعلاً في الجزائر يقدر بـ «٧٦٤٣٠٠٠» شخص ، حيث ان قسماً من الجزائريين كانوا يسكنون في الخارج سواء في فرنسا او في اي مكان آخر طلباً للعمل .

جدول رقم «١»

القطاع	حجم الوحدة الريفية او المدنية	عدد النساء المقاتلات	النسبة المئوية
ريفي	٣٠٠٠	٦٨٥٦	٧٧٫٩
مدني	٣٠٠١ - ٥٠٠٠	١٧٢	٢٠٫١
	٥٠٠١ - ١٠٠٠٠	٣١٤	(العدد المدني الكلي)
	١٠٠٠١ - ٢٠٠٠٠	٣٢٢	-
	٢٠٠٠١ - ٤٠٠٠٠	١٧٦	-
	٤٠٠٠١ - ٨٠٠٠٠	٢٨٣	-
	٨٠٠٠١ واكثر	٧٦٣	-
	العدد التقريبي ،	٨٧٩٦	١٠٠
	مكان الفعاليات غير المعروف	١٦٧٨	-
	نشاط خارج نطاق الجزائر	٤٧٥	-
	الكلي	١٠٩٤٦	-

ان عدداً قدره «١ر٣٩٧ر٠٠٠» شخص كانوا يسكنون في قرى صغيرة او في قصبة او مدن يزيد تعدادها السكاني على «٣ر٠٠٠» شخص ، وهذا يعني ان نسبة الناس الذين يقطنون في المناطق المبنية المتقدمة هي «١٨ر٤٪» . ان تقديرات العام ١٩٥٩ الخاصة بالسكان تبين لنا وجود نمو سكاني وهجره الى المدن حيث ان النسبة السابقة قد قفزت الى ((٢٢٠٦٪)) الا ان هذا لم يغير شيئاً بالنسبة الى المليشيات المنحدرة من المدن والتي بقيت «٢٠٪» على وجه العموم .

مستويات الاعمار

من الشائع ان حرب التحرير تحتاج الى العناصر الشابة ، الا ان جميع الجهود وفترات الغمر كانت مكرسة الى الفعاليات العسكرية ، وان المرأة من مختلف الاعمار كانت مهتمة ومشتبكة في الحرب التحررية الجزائرية .

ان الجدول الذي سندرجه لاحقاً قد وضع على أساس العمر ، وهذه الاعمار وضعت في الوقت الذي تباشر فيه المرأة فعاليات عسكرية في حركة التحرير . ان هذا الجدول يبين لنا ايضاً صورة

العمر	النسبة المئوية الشاملة	المدنيون	العسكريون
١٤ – ١٦	٧٤٪	١ر٥	١٩ر٣
١٧ – ١٩	١٢٥٪	٨ر٩	٣١ر٨
٢٠ – ٢٩	٢٨٢٪	٢٧ر١	٣٣ر٧
٣٠ – ٤٩	٤١٨٪	٤٧ر٣	١٣ر١
٥٠ فما فوق	١٠١٪	١١ر٦	٢ر١
المجموع	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠

جدول رقم «٢»

ان جميع الاعمار الواقعة بين الرابعة عشر والسبعين من العمر كانت مشمولة بالخدمة . الا ان الاعمار التي تقع بين الرابعة عشر والخمسين يبدو انها كانت تكون الاكثرية .

ان الجدول يبين لنا الاختلاف ايضاً بين الجانب المدني والعسكري. المليشيات النسوية المدنية اللائي اعمارهن اقل من عشرين عاماً هي نسبة عالية وتكون رقماً قدره «١٥٪» اما الاكثرية المطلقة وهي نسبة «٧٤٪» تأتي من الاعمار الواقعة بين العشرين والخمسين وان جميع هؤلاء تقريباً من المتزوجات .

ان نسبة قدرها «٦٨٫٣٪» من النساء الشابات يتزوجن في العشرين من العمر . اما نسبة «٨٩٫٣» فتشمل المتزوجات غير المتجاوزات الخامسة والعشرين من العمر ، ان الارقام المذكورة جاءت من احصائية جرت في العام ١٩٥٤ .

في عام ١٩٦٦ كانت نسبة المتزوجات في عمرالعشرين هي «٨٠٫٥٪» ، وتقفز هذه النسبة الى «٩٤٫٢٪» للنساء اللواتي لم يتجاوزن الخامسة والعشرين .

ان هذه الارقام تقودنا الى استنتاج مهم هو ان جميع المليشيات النسوية الواقعة اعمارهم بين العشرين والخمسين هن من المتزوجات واللائي لهن عوائل .

مغايراً الى ماذكر اعلاه فان المليشيات النسوية المرتبطة بالجهاز العسكري لجيش التحرير كن اصغر عمراً ، وعلى أية حال فأن نسبة قدرها «٨٤٪» من المليشيات بصورة عامة كانت اقل من الثلاثين ، اما النسبة التي قدرها «٥١٪» فهي تمثل المليشيات المدنية التي تقع اعمارها دون العشرين من الواضح اننا لايمكن ان ننكر هيئة العائلة الجزائرية حيث ان الفتيات غير المتزوجات كان بامكانهن ان ينسلخن بسهولة عن العائلة ويلتحقن في اعمال المقاومة السرية ، خلافاً للمتزوجات اللواتي تصادفهن بعض المصاعب من اجل الالتحاق .

ان الخوف من العنف المتأتي من قبل القطعات الفرنسية ، في بعض الاحيان ، سبب زيادة في الالتحاق الفتيات الصغيرات الى حركة المقاومة السرية ، وذلك بعد سماح عوائلهن بهذا الالتحاق .

ان الترابط بين الاعمار يبين النسبة الكلية من التعداد النسوي مع نسبة العاملات في فصائل المليشيا مشيراً الى ان هذه الفصائل وبصورة عامة تضم مختلف الاعمار .

جدول رقم «٣»

العمر	النسبة المئوية لكل مجموعة اعمار للتعداد الكلي للاناث	النسبة المئوية لكل مجموعة اعمار العدد الاجمالي للنساء المقاتلات
١٤ ـ ٢٠	٢٤٫٣٪	١٩٫٩٪
٢١ ـ ٣٠	٢٧٫٦٪	٢٨٫٢٪
٣١ ـ ٥٠	٣٢٫٣٪	٤١٫٧٪
٥١ فما فوق	١٥٫٨٪	١٠٫٢٪
المجموع	١٠٠٫٠	١٠٠٫٠

في الاعمار الكبيرة جداً . من الطبيعي ان نجد ان عدد النساء في فصائل المليشيا قليل جداً . اما الفتيات الصغيرات جداً اي في عمر العشرين وما دون وفي الاعمار خمسين فما فوق . فانهن يشكلن نسبة قدرها «٤١٫١٪» من التعداد الكلي للنساء العاملات في حركة التحرير . ان هذه النسبة تصبح «٣٠٫١٪» للعاملات في المليشيات المسلحة .

ان المجموعات بين الواحد والعشرين من العمر وحتى الثلاثين يمكن ان نقر بأنها كانت تشكل نسبة قدرها «٢٧٫٦٪» من التعداد الكلي للنساء وهذه النسبة تصبح «٢٨٫٢٪» بالنسبة للنساء العاملات في فصائل المليشيا . ومغايراً الى هذا فمن عمر الواحد والثلاثين الى الخمسين من العمر ، وهو العمر الذي تكون فيه الغالبية العظمى من النساء متزوجات وانجبن اطفالاً فان نسبة المرأة المنتمية الى المليشيات المسلحة هي نسبة قدرها «١٤٫٧٪» ، وهذا واضح بأنه اكثر من النسبة الكلية للنساء العاملات في المقاومة . وهذه النسبة هي «٢٣٫٣٪» من المجموع العام للسكان .

اذا مافحص الشخص فقط ونظر الى المليشيات المدنية فان العمر الواقع بين الواحد والثلاثين والخمسين سيجد ان النسبة هي «٤٧٫٣٪» من المجموع العام ، وهذا يمكن ان نعتبرها نصف الموجود من النساء . وهذا مايقودنا الى استنتاج هو ان النساء المتزوجات واللواتي انجبن

اطفالهن اكثر النساء تضحية من اجل القضية الجزائرية. وهذا يمكن ان يبين لنا بان النساء في قمة سن النضوج اكثر التصاقاً بالحياة السياسية ، ولكننا لاننكر ان هذا الالتصاق يمارس بطريقة زوجية .

ولذلك يمكن القول ان التنافس او الفعالية الشبابية لم تكن هي السبب الاساس في هذه المشاركة .

النساء وعمليات الكبح والاخماد

ان عمليات الكبح والاخماد مورست على النساء ، اعمال العنف استمرت ضدهن سواء في الريف او المدن .

لقد ضربت بعض النساء ، كما وجرى اغتصاب البعض الاخر ، بالاضافة الى تعذيبهن ، وحتى داخل بيوتهن بواسطة آلات التعذيب الكهربائية المحمولة .

اننا يمكن ان نتكلم ، عن اعداد النساء اللواتي جرى القاء القبض عليهن ومن ثم قتلهن .

من مجموع عام قدره «١٠٫٩٤٩» امرأة ، كان عدد النساء اللواتي جرى توقيفهن هو «١٫٣٤٣» امرأة منهن «٩٤٩» امرأة جرى قتلهن .

ان امرأة من كل خمس نساء في فصائل المليشيا عانت التعذيب او الموت .

جدول رقم «٤»

العمر	النسبة المئوية لكل المقاتلين	النسبة المئوية للموقوفين	النسبة المئوية للمقتولين
١٤ - ٢٤	٣٥٫٥٪	٣٦٫٣٠	٥٤٫٥
٢٥ - ٢٩	٥٤٫٥٪	٥٤٫٧٥	٣٨٫٨
٥٠ فما فوق	١٠٫٠	٨٫٩٥	٦٫٧
	ــــ	ــــ	ــــ
المجموع	١٠٠٫٠	١٠٠٫٠٠	١٠٫٠

ان تقييس الضحايا وفقاً للاعمار من النساء اللواتي جرى كبحهن واخمادهن يرنا وبصورة مأساوية مدى التضحيات التي جرت من قبل النساء في الاعمار الصغيرة ، حيث ان نسبة قدرها «٥٤٫٥٪» من هؤلاء النسوة قتلوا ، وهذه النسبة تبين انها اكثر من النصف ، هذا علماً

اننا اخترنا لهذا الاحصاء الاعمار النسائية دون الخامسة والعسرين ، وان نسبة هؤلاء من المجموع العام للمليشيات هي «٥ر٣٥٪» .

ان النساء الصغيرات كن متهيئات لتلبية كل الاحتياجات ، وحتىٰ لو كانت تكلفهم حياتهم ، ولذلك فانهن كن يعرضن حياتهن للخطر اكثر من النساء المتقدمات في السن .
ان النساء اللواتي جرىٰ توقيفهن كن عموماً من فصائل المليشيا ، وان اعمارهن على العموم تشابهة الى ماذكر اعلاه ، وعلىٰ اية حال ، فاننا نود ان نوضح بان اعمال القمع التي كان يمارسها الفرنسيون لاتفرق بين الاعمار حيث ان بعض الفتيات اللواتي جرىٰ تعذيبهن كن في عمر الخامسة عشر ، كما جرىٰ تعذيب النساء اللواتي يناهز عمرهن السبعين عاماً .

الادوار والوظائف

ان كل الوثائق تشير وتسجل الفعاليات الخاصة بالمليشيات خلال الحرب المناوئة للفرنسيين ، الا انها لاتعطينا معلومات مضبوطة حول نوع تلك الفعاليات والاشتباكات القتالية ، كما وانها تبرمج الفعاليات العسكرية والمدنية . من مجموعة قدرها «٩٤٩ر١٠» وثيقة راجعناها ، هناك «٢٧١ر٣» امرأة تحتوي على سيرة حياتهن منهن «٠٦٦ر٣» امرأة مدنية ، «٢٠٥» نساء عسكريات ، وهذا لم يعطنا اي انطباع حول الفعاليات العسكرية .

الجانب المدني

ان المليشيات في القاطع المدني المكرس لاعمال المقاومة يمكن ان يشخص لنا عدد التنظيمات المدنية التي ساهمت في جبهة التحرير الجزائرية والتي كان يدعوها الفرنسيون «اوسفلن» ـ «OCFLN» والتي عرفت على اساس انها تضم الاشخاص الذين لهم علاقة مباشرة الى تنظيم سياسي يدعىٰ (جبهة التحرير) الغرض منه القيام بالاعمال الفدائية وجمع الاموال والقيام باعمال الارتباط ، وتصحيح الاوضاع ، كما وانها تضم كل الاشخاص المتعاطفين معها ، والاشخاص الذين يشاركون في اعمال خاصة بالمناسبة .

وبهذا الشكل ، فأن المرأة التي تنتمي الى (جبهة التحرير الجزائرية) كانت تعتبر على اساس انها ضمن تنظيمات المليشيا والتي يتطلب منها ان تقوم بجميع الاعمال المارة الذكر ، والتي تمثل اساساً للمعارضة .
هناك مسؤوليات اخرىٰ غير الواردة سابقاً وهذه تتمثل بفعاليات المرأة في ادارة البيت ، واماكن الاختفاء ، واطعام المقاتلين ، وفي الحقيقة فان هذه الواجبات كانت تمثل نسبة قدرها «٦٤٪» من الفعاليات .

ان النساء المسؤولات عن المآوىٰ السرية للحركة ، وكذلك مخابئ المعركة كن يعملن على شكل مجموعات وقد تكون هذه المجموعة من افراد عائلة واحدة ، او من تركيبة مختلطة من الجيران .

كان على المرأة ان تحافظ على ممتلكات الحركة ايضاً ، ولهذا فان عدد النساء العاملات في الحركة ربما سيكون اكثر من الارقام الواردة في الجداول ، حيث ان جميع النساء تقريباً كن متعاطفات مع الحركة ويقمن باعمال الاطعام والامور الاخرىٰ .

ان المرأة كانت تأوىٰ افراد الجبهة المطاردين من قبل رجال الشرطة وتؤمن لهم الطعام سواء في المدينة او في القرىٰ .

كانت المرأة تعمل يوماً من اجل بيتها واليوم الاخر من اجل الحركة معرضة نفسها للخطر ، وقائمة باعمال بطولية عظيمة .

خلال العمليات الامنية التي كان يقوم بها الجنود الفرنسيون نجد ان المرأة الجزائرية قد عانت من المعاملة السيئة ، هذا علماً ان قسماً منهن اصابهن التعذيب والسجن .

أن الممرضات اللواتي كن يعملن في صفوف المليشيات تسجل لهن أعمالهن شجاعة نادرة وتضحية بالنفس . أن أحدىٰ الممرضات كانت طالبة مدرسة عمرها أربع عشر سنة ، مطاردة من قبل رجال الشرطة ، وقد التحقت هذه الفتاة بالخدمة الطبية لحركة المقاومة مفضلة ذلك على دراستها .

أن النساء المنتميات الى المناطق الريفية كان لديهن نضوج سياسي كبير أكثر من النساء المنتميات الى المدن ، وأن هذا ربما نجم عن شعورها بالخطر الدائم وذلك لتطويقها من قبل العدو ، وعلى أية حال فأنهن كن متحديات بهذا الوضع الخطر .

في أحدىٰ المرات قامت القطعات الفرنسية بعمليات عسكرية في المنطقة التي أسكنها وعندما عدت الى الدار ، وجدت أن الدار كان محروقاً وهذا جرىٰ لجميع دور القرية أيضاً .

وقد سألت بعض النساء في القرية كيف تم ذلك ، وهل ستبقين من دون مأوىٰ ، ومن دون أي شئ يذكر ، وقد أجابتني أحداهن : «أن أكواخنا قد أحرقت ودمرت ، وهذا لاضير فيه ، الا أننا غداً سوف نقوم ببناء أكواخ جديدة ، أن الشئ الأساس هو حصولنا على الأستقلال» .

عندما تكون هناك غارة على القرية كانت النساء ، يجدن وسيلة معينة للتسلل من القرية لجلب الطعام الى المقاتلين الذين يتركون بدورهم القرية ، وهذا الطعام كان على العموم لايشمل

جدول رقم ((٥))

الوظيفة	المدنيون العدد	المدنيون النسبة المئوية	العسكريون العدد	العسكريون النسبة المئوية	المجموع
تأمين المأوى والطعام	١ر٩٥٨	٦٣ر٩٪	٦	٢ر٩٪	١ر٩٦٤
الاتصال والتوجية	٦٧٧	٢٢ر١٪	—	—	٦٠٧
جامعات النقود والمواد الطبية والأسلحة	٢٨٦	٩ر٣٪	—	—	٢٨٦
الممرضات	٥٦	١ر٨٪	١٠١	٤٩ر٣٪	١٥٧
الطباخات والغسالات	—	—	٩١	٤٤ر٤٪	٩١
الارهابيون	٩٥	٢ر١٪	—	—	٦٥
الخياطات	١٩	٠ر٦٪	١	٠ر٥٪	٢٠
أمناء السر	٥	٠ر٢٪	٣	١ر٤٪	٨
المفوضين السياسيين	—	—	٢	١٪	٢
المقاتلين المسلحين	—	—	١	٠ر٥٪	—
	—	—	—	—	—
المجموع	٣ر٠٦٦	١٠٠ر٠	٢٠٥	١٠٠ر٠	٣٢٧١

الا على العسل ، أنه كان مجرد خبر ولكن مهما كانت الحالة فأن النساء كانوا يأتون بالطعام ، أما عند أنتهاء الغارة فأن النساء كن يساعدن في جمع الجرحىٰ ودفن الموتىٰ .

أمراة في مدرسة التمريض تلتحق بحركة المقاومة في سن العشرين تقول :

في منطقة «كبيلي» النساء كن شجاعات جداً وكان لايخيفهن أي شيْ .

عندما كان يعلن عن وجود غارة معادية كانوا يخلوننا الى خارج المنطقة ، قائلين لنا : «الله معكم» ، «أتركن المنطقة حالاً» و بعد ذلك يقمن بغسيل بقع «الملككروم» و ينثرن الفلفل والتوابل بغية منع كلاب العدو البوليسية من تعقيب المقاتلين . الا أننا في بعض الأحيان كنا نبقىٰ في القرية لإبسات الملابس المدنية .

لقد كان الجنود الفرنسيون يأخذون الرجال ، ويقومون بتدمير أي شيْ ويسيئون معاملة النساء ، وحتىٰ الأطفال في بعض الأحيان . يقومون بهذه الأعمال ولايقاطعهم أو يكلمهم أحد .

أن أعمال الدلالة والأرتباط ، على العموم هي أعمال مجتمعة مترابطة وكانت هذه الأعمال تشكل الأعمال التي تأتي بالدرجة الثانية من ناحية الأهمية كوظيفة من الوظائف العسكرية النسوية .

أن المرأة لاتثير الشكوك مثل الرجل ، ولذلك فقد كانت خير من يقوم بهذه الأعمال .

أن خير مانستشهد به في هذا المجال هو شهادة السيدة «آي ئكي» أسم رمزي ، والبالغة من العمر ثلاثاً وأربعين سنة ، وهي من المحاربات القديمات ، متزوجة ولديها طفلان ، وقد صورت الحالة بصورة جيدة وكما يلي :

«كنت أقوم بأعمال الأرتباط للمقاومة السرية متنقلة من قرية الى أخرىٰ . لقد كنت أحمل الرسائل وأقطع في بعض الأحيان مسافة تتراوح بين العشرين الى الثلاثين كيلو متراً ، سيراً على الأقدام وأعود في اليوم الثاني . كما كنت أقوم بالتسوق للمقاتلين وكان هذا يشمل السيكاير ، والجواريب والطعام ، وكنت أحمل جميع هذه الأشياء على رأسي .

في منطقتنا الريفية كان هناك مخبأ يقع بالقرب من الدار ، في أحد الأيام كانت هناك غارة معادية ، لقد علقوني في شجرة وضربوني وأستجوبوني حول أثنين من المقاتلين وممرضة ، ولم أتفوه شيئاً علماً أن هذين المقاتلين كانا مختبئين في المخبأ المذكور» .

أن بعض النساء الجزائريات يبدو منظرهن وكأنهن أوربيات كما وأن تصرفاتهن المقصودة ، وطريقة تفكيرهن لاتجعل الفرنسيين يصدقون أنهن جزائريات ، هذا علاوة على عدم تمكنهن

من التفريق بينهم وبين الأوربيين وهذا مما ساعد وسمح الى نساء جزائريات معينات من المرور بصورة تامة وغير مشكوكة من محل الى آخر . أن هؤلاء النسوة لعبن بدور مميز كبير في عملية الأرتباط والأتصال في حركة التحرير الجزائرية .

أن أحدىٰ هؤلاء هي «زت بي» أسم رمزي . في الثانية والعشرين طالبة كلية . وكانت تقوم بالأرتباط وإيصال المعلومات الى أحد قادة الولايات ضمن التشكيلات الحربية القائمة آنذاك . وقد أخبرتنا بما يلي :

«كنت على أتصال مباشر مع القائد العسكري للولاية . وكان لدىٰ واجبات دقيقة . وبسبب أنني كنت أنتمي الى العمل السري في المدنية فقد كنت أعيش مختفية . ولهذا فأنني لم أكن معروفة . وعلى أية حال فأنني كنت أعمل في مجال الأرتباط العسكري . بسبب مظهري الأوربي كنت أتمكن من أن أتجول بين الأوربيين من دون أن أثير أية شبهة . وبهذا فقد كنت حلقة الأتصال بين القائد العسكري للولاية ـ والمنظمات الأخرىٰ . هذا علماً أنني عملت كسكرتيرة لشهور عديدة كما وعشت معزولة لفترة في أحدىٰ الشقق ولوحدي» .

أن المرأة في مجال عمل الأستخبارات ، أو وكيلة أستخبارات كانت متأخرة . ومع هذا فأن النساء . والأطفال كانوا يقومون بأخبار الأشخاص الذين ينتمون الى حركة المقاومة عن تحركات العدو أولاً بأول . وبهذا فأن الجميع كانوا عبارة عن نقاط رصد .

أن مصطلح «الأستخبارات» قد ورد في سجلات بعض الأشخاص الذين ينتمون الى المليشيات والذين كانوا يقومون بأعمال الأرتباط أيضاً ولكن هذا المصطلح لم يعطنا دلالة كافية على المعنىٰ والعمل الذي يقومون به ، من معرفتي الشخصية ، هناك مثال وحيد على العمل الأستخباري والذي يخص أحدىٰ النساء التي كانت تعمل ضمن فصائل المليشيا . فقد أراد منها الجيش الفرنسي أن تصل حركة التحرير ، وقد تظاهرت هذه المرأة بالقبول ، مقتنعة بالعمل كعميلة مزدوجة . وهكذا نجد أن «زت زت» أسم رمزي التي كانت لاتمتهن أي عمل والبالغة من العمر أربعاً وعشرين عاماً ، وأم لخمسة أطفال تعمل بالصدفة كعميلة أستخبارية مزدوجة الوجه . خلال فترة خدمتها في حركة التحرير .

كانت تقدم خدمات تتعلق بأسكان الأرهابيين في المدينة وقد شك في أمرها والقي القبض عليها . خوفاً من تعبير بعض المعلومات الا أن سراحها أطلق بعد ذلك . أن هذه المرأة عملت كعميلة لفترة شهور قليلة ولكن القي القبض عليها مرة ثانية من قبل الفرنسيين ، وأدناه بعض أقوالها :

«لقد تركوني أذهب ولكن بعد أن جعلوني أعطيهم عهداً على أنني سأزودهم بالمعلومات التي أحصل عليها عن حركة التحرير والمقاتلين .

وبالأتفاق مع رئيسي المباشر في حركة التحرير ، تظاهرت بقبول العمل لصالحهه وهكذا كنت أذهب بصورة منتظمة الى المعسكرات ، وأحصل على معلومات عن حركة رجال الحركة المسجونين ، كما أطلعت على المخبرين المتعاونين مع السلطات الفرنسية ، وكان هذا شيئ مهم جداً ، حيث أنهم لم يكونوا معروفين سابقاً . لقد التمست الحصول على وثائق تنص على أنني أعمل من أجل الجيش الفرنسي ، وهذا مما جعل داري أميناً ، يمكن أن تستخدمه الحركة بكل أمانة لأنه كان والحالة هذه تحت الحماية الفرنسية ، الا أننا مع الأسف قد القي القبض علينا وسجنا بعد فترة» .

كانت الأعمال النسائية التي تخص جمع النقود ، وتجهيز حركة التحرير بالأدوية ، وفي بعض الأحيان إيصال الذخيرة الى قمم الجبال هي الأعمال الأكثر شيوعاً خلال الحرب . لقد كان عليها أن تنقل المواد المذكورة من المدن وتسللها الى قوات التحرير . كما وأن النساء اللواتي كن يقمن بعملية الجمع كن يسلمن هذه المواد الى أحدىٰ المسؤولات .

أن أفادة «كي كي ـ أسم رمزي» توضح لنا ذلك ، وهذه المرأة في الرابع والعشرين من العمر ، متزوجة ، وأم لطفلين ، تعمل في أحد المستشفيات . وأدناه بعض أقوالها :

«كنت أعمل في أحدىٰ المستشفيات العسكرية في الجزائر وكنت على علاقة مع حركة المقاومة في منطقة ، «أويد فورا» ، وهي مدينة صغيرة تبعد «٢٠٠٠» كم عن العاصمة ، وقد جلبت اليها تجهيزات طبية وكان معظم هذه المواد هي من المواد المضادة للحيوية .

كنت أقوم بفتح علبة السكر وأضع بدلاً من السكر هذه الأدوية ، وأقوم بتغليفها مرة ثانية بالسكر ، وأغلق العلبة ، كما تمكنت من سرقة بعض الذخيرة الحية وذلك بين طيات الخبز كنت أستقل القطار من والى «أودي فورا» مصحوبة بالسلة التي تحوي الـ السكر والخبز والمواد المخبأة وخضروات أخرىٰ . . . . وهكذا كان يجري العمل وكأنني ذاهبة في زيارة . في محطة قطار مدينة «أودي فورا» كنت أستقبل من بعض النساء العاملات في صفوف المليشيا ، بعد ذلك كنا نمتطي الحيوانات للذهاب الى معسكرات جيش التحرير الجزائري الذي يبعد بحدود ثلاثين كيلو متراً لقد سرقت حتىٰ بدلات عسكرية للمقاتلين .

أن بعض الفتيات الجزائريات اللواتي سوقن الى الخدمة في صفوف الجيش الفرنسي كن

يجلبن لي السلاح . أن النساء ساعدنني وعلى سبيل المثال فكانت هناك أمرأة تعمل في مقهى يرتاده العسكريون الفرنسيون تساعدني كثيراً .

أن الجنود الفرنسيين قاموا بتفتيشي لمرات عديدة ، ولكنهم لم يعثروا على أي شيئ ، وذلك لأنني علقت هذه الحاجات خارج القطار بواسطة جورب .

أن المسافرين الذين كانوا يجاورونني في القطار شكوا في أمري ولكنهم لم يقولوا شيئاً .

كان هناك القليل من الأعمال الخاصة التي تقوم بها المرأة وتقدر نسبة النساء المشتركات بهذه الأعمال «٢٪» وهي نسبة ضئيلة .

أن هذه الأعمال كانت تشمل على العمليات الأرهابية والتي لعبت فيها المرأة بدور يثير الاعجاب .

أن أهتمام الجمهور كان مشدوداً بالنساء وخصوصاً خلال المحاكمات . أن ستاً من هؤلاء النساء حكم عليهن بألاعدام ، ولكن أعفين منه .

أن أعمال الأرهاب هي أعمال تخص المدن ، وأن وجود الفتيات والنساء يعتبر أمراً مهماً له فوائد كثيرة ، هو أن المرأة لاتحوم حولها كثير من الشكوك ، ولذلك فأن تواجدهن هو أمر أساس للتغطية كما وساهمت المرأة في حمل السلاح والمقاومة في المدن ، بالأضافة الى أنها كانت تنقل الأسلحة لعمليات الأغتيال ، كما وأنها كانت تنفذ هذه العمليات بنفسها أحياناً .

القطاع العسكري

أن المليشيات العائدة لكلا الجنسين والخاصة بجيش التحرير الوطني كانت من الواضح تشكل نسبة أقل من المليشيات المدنية .

أن التسجيلات الوثائقية تشير الى نسبة قدرها «٣٨ر٩٪» من المجموع أما النسبة النسائية فكانت «١٩٪» من المجموع النسائي العام .

أن اللوائح الخاصة بالجندية تنص على مايلي :

١ . لكي يمكن تمييز الأشخاص العائدين لجيش التحرير الوطني الجزائري ، على الشخص أن يكون قد أنتمى لهذا الجيش قبل كانون الثاني من عام ١٩٦٢ .

٢ . أن يكون قد سجل في جيش التحرير كجندي في أحدى الوحدات أو كقائد لمجموعة سياسية أو هيئة ركن عسكرية ضمن الولايات أو المناطق ، أو القواطع أو القواطع الفرعية العسكرية . وكمقاتل في زي المعركة العسكري في بعض الوحدات السائدة الأخرى التي

تشمل على «الحرس ، التمريض ، الأستعلامات ، الأدارة ، المستودعات ، المواصلات ، الهندسة ، أو في الشؤون الدينية» .

٣ . لم يفر مطلقاً من صفوف جيش التحرير .

أن الأمور السابقة كانت تنطبق على الجندي النظامي الدائمي ، وهي تنطبق على المرأة الجندية ، هذه المرأة التي تركت بيتها ، وقلبها ، وعائلتها من أجل أن تنضم الى صفوف جيش التحرير . لقد لمسنا أن النساء اللواتي التحقن الى صفوف الجيش كن صغيرات السن ، وأن نسبة قدرها «٥١٪» من هؤلاء دون سن العشرين . وأن نسبة قدرها «٨٥٪» من هؤلاء دون الثلاثين .

أن وظائف ، وأعمال هؤلاء النساء مسجلة في وثائق ، الا أننا تمكنا من فحص «٢٠٥» قضية فقط ، وهذا الرقم يشكل نسبة قدرها «٧ر١١٪» من المجموع العام للنساء في جيش التحرير ، وعلى أية حال فأن هذا النموذج يصور لنا بصورة واضحة الفعاليات المحدودة للنساء في الأعمال القتالية .

أن عملين أساسيين كانا شبه محجوزين للنساء ويشكلان نسبة قدرها «٩٤٪» من فعاليتهن ، وهي التمريض ، والطبخ . أن الممرضات عموماً هن من الفتيات الشابات القادمات من المدن ، والمدارس الثانوية ، أو من الجامعات ، حيث يلتحقن في البداية بدورات تمريض ويتوزعن بعدها الى الوحدات الطبية في الجيش التحرير .

أن معظم الفتيات اللواتي جرىٰ تجنيدهن من قبل جيش التحرير الجزائري لحاجته الماسة الى خدماتهن الحيوية في المجال الطبي كن من الفتيات المطاردات من قبل أجهزة الشرطة في المدن .

مع أن أعداد هؤلاء الممرضات قليل الا أنهن لعبن بدور مهم في تقديم العون الطبي لجيش التحرير ، سواء كونهن ممرضات ، أو مساعدات أطباء ، وقد كانت النسوة بحق مضرب مثل لنكرانهن الذات ولحركتهن المستمرة خلال الحرب ، هذا علماً أنهن قد جلبن أعجاب القطاع المدني أيضاً .

في السنوات الأولىٰ من الحرب كانت الخدمات الطبية في جيش التحريرضعيفة جداً ، وهذا قد حدىٰ بالقيادة أن تناشد المرأة للعمل كممرضة ترعىٰ الجرحىٰ ، وقد أخذت بالألتحاق ، ولذلك فأن الخدمات الطبية النسوية في الجيش قد توسعت خلال أيام الحرب ، وأخذت الممرضة الجزائرية لاتهتم بالجرحىٰ من المقاتلين فقط وأنما شمل ذلك السكان المدنيين وخصوصاً النسله والأطفال .

أن «بي ، أو» أسم رمزي ، هي ممرضة التحقت في صفوف جيش التحرير في العشرين من العمر تحدثنا عن تجربتها قائلة .

«في اليوم الذي نكون فيه بين المواطنين المدنيين ، كنا نرعاهم رعاية طبية ، وخصوصاً النساء والأطفال ، وكنا نقدم لهم النصائح في الأمور التي تخص الأمومة والعناية بالطفل وفوائد الأرضاع وأمور أخرى .

أما في الليل فكنا نذهب الى جيش التحرير ، وبعد أن نلم الماماً كافياً بحركات الجيش الفرنسي . كنا نسير لمدة عشر ساعات أحياناً لكي نصل الى المنطقة الجبلية ، أو المخابئ .

لم نكن نبقىٰ في أية قرية مدة تزيد على أربع وعشرين ساعة ، لقد كنت أقوم برعاية الجنود ورجال المقاومة الجرحىٰ ، لقد أستدعيت مرة للعناية بأحدىٰ ضحايا الحروق ، وخلال تطبيبي لهذا المريض مرت قوات معادية في المنطقة التي تدعىٰ «قبيلي» ودمرت كل شيء فيها وأحرقتها بعد أن صبت عليها النفط . . لقد كان هذا المريض محروقاً بصورة كلية وقد مات بعد ذلك بقليل .

في أحد المرات وفي منطقة «مسيلة رباريكا» وجدنا أنفسنا في منطقة صحراوية مسطحة لاتوجد فيها أشجار أو قرىٰ ، أو أي مكان يمكن أن نختبئ فيه ، لذلك بدأنا التنقل ليلاً ، أما في النهار الثاني فقد عثرنا على حفرة في الأرض عرضها متر واحد ، وأعتقد أنها كانت ملجأ للغزلان . لم يكن بأمكاننا الوقوف ، كنا نجلس سوية متراصين ، تحت ظروف شديدة الحرارة ، وكنا لانستطيع الحركة حتىٰ قدوم المساء وخلال الليل قمنا وأجرينا بعض التمارين وتابعنا المسيرة الليلية حتىٰ وصلنا الى حفرة أخرىٰ .

أن الظروف الخشنة والقاسية التي كانت تحيط بحياة مقاتلي جيش التحرير ، وخصوصاً بعد العام ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨ وبعد أن توسعت رقع المناطق الممنوعة أجبر القادة العسكريون في الحركة بأن يخلو المرضات الى كل من المغرب وتونس . أما أعمال الطبخ والغسل في الجيش فأنها كانت تمارس من قبل النساء المنحدرات من أصل فلاحي ، واللائي ينتمين الى نفس المنطقة ، تقريباً . وقد تعود هؤلاء ، على العيش تماماً مع المقاتلين ، وبهذا أصبح الطبخ كلياً يعتمد على العناصر النسائية .

أن أعمال القومسيور السياسي أو المرأة المسلحة المقاتلة فكانت تعتبر حالات أستثنائية في الجيش الجزائري لقد اجبرت قوات التحرير على مناشدة الممرضات أحياناً للمساعدة في أعمال القتال . الا أنهن لم يقمن بعملية القتال المباشر ، وجل مافي الأمر أنهن كن يقدمن المساعدة الى

المقاتلين وذلك بتقديم السلاح والقضايا السائدة الأخرىٰ .

أن الفوارق الجسيمة والنفسية بين الرجل والمرأة بالأضافة الى أمور أخرىٰ لم تجعل المرأة تستخدم كمقاتلة بصورة فعلية في ميدان المعركة ، وكما يعمل الجندي ، كما أن التصور العام للسكان كان ينافي أستخدامها كجندية مقاتلة . أن النساء اللواتي كن ينتمين الى فصائل المليشيا يحملن السلاح ، كالنساء اللواتي يقمن بأعمال المواصلات والأسناد والقتال لايمثلن الا نسبة قدرها «٠٢.٪» من مجموع الشرائح التي درساها والبالغة «٢٧١ر٣» قضية .

أن الأعمال التي أنجزت خلال الصفحات السابقة أعتمدت على دراسة «٩٤٩ر١٠» قضية واذا كانت الفهارس التابعة الى وزارة الحرب لاتقدم لنا قوائم مفصلة عن أعمال المرأة في أعمال المليشيا ، فيمكن أعتبار دراسات القضايا تمثل نموذجا تاماً للحالات المذكورة فضلاً عن أستبيان رأي البعض بصورة موسعة . وهذه ربما ستعطي الدارس دقة أكثر من البيانات في المستقبل .

خلاصة

أن حرب التحرير توصي بأن للمرأة قدرة على تحمل المسؤوليات بصورة كاملة في حالات الثورة والتمرد كالرجال وهي قادرة أيضاً بإشعار الرجال بدورها الكبير وهي تعمل الى جانبهم .

أن على المرء أن يعلم بأنه بعد حصول الأستقلال فأن هيئة المرأة قد أجتازت الكثير من التحولات في الجزائر . وفي الحقيقة فأن قوانين جديدة قد سنت لأصلاح حالة المرأة ، وأن أهم مافي هذه القوانين هو أن جميع المواطنين متساوون أمام القانون والألتزامات الأخرىٰ ، كما أن أي تمييز ينبع من النظرة الى الفوارق الجنسية أو العرفية أو الأستبعاد يعتبر محظوراً . أن على المرأة الجزائرية أن تشارك بأمكاناتها في بناء المجتمع الأشتراكي وفي عمليات الأعمار والتطور .

لقد منحت المرأة الحرية للوصول الى أي مركز عبرمهاراتها . أن جيش الشعب الجزائري ، والذي يعتبر أقل أنفتاحاً من بقية القطاعات قد فتح الابواب للنساء ، لقبولهن في مدارس الهندسة المتقدمة ، والتدريب على الطيران ، وفي المجال الطبي .

الان وبعد مرور عشرين عاماً على الأستقلال الجزائري فأننا نلاحظ أن دور المرأة لايزال ضعيفاً وقليلاً في المسائل الأقتصادية والسياسية.هناك فقط نسبة قدرها «٧ر٣٪» من مجموع النساء اللواتي لهن القدرة على العمل ، تعمل فعلاً .

أن نسبة النساء العاملات بقيت محافظة على معدلاتها ، كما وأن نسبة النساء العاملات في الحياة السياسية في نكوص .

لقد كان هناك عشر نساء في المؤتمر الأول للمجلس الوطني الجزائري من مجموع أعضائه البالغ عددهم «١٩٤» شخصاً ، وهذا مايعادل نسبة قدرها «١٥ر٥٪» من المجموع العام ، الا أننا نجد في العام ١٩٨٠ ، أن هذه النسبة أصبحت «٩٥ر٣٪» من المجموع العام حيث أن المجلس ضم في ذلك العام عشر نساء من مجموع المجلس البالغ «٢٥٣» عضواً

في السلطات التشريعية المحلية نسبة المرأة «٠٣٪» من مجموع المقاعد ، كما وأن نسبة حضورها في المجالس المحلية هو «٤ر١٪» .

أن أهم المجالات التي حدث فيها تبدل كبير هو عالم تعليم الأطفال ، وخصوصاً البنات . في عام ١٩٨٠ كانت نسبة البنات الجزائريات المنتميات الى المدارس هي «٦٠٪» من المجموع العام للبنات ، الا أن هذا الرقم هو أقل من نسبة الأطفال الذكور ، حيث بلغت هذه النسبة «٨٨٪» وهذا مايمكن أن نعتبره تقدماً كبيراً .

لقد قبلت الجامعات حوالي «١٤ر٠٠٠» طالبة من مجموع القبول الكلي البالغ «٥٥ر٠٠٠» في الحقيقة أن دخول المرأة في عالم التعليم أحدث تغيراً أصيلاً في وضع المرأة الجزائرية .

أن المرأة التي تنتمي الى صفوف المليشيا ، والتي تقاتل جنباً الى جنب مع الرجل كانت ظاهرة فرضها الواقع الحربي ، وأن مشاركتها في حرب التحرير تمثل قفزة أعادة تقييم موقعها . الا أننا يجب أن نذكر في النهاية بأن أفضل شئ موثوق منه هو تحولات المرأة في المجال الأقتصادي والتعليمي حيث أصبحت الفرص متاحة أمامها في هذه المجالات .


مديرية المطابع العسكرية